

الأدب الإسلامي

٨٥

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٨٥) - ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م

أدبنا المعاصر والتاريخ

د. عبد الباسط بدر

إمام علي الشيخ وموقعه في

خارطة الشعر السوداني

د. محمد صالح عثمان

المديح النبوي في شعر

الشعراء الأردنيين غير المسلمين

فيضان قادر

الملافتح الله الحلبي ثم المدني

الشهير بالنحاس

د. زينب بيبره جكلي

الإسلام والفن: كيف يلتقيان؟

د. عبد الملك بومنجل





تشوهات في خارطة الثقافة العربية

إن من يتأمل خارطة المشهد الثقافي العربي المعاصر لا يشعر بالتفاؤل، وتبدو له هذه الخارطة مبتلاة بكثير من التشوهات التي تُشعر أن صحتها معتلة بعلة خطيرة، وهي عللُ أيسرها أنها لا تُسعف - كما هو شأن الثقافة في كل أمة - على تمثيل شخصية واضحة الملامح لهذه الأمة التي تُنتجها، وهوية الحضارة التي تصدر عنها.

وهذا بؤس حقيقي في ثقافة أمة أمة، وهو مؤشّر إلى مرض عضال قد يؤدي بها إذا لم تُشف منه، وقد يكون من أبرز ما أدى إلى ذلك:

عدم وضوح التصوّر الفكري الذي تصدر عنه الثقافة العربية المعاصرة، فهي كخبط العشواء، أو حاطب ليل، وكلّ فيها يغني على ليلاه، مما يجعل الإبداع الثقافي خليطاً متناقضاً ينسف بعضه بعضاً، وقد يلعن بعضه بعضاً، وذلك عائداً إلى تعدد - أو تضارب - المصادر والمنابع الثقافية التي يصدر عنها الأدباء والمفكرون.

ولا شك أن هذا التعدد كان يمكن أن يكون مصدر غنى وثراء، لولا ما تحوّل إليه الأمر من تنافر وتناقض وتشكيك في أيسر الثوابت التي يُفترض أن تشكل هوية الأمة وعقيدتها وذوقها. لقد تحوّلت الدعوة إلى حرية الرأي إلى معول هدم في ثقافة هذه الأمة، بل في ثوابتها ونصوصها القطعية التي تشكل وجهها الواضح المتميز.

إن الحراك الثقافي أمرٌ مستحبٌ محمود، بل هو علامة صحة وعافية عندما ينضبط على وفق هوية معينة تفي إليها الأمة وتلتئم من حولها، عندما يتّجه هذا الحراك نحو الوفاق، ونحو تأسيس ثقافة الاختلاف المثمر البناء، ولكنه يكون داءً ذوياً عندما يفهمه قومٌ من بني جلدتنا على أنه الانفلات من كل قيد، والجري على غير هدى، والتشكيك - على طريقة الفكر الغربي المادي - في كل شيء، مما يجعل الأمة قسّة في مهبّ العاديات.

ومن هذا البؤس ذلك الإلغاء والإقصاء اللذان تمارسهما كل فرقة من الفرق المنتجة للثقافة عندنا في حق المخالفين لها في الرأي، حتى غدا القمع والاستبداد سمة واضحة من سمات هذه الثقافة. وغدت شعارات تتهم بالتزمت، أو الرجعية، أو السلفية، أو الظلامية، أو التنسيق، أو التبديع، أو التكفير، أو ما شاكل ذلك، من الدائع المشهور الذي تحفل به كتابات أهل الثقافة والفكر عندنا، وهذا ما يجعل الشك محيطاً بكل ما ينتج أي طرف من الأطراف، ويوقع المتلقي - ولا سيما من عامة الناس - في بحر من الحيرة والاضطراب لا يعرف خلاصاً منه.

إن التزمت والغلو، وإن التطرف وأحادية النظرة هو الذي يقود إلى ذلك، ولا بد من تقبل الآخر، والانفتاح عليه، فذلك يعني الثقافة، ويتجاوز بها أزمته.

مدير التحرير

من كتاب العدد



الطيب رحمانى



د. حسين نصار



مسعد مطلق الجربي



د. سعيد أصيل

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.
- الموضوع الذي لا ينشر لايعاد إلى صاحبه.
- يرعى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد
- يرعى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- إرسال صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

الإخراج الفني

عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير

المملكة العربية السعودية

الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٣٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨

فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

جوال: ٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address

www.adabislami.org

E-mail

info@adabislami.org

الاشتراكات

للأفراد في البلاد العربية

ما يعادل ١٥ دولارا

خارج البلاد العربية

٢٥ دولارا

للمؤسسات والدوائر الحكومية

٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة

دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما

يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣

جنيها، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب

العربي ٩ دراهم مغربية أو ما يعادلها،

اليمن ١٥٠ ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه،

الدول الأوروبية ما يعادل ٣ دولارات.

د. عبدالعزيز الثنيان
د. عبدالباسط بدر
د. حسن الهويمل
د. عبدالله العريني
د. رضوان بن شقرون

د. سعد أبو الرضا
د. عبد الله بن صالح المسعود
د. محمد عبدالعظيم بن عزوز
د. علي بن محمد الحمود

د. وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير

أ. شمس الدين درمش

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ الافتتاحية:

- تشوهات في خارطة الثقافة العربية
- الإسلام والفن: كيف يلتقيان؟
- إمام علي الشيخ وموقعه في خارطة الشعر السوداني
- من قضايا النقد العربي القديم: الاستقلالية والانفتاح
- الملا فتح الله الحلبي ثم المدني الشهير بالتحاس
- مفهوم القراءة والقارئ عند ابن المقفع
- المديح النبوي في شعر الشعراء الأريدين غير المسلمين
- المنهج النقدي الغربي والمقدس الديني
- فلسطين في الشعر الجزائري الحديث

❖ الورقة الأخيرة:

- أدبنا المعاصر والتاريخ

الشعر

- بلا وداع
- المسجد الأقصى
- بكاء النخيل
- رحلة الروح
- من ضياء الضاد
- قبائل النسرين هامش على قرطاس المتنبى
- ما وراء القلق
- منفى

مدير التحرير

د. عبد الملك بومنجل

د. محمد عثمان صالح

الطيب رحمانى

د. زينب صبري بيره جكلي

د. سعيد أصيل

فيضان قادر

أمانة حاج داود

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة

د. عبد الباسط بدر

د. أحمد البراء الأميري

محمد ياسر أمين الفتوى

عبد الرحيم الماسخ

د. إبراهيم أبو طالب

جودت علي أبو بكر

فهد أبو حميد

محمود محمد كلزي

أشرف محمد قاسم

- أماء

- يا عرب القدس متى غده؟

- ثمر الفرس

- عزف على وتر اليأس

- من القيامة الأولى

- القدس مدينة الصلاة

- بين يدي المجد

القصة والمسرحية

- الغريب والكلاب

- وجوه... وجوه (خاطرة)

- لقاء بعد حين

- أمازلت تكتبين؟ (نثيرة)

- الفرقد

- عكاكيز

- بطل من سراب

- عبد الرحمن بن عوف (مسرحية)

الأبواب الثابتة

❖ لقاء العدد:

- مع الدكتور حسين نصار

❖ تراث الأدب الإسلامي:

- حسن الشعر وقبيحه

❖ ثمرات المطابع:

- بروتوكولات صهيون

❖ رسائل جامعية:

- النقد التطبيقي عند حسين علي

محمد.. دراسة وتقويم

❖ مكتبة الأدب الإسلامي:

- الوسطية في منهج الأدب الإسلامي

❖ أخبار الأدب الإسلامي

❖ بريد الأدب الإسلامي

د. معاذ نحاس

عبير حسين إبراهيم

د. أبو فراس النطاي

سالم بن رزيق بن عوض

عادل فرج عبد العال

سهام مهران عبد الله

د. حبيب المطيري

صديق حامد نزاركي

نورة البقمي

خليل محمود الصمادي

صورية مروشي

وليد سميح العوضي

محمد عبد الصمد الإدريسي

عائشة ساجد

د. حمادة إبراهيم

حوار صلاح رشيد

الإمام القرطبي

د. نعمات أحمد فؤاد

مساعد مطلق الحربي

التحرير

إعداد: شمس الدين درمش



د. عبد الملك بو منجل - الجزائر

يقول فلاسفة الفن: «إن الفن هو إنتاج موضوع له صفة البقاء. أو إحداث فعل عابر سريع الزوال، يكون من شأنه توليد لذة إيجابية لدى صاحبه من جهة، وإثارة انطباعات ملائمة لدى عدد معين من النظارة أو المستمعين من جهة أخرى، بغض النظر عن أي اعتبار آخر قد يقوم على المنفعة العملية أو الفائدة الشخصية.»^(١) أو إنه «ضربٌ من النشاط البشري الذي يتمثل في قيام الإنسان بتوصيل عواطفه إلى الآخرين، بطريقة شعورية إرادية، مستعملاً في ذلك بعض العلامات الخارجية.»^(٢) أو «إن الفن هو التأمل. هو متعة العقل الذي ينفذ إلى صميم الطبيعة ويستكشف ما فيها من عقل يبعث فيها الحياة. هو فرحة الذكاء البشري حين ينفذ بأبصاره إلى أعماق الكون، لكي يعيد خلقه مرسلًا عليه أضواء من الشعور. الفن هو أسمى رسالة

لا يلتقي الإسلام والفن كما يلتقي الخصم مع الخصم، ولا كما يلتقي المقدس والمدنس، ولا كما يلتقي القيد مع الحرية، ولا كما يلتقي الجد مع الهزل، ولا كما يلتقي الجلال مع الابتذال؛ ولكن كما يلتقي الكل مع الجزء، والغاية مع الوسيلة، والجمال المطلق مع الجمال النسبي، والغذاء الكامل الصافي للعقل والفكر والروح والوجدان والحس مع الغذاء الذي قد يغني الفكر. ويروّد الروح، ويشبع الوجدان، ويمتع الحس حيناً من الزمن، ولكنه قد يفعل عكس ذلك: يزوّد هذه العناصر المشكلة للكيان الإنساني مواد هي إلى السم المهلك أقرب منها إلى الغذاء الطيب الحي.

الفن

الإسلام والفن: كيف يلتقيان؟

للإنسان، لأنه مظهر لنشاط الفكر الذي يحاول أن يتفهم العالم وأن يعيننا نحن بدورنا على أن نفهمه»^(٢) الجدوى من الفن إذاً هي اللذة والمتعة، والفرح والبهجة، والتعبير والتواصل، والاكتشاف والمعرفة، والخلاص من رتابة الواقع والتحرر من سلطة المادة. وإذا كان الأمر كذلك، فكيف لا يلتقي الفن مع الدين عموماً، ومع الإسلام على وجه الخصوص؟

إن الدين والفن يسيران بالإنسان في طريق واحد هو طريق المتعة والبهجة والحرية والجمال، والمعرفة والرفعة والكمال. نعم؛ قد يُجحف بعض الفن في حق الدين، وقد ينزل بعض الفن عن سمو الغاية وكبرياء الجلال وإشراق الجمال، ولكن الدين الإسلامي تحديداً لا يمكن إلا أن يكون نصيراً للفن، مَعِيناً للجمال، أفقاً للحرية، فضاءً لإبداع فنيّ يتجاوب فيه الجمال النسبي مع الجمال المطلق، ويتعانق فيه جمال الحق مع جمال الخير مع جمال الجمال. ولكن لهذا الإجمال تفصيلاً نبينه في هذه الوقفات:

«كلاهما ينشد الجمال، وجمال الإسلام أشمل وأرقى»

الفن مهارة بشرية في صناعة الجمال، وكل فنّ لا يستهدف هذه الصناعة أو لا يقدر على إنتاج الجمال فهو ليس بفن.

صحيح أن فلاسفة الفن مختلفون بشأن وظيفة الفن: أمحسورة هي في إثارة المتعة الجمالية، أم هي تتوسل بالمتعة الجمالية إلى غايات أخرى عاطفية واجتماعية وأخلاقية ودينية ومعرفية؛ ولكن المحصل في النهاية أن الجمال مطلبٌ أساسٌ في الفن، لا يُستغنى عنه فيه إلا إذا استغني عن الفن ذاته. فأئني شيء هو هذا الجمال الذي هو مطلب الفن، ونزعم أنه مطلب من مطالب الإسلام أيضاً؟

الفلاسفة مختلفون كذلك في تحديد مفهوم الجميل. بعضهم يرى أن الجميل هو غير النافع وغير

الشهوي، وغير الذي يحقق لنا غرضاً عملياً مادياً أو اجتماعياً من أغراض المعيشة ومطامع النفس. ولكنهم مختلفون فيما إذا كان الجميل منحصرًا في الشكل والصورة، أو فيما نرى ونسمع ونحس، أو هو يتعدى ذلك إلى العاطفة والشعور، والفكرة والسلوك، وإلى حركة العقل واختلاجة الروح؟

وإذا كان من المتعذر جمع الناس على رأي واحد في تعريف الجميل؛ بل من المتعذر على فلاسفة الجمال تحديد مفهوم دقيق لمصطلح «الجميل»، فإن ذلك لا يمنع من الاعتقاد أن الجمال هو صفة موضوعية تدرك بحاسة الذوق مستعينةً بحواس أخرى كالسمع والبصر، وبمصادر شعورية وإدراكية أخرى كالوجدان والعقل، بحسب طبيعة هذا الجميل ومادته وشكله. وأن علامة هذا الجمال، وإن عجز أكثر الناس عن تحليله وتحليله، هي الأثر الخاص الذي يتركه في نفس متلقيه: من إعجاب أو انشراح أو بهجة أو رضا أو لذة غير مشوبة بمنفعة مادية. وأن من أسرار هذا الجمال المؤلّد لهذه المشاعر والأحاسيس خصائص تطرّد في كل جميل هي الانسجام (أو التناسب)، والإثارة (أو الجدة والغرابة)، والحيوية (أو الرشاقة والخصوبة)^(٣). وأن الخاصية العامة لكل جميل هي الجاذبية، دون أن يعني ذلك أن كل جاذبية مصدرها الجمال.

إن الفن يُعوّل في تعامله معنا على هذه الجاذبية التي مصدرها الجمال. وإن كل فنّ يُقدّر له النجاح هو فنّ استوفى خصائص الانسجام والإثارة والحيوية. وإن الذي نريد أن نقف عنده الآن هو السؤال عن هذه الخصائص وتلك الجاذبية: أمحسورة هي في الشكل والصورة والبنية، أم سارية في كيان الوجود كله، ما يرى منه ويُسمع ويُحس، وما يدرك بالعقل، ويُفهم بالروح، ويُفّرأ بالوجدان، ويُبصر بالحدس؟



ثم السؤال عن موقف الإسلام من الجمال: أychتقره ويزدريه، أو يُهمله ويزهد فيه، أم ينشده ويصطفيه، ويكرمه ويدعو إليه؟

من نافلة القول أن نعيد التذكير بأن «الله جميل يُحِبُّ الجمال». وأن الله قد أبدع الكونَ على أكمل ما يكون من الجمال والجلال، وأنه خاطب الناس بأجمل ما يكون من الخطاب، وأن ذلك جميعه لا يدلّ إلا على أن الجمال هو في صميم حكمة الله وإرادته ومشيئته، وأن الإسلام هو أحد مجالي هذا الجمال الفاض على الكون بإرادة الله، وأن العلاقة بين الإسلام والجمال لن تكون إلا كالعلاقة التي تكون بين موجودين يصدران من مشكاة واحدة ويُسقيان من ماء واحد، وإن اختلف الشكل واللون. ولكننا نحب أن نفصل بعض التفصيل، كي نقيم الدليل على أن الإسلام لا يلتقي مع الفن في نشدان الجمال فحسب، بل ينشد صورةً للجمال هي أكمل وأرقى من الصورة التي يبرزها الفن.

يقول عماد الدين خليل:

«والله سبحانه الذي أتقن كل شيء.. يضع قبالة المعطيات الجمالية في الكون والعالم والطبيعة والحياة، أجهزة الاستقبال التي تعرف كيف تتلقاها وتتعامل معها، فتنقل الإنسان إلى مراحل أكثر نضجا واكتمالا على مستوى السوية الفردية، والإبداع الحضاري، ويكون الجمال قد حقق وظيفته !!

إن السمع والبصر والذوق والشم.. لهي تلك الأجهزة التي (تلقى) فتنقل معطياتها إلى العقل، لكي يفرز ويمحص، وإلى القلب والوجدان، لكي تنفعل وتتأثر.. ومن وراء هذا وذاك تكون الدهشة والإعجاب، ثم يكون (التعبير) الذي يبدع فيهز العقل والقلب والوجدان»^(٥)

كل شيء إذاً، استنادا على هذا التصور الإسلامي، يفتح على الجمال ويُغري به ويدعو إليه: الكون بعالمية:

الظاهر الذي في المشاهد، والباطن الذي في المشاعر. والكيان الإنساني بجانيبه؛ الحسي الذي في الحواس، والنفسي الذي في القلب والروح. يتلقى الكائن البشري الجمال، فيمتلئ إعجابا، ويختلج اعتبارا، وقد ينبجس إبداعا بألوان من الفن الرفيع، يتعانق فيه جمال الصورة، مع جمال الفكرة، مع جمال الشعور.

والجمال الذي بثه الله في الكون كله، ظاهره وخفيه، ليس ضرورةً فحسب، بل هو فوق الضرورة، وليس بفوضى ولكنه نظام له مظاهره وقوانينه. يقول محمد قطب:

«وأول ما يلفت الحس في الجمال كما أسلفنا أنه «نظام» ولكنه ليس «ضرورة».. ولهذا النظام - كما يبدو في صفحة الكون - مظاهر متعددة، منها الدقة. والتناسق. والتوازن. وخفة الحركة رغم ثقله الأوزان»^(٦)

وهذه المظاهر والقوانين الجمالية ليست محصورة في الوجود المادي، بل هي شائعة في الوجود كله، وتشمل بعمومها الحياة الإنسانية بكل ما يضطرب فيها من أشكال وأوضاع ومشاعر وأفكار. وهنا ينفتح للجمال في الإسلام، وفي الفن الذي يعبر عن التصور الإسلامي، مجال للرفي والاكتمال لا ينفتح لغيره.

الجمال «جوهر أصيل في الدين، تفيض أنواره من كل حقائقه الإيمانية والتشريعة»^(٧) والإسلام يحتفي بالجمال أكرم الاحتفاء، ويغري به الأتباع أبلغ الإغراء؛ ولكنه لا ينظر إليه أجزاء ممزقة ليس بينها تناسق وتوازن وترابط، بل ينظر إليه متكاملاً يضمن للحياة الإنسانية ما يليق بها من الرفعة والكرامة.

انظر، على سبيل المثال، إلى قول امرئ القيس يصف جانباً من مغامراته الفاحشة:

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ

بِشَقٍّ، وَتَحْتِي شَقُّهَا لَمْ يَحْوُلْ^(٨)
هذا بيت جميل الشكل، حسن العبارة، مُتَقَنُّ البناء، فيه رشاقة وإثارة. هو إذاً جميل بالمقاييس الشكلية الصرف. ولكن الإنسان يتلقى القطعة الفنية بكيانه الإنساني كله. بسمعه وبصره، وخياله وشعوره، وفكره وقيمه، وروحه ووجدانه. وقد يكون قارئ هذا البيت غافلاً عن معاني النفس، أو عارياً عن مكارم الأخلاق، أو خالياً من مشاغل الروح، فيطرب لهذا البيت أيما طرب، وقد يصفق نشوة وإعجاباً بهذا البطل الهمام! ولكن يكفي أن تقول له: تصوّر أن هذه المنصرففة بشقٍّ إلى ابنتها الباكي هي أختك، لينقلب طربُه غضباً، ونشوته مرارة، وإعجابه نقمة واحتقاراً. هذا هو الجانب الآخر من الصورة المشرقة الجميلة: الجانب المظلم المنفّر القبيح، الذي يلتفت إليه قومٌ ويفغل عنه آخرون، وكل إناء بما فيه ينضح.

وانظر إلى قول أبي نواس يعبر عن تعلقه بالخمرة:

يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى حَمَرَاءٍ صَافِيَةٍ!

صِرَ فِي الْجَنَانِ، وَدَعْنِي أَسْكُنُ النَّارَ^(٩)

لقد أجاد حقاً في تصوير شعوره، والتعبير عن مكنون قلبه. وقد جاء بأسلوب رشيق ومعنى طريف. وقد وفّر لبيته قدراً من الجمال المثير لا يُنْكَر. ولكن الجمال الذي يدعو إليه الإسلام ويحتفي به يتجاوز هذا القدر إلى جمال الفكرة وجمال الشعور. فهل فكرة التضحية بالجنان في سبيل الخمرة هي فكرة جميلة، وهل شعور الاضطرار إلى معانقة الخمرة هو شعور لطيف؟

انظر كذلك، إن شئت، إلى تمثال منحوت لامرأة عارية، أو رقصة فنية لامرأة شبه عارية: ستكون أمام مشهد فاتن الجمال ولا شك؛ فقد خلق الله الإنسان جميلاً غاية في الجمال، وخلق أنثاه أفتن جمالاً وأكثر إبهاجاً للحس والنفس. ولكن، ستكون أمام فن رفيع متكامل الجمال؛ فهو يثير أحاسيس جميلة، وهو يهز مشاعر نبيلة، وهو يسمو بالروح إلى بهجة عبقرية؛ أم ستكون أمام جمال ليس لعرضه فضل إبداعه فهو إبداع من الله، ولكن له فضل تقليده وعرضه، جامداً في حال التمثال، أو متحركاً في حال الرقص، ليكون من هذا العرض الفاتن إثارة غرائز سفلية، وتحريك شهوات جسدية؛ ولا تلتفت إلى من يزعم أنه يستمتع بالجمال المحض لوجه الجمال.

من قديم كان الفلاسفة يؤمنون بأن الجمال لا ينحصر في الصورة، ولا يكتمل إلا بجمال وراء الشكل والصورة. فقد تساءل سقراط: «أيمكن ألا ينطوي هذا الجمال الساحر على نفس تناسبه جمالاً وخيراً»^(١٠) وقد وصف أفلاطون الجمال بأنه «الجوهر غير ذي اللون والشكل الذي لا يمكن للحس أن يدركه، الجوهر الموجود بالحقيقة، ولا يكون مرئياً إلا لعين النفس»^(١١) وإنما انصرفت الفلسفة الغربية الحديثة بعض



منها، وكان له في الشعر آراء أخطأ في بعضها وأصاب في أخرى، ولكن الشعراء وفلاسفة الفن ضخموا خطأه وتناسوا صوابه، وفي صوابه الكثير من الحق والكثير من الخير للبشرية لو يعلمون.

قال: إنَّ اللذة الحسية ليست كافية لتبرير الفن، وإنما ينبغي أن نبحث دور الفن في النمط الكامل للوجود، وإن الذين يدافعون عن الشعر ينبغي لهم أن يثبتوا أنه مفيد للمجتمع وللحياة البشرية علاوة على كونه مصدراً للذة^(١٣)، وأن قدرته على منحنا اللذة تزيد من خطورته لأن تأثيره فينا سيكون أعظم.

وقال بصراحة: إن الشعر يثير الجزء الخسيس من النفس ويغذيه، فيهدم بذلك الجزء الأفضل، ويغرس نظاماً شريراً في نفس كل فرد بإرضائه القسم العديم الحس^(١٤). ومع أن نظرتة إلى الشعر يشوبها كثير من المبالغة والتحكم وإهمال الأثر النفسي الإيجابي في عواطف الناس، فإن أفلاطون كان ينتقد الشعراء بدافع الحرص على القيمة الجمالية للحياة في وجودها الشامل. كان «يدافع عن طريقة كاملة في الحياة تتصف بالقيمة الجمالية. فمواطنو الجمهورية سيعيشون في بيئة يغمرها التناسق والانسجام. وفي هذه البيئة لا تقتصر السمات الجمالية على ما نسميه «بالفنون الجميلة»، بل إن من الممكن غرس هذه السمات الجمالية في كل شيء «في فن التصوير وفي كل فن إبداعي آخر كالنسيج والتطريز والعمارة وصنع الأثاث»، وعلى حكام الدولة ألا يسمحوا بالرديلة، وبالتهور، والوضاعة، والخشونة في أي إنتاج للقريحة البشرية»^(١٥).

وإذا كان ستولنيتز يختم إنصافه هذا لموقف أفلاطون بقوله: «والحق أن من واجبنا، قبل أن نصدر حكماً على أفلاطون، أن نتريث ونتذكر كل ما هو مهوَّس و«مزيف» في فن «الإعلان»، وفي

الانصراف عن هذا المذهب في تصور الجمال، وتصور وظيفة الفن، لأسباب غير صحيحة^(١٦). ومع ذلك مازال في أهل الفكر والفن من يؤمن بصلة الفن بالدين، وصلة الجمال بالأخلاق.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الفن وإن ظلّ ينشد الجمال فإنه كثيراً ما كان يُخطئه ليسقط في القبح. وإن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يهيئ للفن أن يجمع الجمال بأطرافه كلها، وألوانه جميعها، ويحفظ الجمال من أن يتشوّه باسم الجمال، ويصون الحياة من أن تفسد وتنحط باسم الحياة.

«كلاهما غذاء للوجدان، وغذاء الإسلام أغنى وأصفى»

وظيفة الفن ليست محصورة في الإمتاع الجمالي الخالص الذي يتمتع الحس ويضطرب النفس. ولكنها تتعدى ذلك إلى وظائف أخرى، قد يقصدها الفنانون وقد لا يقصدونها، وهي التعبير والتنفيس والتهديب والتأمل وإبداع المعرفة وترقية الحياة.

الفن نشاط بشري جمالي وجداني معرفي تواصل إمتاعي يخرج الإنسان من رتابة الحياة إلى متعة الإحساس، ومن ثقل المادة إلى خفة الروح، ومن وطأة المشاغل العملية إلى بهجة التجربة العاطفية، ومن ضيق الحاجات الحسية الأرضية إلى سعة الآفاق المعرفية والأشواق الروحية والرفرفات الشعورية.

الفن الرفيع هو الفن الذي يسهم في تحقيق هذه الأهداف قصدتها أم لم يقصدّها. يخرج الإنسانية من البلادة إلى الإحساس، ومن الغلظة إلى الرقة، ومن النكد إلى البهجة، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن القيد إلى الحرية، ومن المادية أو الحيوانية إلى الإنسانية.

وقد تصوّر أفلاطون جمهوريته الفاضلة السعيدة، فرأى الشعراء عائقاً في سبيل السعادة فأخرجهم

الأدوات اليومية التي يستخدمها الناس في مجتمعنا الحديث»^(١٦)، فإن موقفنا سيزداد إنصافاً حين نرى كثيراً من الفنون الحديثة في زمننا الراهن تروج للقبح أكثر من ترويجها للجمال. وتخطب الفرائز أكثر من مخاطبتها للوجدان. وتعمل، واعية أو غير واعية، على إفساد الذوق وتحطيم الإنسان أكثر من عملها على ترقية الذوق وتهذيب الروح.

ومع ذلك فإن الفن، أيما يكن هدفه ومضمونه، هو غذاء للوجدان، وشفاء لبعض أمراضنا النفسية، وإنقاذ لنا من وطأة المادة، وإغناء لحياتنا الربية بحياة لها لون وطعم وحركة وبهجة، وتحويل لنا من كائن يعيش إلى كائن يحيا. وقد نبه أحد فلاسفة الفن على القيمة الجوهرية للتجربة الجمالية، مؤيداً رؤيته هذه بعبارة لأحد الشعراء يقول فيها:



«حياتنا، لو امتلأت بالمشاغل، ولم تترك لنا وقتاً للتوقف والتأمل، لكانت حياة هزيلة بحق»^(١٧).

ونحب أن نأخذ بطرف هذا الحديث عن الحياة التي تكون هزيلة إذا خلت من التوقف والتأمل، لنصل موضوع علاقة الفن بالوجدان والروح بموضوع علاقة الإسلام بهذين وبالفن تبعاً لذلك؛ فإنه ما من دين، وما من منهج للحياة، هو في مستوى الإسلام ترقية للحياة، وتغذية للوجدان، وتهذيب للروح، وتحريراً للإنسان من رتابة العادة ووطأة المادة وقهر الضرورة، وتحذيراً للقلب من الغفلة عن حقائق الوجود وعبر الآيات وأسرار الحياة: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج: ٤٦). «وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ» (يوسف: ١٠٥)، «انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ» (الأنعام: ٩٩)، «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ» (عبس: ٢٤)، «وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ» (النحل: ٦).

ولا نحب أن نستفيض في أمر هو عند الواعين بجوهر الإسلام من البدهيات، ولكننا نشير إلى أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، ورسالة الإسلام هو خطاب جمالي وجداني معرفي بامتياز، وهو غذاء نفسي وروحي وعقلي بإعجاز، وأن منهج القرآن في تربية الروح وتجديد الشعور وترقية الإحساس هو منهج عجب فذ، وهو فن في تغذية الوجدان وتهذيب الروح لا يضارعه فن.

«كلاهما حرية وانطلاق، وحرية الإسلام أمتع وأوفى

ربما قال قائل: ولكن الفن حرية والإسلام قيد، الفن انطلاق والإسلام التزام. الفن هيام في كل واد والإسلام هذا حلال وهذا حرام. كيف يلتقيان إذاً.. وكيف يتفاهمان؟



مع الله، والاعتداء على الأعراض، والترويج للفاحشة، ليس من الذوق السليم والشعور النبيل في شيء.

أحرية التفكير؟ وكيف يقيد الإسلام التفكير وهو يدعو إليه، ويحرض عليه، ويجعله طريقاً إلى المعرفة والعبرة والجمال والمتعة؛ بالمعنى الواسع الرفيع للجمال وللمتعة؟

«قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ» (الأنعام: ٥٠)، «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (محمد: ٢٤)، «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» (الأعراف: ١٨٥).

وكثيراً ما يقال: إن الفنان الحق يحب أن يتميز، أن يبدع، أن يفكر على نحو مختلف، أن يكتشف نهجاً جديداً، ويرى رؤية جديدة، ويخط فلسفة جديدة، وأن ينظر إلى الكون بمنظار جديد. فما أروع ذلك! وما أجمل أن يكون الفنان المسلم كذلك! إن الإسلام يدعو إلى الاجتهاد، والتجديد، والتنويع، وينبذ أن ينظر أحدنا بعين غيره، ويشعر أو يعقل بقلب سواه: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ» (البقرة: ١٧٠)، «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئاً جَدَلًا» (الكهف: ٥٤).

لقد عاب القرآن على مقلدي آبائهم، فكيف يمنع الفنان من التفكير الحر والإبداع الأصيل؟ وقد نوع الله في قرآنه ألوان الخطاب وأنواع التمثيل، فكيف لا يقبل من الفنان ذلك، وهو أدعى إلى خدمة الحق والخير والجمال، وأنجع في تنمية الفكر والذوق والخيال؟

إن اللون الوحيد من الفن الذي لا يرحب به الإسلام، بل ينبذه، ويضيّق عليه، ويحرّمه أحياناً،

وهذا فهم للفن وللإسلام غير صحيح وغير دقيق.

الفن حرية والإسلام حرية كذلك. الإسلام التزام والفن التزام كذلك. الفن هيام في كل واد في سبيل التعبير والجمال والمتعة، والإسلام انطلاق في كل اتجاه وسياحة في كل فضاء، في سبيل التعبير والجمال والبهجة والمعرفة والمتعة.

أية حرية مكفولة في الفن وممنوعة في الإسلام؟ أحرية التعبير؟ وأي فكرة أو شعور أو خاطر يُمنع على المسلم التعبير عنه، حتى ولو كان وسوسة شيطان، إلا أن يكون في ذلك نيل من الأعراض، أو تناول على الله والأنبياء، أو تحريض على الجرم والفاحشة؛ وليس ذلك من الفن الحقيقي في شيء؛ لأن الفن ارتقاء في الذوق، ونيل في المشاعر؛ والوقاحة



هو الفنّ المنحطّ ذوقاً وخلقاً وفكراً، أو الفنّ الذي يترك أرض الله واسعةً جميلةً نظيفةً، ويطلب أن تتاح له حريةّ النّش في القمامات، والخوض في المستنقعات، والنهش في الأعراض والحرّمات!

وهذا اللون من الفنّ هو أقلّ الفنون حظاً من الجمال وحفا في الانتساب إلى الفن. وليس الإسلام فقط من ينبذه ويضيّق عليه، بل كل فلسفة للحياة، ومنظومة للقيم، ومؤسسة راعية للحقوق، تفعل ذلك. يقول جيروم ستولنيتز:

«الواقع أن الإشراف الأخلاقي على الحياة يشمل النظم الاجتماعية الكبرى. ألسنا نعتقد، في عصرنا هذا، أن الزواج والحياة العائلية، وأحوال العمل والنظام التعليمي، تخضع لقدر معيّن على الأقل من الإشراف الاجتماعي؟ وإذن، فلم لا يخضع الفن بدوره؟ ولماذا يكون للفنّ امتيازٌ خاص لا يناله أي نظام آخر؟ إن الأمر كما يعبر عنه أفلاطون قرب نهاية محاورة الجمهورية، هو أن «الأمر خطير حقاً، وهو أخطر مما يتصوره معظم الناس. فعليه يتوقف تحول الإنسان إلى الخير أو إلى الشر. ومن هنا فإن من واجبنا أن نقاوم إغراء الشعراء، مثلما نقاوم إغراء المال أو الحياة أو الشهرة، إذا ما حصّنا على إغفال العدالة والفضيلة»^(١٨).

نذكر أفلاطون في هذا السياق مع التنبيه على الفارق الواسع بين التصور الإسلامي للفن وتصور أفلاطون، وأن الحرية التي يتمتع بها الفن في الإسلام هي أوسع بكثير من الحرية التي يتمتع بها في أية فلسفة للحياة أو منظومة للقيم. ويكفي للدلالة على ذلك، من الناحية العملية، أن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عمن كان أهدر دمه، بقصيدة كتبها يعتذر، وأجاز له أن يقرأ القصيدة في المسجد محلّ العبادة لا التغني؛ بل أجاز له على هذه القصيدة بأن

خلع عليه بردته الشريفة صلى الله عليه وسلم. مع أن القصيدة افتتحت، على عادة الشعراء عصرئذ، بغزل بامرأة مسماة.

ولا يستقيم أن يلتفت إلى سجن عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحطّية بسبب شعره، فإنما كان ذلك في الحقيقة بسبب تعديه على أعراض الناس بالهجاء وليس بسبب الشعر ذاته؛ وليس الشاعر بمنجاة من المحاسبة لا يسأل عما يفعل، وإنما هو مثل سائر الناس، له ما لهم، وعليه ما عليهم.

وكثيرون يتصورون الإسلام رقيقاً واقفاً على رؤوس الناس، يقول لهم: افعلوا ولا تفعلوا، واحرصوا واجتنبوا واحذروا. وأن الفنان إذا أخضع ضميره لتعاليم الإسلام وقف جامداً حذراً تتكمش فيه روح الإبداع، وتنطفئ في قلبه جذوة الفن؛ فلا يكون إلا فنّاناً من الدرجة الثانية أو الثالثة، يكفي بالتقليد، ويستغرق فنّه في الوعظ والدعوة ونصرة الدين. ولا فنّ حيث تكون الرقابة والإلزام، وإنما الفن حرية وانطلاق وإبداع.

وليس الأمر في حقيقته كما يتوهمون؛ فإن الإسلام لا يفرض على الفن شيئاً سوى ما أسلفنا ذكره من ترك الاعتداء على الأعراض، والوقاحة مع الله، والتحريض على الجرم والفاحشة. وأما ما سوى ذلك فهو مباح إن لم يكن مستحباً. والأمر متروك لاختيار الفنان وموهبته ومذهبه في الحياة ومزاجه في الشعور والتفكير، وإلى مدى تشربه لروح الإسلام واستغراقه في مثله وقضاياه: إن شاء أن يقصر فنّه على التعبير عن تجاربه الشخصية فله ذلك، وإن شاء أن يجعله تعبيراً عن المشاغل والتجارب الإنسانية الكبرى، الخاصة بقومه، أو المتعلقة بالكون بأسره، فله ذلك، بالتزامه الحر لا بالإلزام. يقول عماد الدين خليل:



ومن قال: إن قصائده وقصصه ومسرحياته وملاحمه لا تتفجر عنه، عن قلبه وعقله ووجدانه وأعصابه وروحه، تماماً كما تتفجر المياه من العيون، والسنابل من الحقل، والأشعة من الشمس، والأحلام من القمر؟ أليس هو والطبيعة من مخلوقات الله؟^(١٩)

إنّ الإسلام يربي أبناءه على الحرية، ويدعو الناس جميعاً إلى الاستمتاع بهذه الحرية الواسعة التي وُلدوا بها فليس لأحد أن يسلبهم إياها. ومن الحرية أن يأمن الناس على أعراضهم، وأن يسلم المجتمع من شيوخ الجرائم والفواحش. ومن الحرية أن يتحرر الفنان من التبعية لغيره، ومن إخضاع فنه لغرائزه السفلية أو لأهوائه ومطامعه الدنيوية. ولا مذهب في الحياة يدعو إلى الاستمتاع بهذا القدر من الحرية غير الإسلام ■

«إنه يتوجب أن يكون الالتزام عفويا، متساوقاً، مناسباً.. وألا تقوم علاقته بالإبداع الفني على القسر والتكلف والإكراه، وألا يعترف بالمدرسية أو التقريرية أو المباشرة.. علاقة عفوية متدفقة.. تذكرنا بعلاقة العيون الزرقاء بما تتدفق به على حقول الربيع العطشى من مات فرات.. بعلاقة التربة الطينية الخصبة الحمراء، بما تغطي به وجه الأرض من بحار لا حدود لها من السنابل الخضراء.. بعلاقة البحر الهادئ والريح الرخاء بالمراكب التي تبجر بهدوء فجر كل يوم صوب ما قسم الله لها من أرزاق.

ومن قال: إنّ الأديب المسلم ليس هو هذه العين المائية، أو هذا الحقل الأخضر، أو ذاك البحر الهادئ، وتلك الريح؟ ومن قال: إنه ليس تلك الشمس، أو ذلك القمر؟

الهوامش:

- (١) القول للفيلسوف الإنجليزي سلي Sully. ينظر: إبراهيم، زكريا. مشكلة الفن، مكتبة مصر، د.ت، ص ١٣.
- (٢) القول للروائي الروسي تولستوي Tolstoi. ينظر: المرجع السابق، ص ١٤.
- (٣) القول للمثال الفرنسي رودان Rodan. ينظر: المرجع السابق، ص ١٦-١٧.
- (٤) ينظر: ستولنيتز، جيروم. النقد الفني؛ دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة فؤاد زكريا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٩٨١، ص ٣٧-٤٧.
- (٥) خليل، عماد الدين. مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، دمشق-بيروت: دار ابن كثير، ط ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص ٤٠.
- (٦) قطب، محمد. منهج الفن الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٢٨.
- (٧) الأنصاري، فريد. جمالية الدين، القاهرة: دار السلام، ط ٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص ١٣.
- (٨) ديوان امرئ القيس، شرحه واعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص ٣١.
- (٩) ديوان أبي نواس، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٩م، ص ٢٥٣.
- (١٠) ينظر: مطر، أميرة حلمي. فلسفة الجمال: أعلامها ومذاهبها، القاهرة: دار قباء للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٨، ص ٣١.
- (١١) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٣.
- (١٢) ينظر ما ذكره جيروم ستولنيتز في كتابه النقد الجمالي: ص ٣٩-٤١ من أسباب لهذا التحول لمكانة الفن في الحياة وانقطاع صلته بعالم الحقائق والمعارف.
- (١٣) ينظر: أفلاطون. جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خياز، بيروت: دار الأندلس، د.ت، ص ٤٤٢.
- (١٤) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٣٩.
- (١٥) ستولنيتز، جيروم. النقد الفني، مرجع سابق، ص ٥١٦-٥١٧.
- (١٦) المرجع السابق، ص ٥١٧.
- (١٧) المرجع السابق، ص ٥٨.
- (١٨) ستولنيتز، جيروم. النقد الفني، ص ٥١٨-٥١٩.
- (١٩) خليل، عماد الدين. مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص ٨٠-٨١.

بلا وداع

«دمعة على الأخ الحبيب
محمد بن أحمد الرشيد
رحمه الله».

عندي من الحزن أشكال وألوان
وفي عيوني دموع لا نضوب لها
حزنا على وطن باتت تمزقه
أحراره فرطوا في حقه أمدا
أبكي على حرة يفتال عفتها
أبكي على كل ركن فيه مئذنة

إيه أبا أحمد يا نسمة عبرت
يا نجمة في ظلام الليل ساطعة
كم جئت دارك والهم المقيم له
وغربتاي: لظى في الأهل واحدة
حتى إذا ضمني يحنو على تعبي
تجلببت بالرضا الآلام وارتحلت
أخوة في سبيل الله خالصة
يا راحلا أتعب الأيام من دأب
تسع سمان من الأعوام قد حفلت
شيدت للعلم فيها ألف صرح هدى
بذلت قلبك للتعليم عن ثقة
عشقت فصحي كتاب الله قد حفظت
وقلت للعاملين: النجم غايبتنا
وراء كل عظيم شمس ساطعت
زرعت في كل قلب طامح فطن
رويتها بالعطاء السمح تغدقه

يا راحلا لم يودع صحبه عجلا
فجاء الموت هزت كل جارحة
سقى الإله ضريحا أنت ساكنه

وفي فؤادي لآلام عنوان
لها من القلب لا العينين عينان
بنوه قبل العدا والقوم إخوان
فجاء يحكمهم بالظلم عبدان
أمام والدها وحش وشيطان
قد هدمتها دهاقين وصلبان

في صيف عمري فتدى العمر تحنان
ليلى بها مشرق والكون وسمان
في أضلعي من سفير الحزن بركان
وغرية حاكها وغد وسجان
قلب محب وقلب الحر بستان
وإذ بجمر الأسى روح وريحان
رجاؤها من جدا الرحمن غفران
في الصبح والليل، والأعياد برهان
فيها الضروع وودق العلم هتان
في كل صقع له رأس وبنيان
أن السبيل لنا علم وإيمان
فيها الكنوز: أحاديث وقرآن
وصانعو المجد ما خابوا وما هانوا
معلمون هم في البذل فرسان
أشجار حب لها زهر وأغصان
من غير من، وجل القوم منان

بعض الوداع لمर فقد إعلان
منا قلب حليم الرأي حيران
وقاد خطوك للجنات رضوان



د. أحمد البراء الأميري - سورية



إمام علي الشيخ وموقعه في خارطة الشعر السوداني (١٩٣٥-٢٠١٠م)



أ.د. محمد عثمان صالح - السودان

الشاعر إمام علي الشيخ - رحمه الله تعالى - كان رائداً من رواد الأدب الإسلامي، وعضواً فاعلاً في رابطة الأدب الإسلامي بمكتب السودان الإقليمي. وفي أخريات حياته كرّمته الرابطة ضمن فعاليات مهرجان الأدب الإسلامي الثالث في الخرطوم، وكان ذلك في لقاء مشهود في قاعة الشهيد الزبير محمد صالح للمؤتمرات وبحضور رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية وعدد من أعضاء مكتب البلاد العربية^(١). فمن هو الشاعر الأديب إمام علي الشيخ؟ وما مكانته بين الأدباء العرب في السودان؟

تتناول هذه الدراسة التعريف بالشاعر إمام علي الشيخ، نشأته وعصاميته، وموهبته وتجاريه وعقيدته وفلسفته وجهاده ومكانته بين الشعراء العرب وأعماله ونشاطه وتقدير الأدباء له. ولنبدأ تعريفه بالنشأة.

«نشأته»

فيها بمعلومات مهمة عن بداية حياته أجملها فيما يأتي:

يقول - رحمه الله تعالى - ولدت في يوم ٢٢ / يناير / ١٩٣٥م بحلة شبا^(٢) جوار جبل البركل، محافظة مروي، نشأت هناك وتجولت مع والدي الذي كان يعمل في الري في عدة مناطق في الجزيرة منها أبو عشر،

لا أجد أفضل من تعريف الإنسان بنفسه للآخرين. ففي علم التاريخ والسيرة الذاتية يكون الاعتماد على ما يسجله الإنسان عن نفسه أو على نفسه أكثر من أي سيرة حياة يكتبها أو يرويها عنه غيره. فقد كتب الشاعر بعضاً من مذكراته، كما أجرى معه بعض الصحفيين مقابلات^(٣) أدلى



أن طلب إمام منه إقتاعها لتسمح له بالسفر، وقد تم له ما أراد.

«عصاميته في التعليم»

ويحكي إمام قصته مع مدرسة سلاح الإشارة، وبزوغ موهبته الشعرية فيها، فنسمع عن جهاده الطويل في الاطلاع ومدارسة القرآن الكريم واللغة العربية. ويحكي عن هذه الفترة فيقول: إنه استفاد فائدة عظيمة من أستاذه الشيخ علي السراج المعروف بانتماذه لأسرة كريمة اهتمت باللغة العربية ولا تزال. ومن هذه الأسر أسرة الشيخ الطيب السراج، وابنه الشاعر الفذ فراج الطيب، والشاعر حديد الطيب السراج نائب رئيس مكتب الرابطة بالسودان حالياً.

ويواصل إمام فيقول: وكان الأستاذ الشيخ علي السراج وهو يدرس في الفصل يضع الشاعر إمام في مقدمة من يحبهم ويؤثرهم بالاهتمام، وكان من شدة حبه له يضعه في مأزق من جهة الإعراب، لكنه يشعر دائماً أنه على قدر المهمة. تخرج الشاعر من هذه المدرسة عام ١٩٤٩م.

أما عن مواصلة تعليمه بعد هذه المرحلة في مجال هندسة الاتصالات المعروفة آنذاك فيقول: إن اللواء حسن بشير - وكان نائباً للرئيس عبود^(٧) - رحمهما الله - أعجب بالقصيدة التي ألقيتها أمام الرئيس عبود فأراد أن يدخلني الكلية الحربية السودانية، لكن اللواء محمد طلعت فريد - رحمه الله تعالى - اقترح على الرئيس عبود ابتعائي لأمريكا لدراسة هندسة الاتصالات في مجال الإذاعة والتلفزيون، فكان له ما أراد، فأعفيت من الخدمة العسكرية، وسافرت مبعوثاً إلى أمريكا، فدرست فيها لعامين ونصف في معهد

٢٤ القرشي، والحاج عبد الله، ولأنني كنت أصغر الموجودين من أبنائه لم يتركني خلفه قط إلى أن بلغت التاسعة من عمري، حينئذ رجع الشاعر إلى مسقط رأسه في شبأ.

يقول: وكان جدي والدي هو العمدة جعفر مصطفى جعفر، كان رجلاً من الوجهاء يعمل في النقل بالرواحل من كريمة إلى الدبة إلى دنقلا أو إلى الخرطوم وأم درمان، وكان ختمياً قحاً رغم أن جدته بنت عم الإمام محمد أحمد المهدي^(٤). كان جدي هذا شهماً كريماً

ينحر الذبائح، ويؤوي الضيوف، سأل الله تعالى في أواخر أيامه أن يموت بين الشفيق والبقيع (في المدينة المنورة) وشاء الله أن يخرج ويموت هناك!

ويقول الشاعر إمام: قرأت أولاً بخلوة شيخنا عبد الرحيم ولد وراق، ومنها انتقلت إلى خلوة ولد الشريفي في البركل^(٥)، ثم انتقلت إلى خلوة نظامية أكبر تدرس الحساب وهي خلوة ولد الكرسي، ثم انتقلت بعدها إلى مدرسة كريمة الأولى^(٦)،

ثم بعد إكمال هذه المرحلة التحقت بمدرسة سلاح الإشارة بأمر درمان ومنحت مرتباً شهرياً وتعلمت فيها صيانة وتشغيل أجهزة الراديو وأجهزة الاتصال، وكانت في ذاك الزمان أهم الأجهزة لسلاح الإشارة. (فترة الأربعينات من القرن الماضي).

«تعليمه»

يقول الشاعر عن تعليمه: إن خاله محبوب جعفر - رحمه الله - كان من وجهاء تجار مدينة كريمة، وكان له دور مهم في مراحل تعليمه بعد مرحلة الدراسة في الخلوة وفي المدرسة الأولى، حيث سعى لإقتناع الوالدة/ شقيقته/ أن يذهب للدراسة المتوسطة في أم درمان ضمن المختارين للدراسة بمدرسة سلاح الإشارة بعد



إمام علي الشيخ



هذه النصوص وغيرها تدل على إيمانه العميق، وبقينه الوثيق الذي شكل معنى حياته وفنه.

«قصة موهبته»

أكثر ما شدني - وشد من حوله من رؤسائه - هذه الموهبة المتفجرة التي ظهرت في لحظات إلهام شعري لا يحظى به إلا القليلون، يروي عن هذه الحادثة في الحوار الصحفي الذي دار بينه وبين الشاعر الشاب أبو عاقلة إدريس والصحفي عوض الكريم المجذوب، كان السؤال: أستاذ إمام هل تذكر أول ما كتبت من الشعر؟

فيجيب: من قصائدي المبكرة جداً، وأنا في سلاح الإشارة داهمني الشعر، وكنت حين أكتب لا أشعر بما يحدث من حولي، وذات يوم في أثناء ورديتي - وأنا في عملي - إذا شيطان الشعر، بل أقول: ملاك الشعر - قد هبط علي، وبدأت أكتب قصيدة اسمها «الإله المغرور» تتحدث عن الشاعر والرسام وعن العالم وعن الإنسان، وهاجمت الجميع قائلاً:

يا شاعراً صاغ الجمال قصيدة

عصماء مزهواً بذاك فخورا

وصف الحياة شجيتها ومريها

فتناول المغموم والمسرورا

مهلاً فلا تطأ الثرى متألهاً

وتسير تيهاً أو تشط غرورا

فالله أروع منك في تعبيره

صاغ الجمال بعلمه والنورا

وأورد في الحوار باقي القصيدة التي نالت الموقع الأول في ديوانه أجنحة من نور^(٨)، يحكي القصة الطريفة أنه في قمة كتابته إذا به يفاجأ بقاءد سلاح الإشارة اللواء عمر الحاج موسى - وكان أديباً معروفاً - يدخل عليه في جولة



إيليا أبو ماضي

الراديو والتكنولوجيا بواشنطن، والتقيت هناك بالخبير الإعلامي على شمو، والأخ الإعلامي صلاح أحمد.

«عصاميته في اللغة والأدب»

استثمر إمام فترة عمله في الجيش في الاطلاع والسماع وارتياح المنتديات الأدبية، ونظم الشعر بعد أن أجاد النحو والبلاغة والعروض كما يظهر في نصوصه المبكرة المزهرة.

«فلسفته»

قرأ إمام شعر الشعراء الفلاسفة فأعجب بالمعري وأبي العتاهية، ومن المحدثين العقاد وشوقي والتجاني يوسف بشير وإيليا أبو ماضي، ولكنه لم يقع فيما وقع فيه بعضهم من الشك والحيرة والذهول، وكأنه في الأبيات الآتية من تأملاته يرد على شك إيليا أبي ماضي حين يقول:

من ترى أجمل ممن

نعوته بالفتى؟!

فهو لا يدري إلى أين

ومن أين أتى؟!

أيها الجاهل أعبد

عالمًا يدري ويعلم!!

وفي قصيدته تأملات هذه يتناول المعنى، والشرع، والرمز، والذات الإلهية سبحانه وتعالى، والإنسان والمصير، والحواس، والعقل، والفطرة، والنبوة، والغريزة، والزمن، وهي موضوعات تأملات العلماء والفلاسفة، وبدلي بدلوه الذي يقود قارئ شعره الجميل هذا إلى الإيمان، يقول عن النبوة بعد حديثه عن العقل والفطرة والحواس:

«نحن في التفسير أحزاب لذا جاء الرسول

كي يرينا المنطق الفصل فلا نغفلوا افتراء»

عقيل - أحد أبرز المثقفين حينذاك - وعلق هذا بكلمة تدل على أبلغ التقدير للشاعر وشعره.

وجاء يوم الحفل فألقى الشاعر القصيدة أمام الرئيس عبود فأعجب بها، وعلق عليها بكلام يدل على افتخاره بموهبة هذا الشاب الذي جعل العسكريين يفاخرون المدنيين في اللغة والأدب.

تدنيه:

هذه الموهبة لم تأت من فراغ، وإنما جاءت من تربية وجدانية عميقة، وقد لاحظنا أن الشاعر مرّ بتجارب تعليمية مبكرة ولاسيما في خلاوي القرآن الكريم التي تنقل بينها، وهي في منطقة عريقة في تعلم القرآن وما يحمله من لغة جميلة ترفد به الخلاوي طلابها من أدب جم، وخلق حميد، وروحانية لا تجدّها إلا في تلك المهاجع والعروضات، حمل شاعرنا كل هذا مع رصيده من الحفظ الذي بزّ به أقرانه، وجاء إلى مدرسة سلاح الإشارة في أم درمان معتزاً بهذا الرصيد، مضيفاً إليه ما يطلّعه ويسمعه من الفكر والأدب.

وأحسب أنه كان كثير السماع للمذيع بحكم مهنته في الهندسة الإذاعية، وقد قيّض الله تعالى له أن يندمج في قطاع الطلاب النشط، وقطاع المثقفين والأساتذة الذين يتحلّقون حول نادي أم درمان الثقافي ونادي الخرطوم بحري الثقافي، كما يرتادون الديوانيات الأدبية وحلقات التعارف والمطارحات الشعرية في الرحلات الترفيهية. في هذا الجو المفعم نشأ إمام في مرحلة شبابه المبكر فتغذى وغذى بشعره هذه المحافل، وكان بذلك فخر العسكريين، وكان حسن خلقه وتمسكه بدينه إضافة إلى موهبته حببت رؤساءه فيه حتى نال التكريم والابتعاث.

حرصه على صلاته:

حكى قصة طريفة مع اللواء طلعت فريد - رحمه الله

تفقدية ولم يشعر إمام بدخوله، فأخذ منه الأوراق، وذهب إلى مكتبه، فعاد الشاعر لأجهزته. وفي الصباح الباكر استدعاه القائد وباغته بالسؤال:

من أين نقلت هذا الشعر؟ فأخبره أنه من إنشائه. فلم يصدق، وقال له: لو أعطيناك ورقة وقلماً لتكتب قصيدة عن الرئيس عبود؛ فهل تفعل؟ قلت: نعم.

فقال لي: الأسبوع القادم (الخرطوم بحري) سوف تحتفل بالرئيس عبود، اكتب لي قصيدة على لسان (الخرطوم بحري) ترحب بالرئيس. فجلس الشاعر وظن قائده أن المسألة ستأخذ وقتاً طويلاً، فإذا به في برهة وجيزة يكتب قصيدة ويقول: القصيدة انتهت! فقال القائد مستغرباً: ماذا يعني انتهت القصيدة؟! فقلت له: قصيدة الخرطوم بحري تحيي الفريق عبوداً.

فنظر إلي وإلى الذي يجلس معه مندهشاً وقال لي: اقرأ، وبدأت فقلت:

هتفت تحيي شبلها وفتاها

لا يستوي من هدها وبناها

أرض أحال العابثون رياضها

صخراً وجف النور فوق سماها

أنقذتها فحملت مجهد عبثها

وظردت عنها الحائر الأواها

وتبسمت لك في الصدور خوافق

ما كنت إلا رجعها وصداها

خصتك بالحب الذي لا يشتري

والحب معجزة المسيح وطمه

هتفت حناجرهم على اسم برة

حتى القلوب تحولت أفواها

فضحك القائد وقال له: هل تعرف الجالس بجانبني؟

فقال: لا أعرفه. فقال له: هذا هو الدكتور عقيل أحمد



الفريق إبراهيم عبود



معاني الثبات في حب الدين والوطن، والمحبوب الذي خلفه وراءه في ملتقى النيلين، لم تفتته واشنطن بجمالها الصناعي الساحر، ولا الغيد فيها التي تتمشى فرادى ومثنى، لا القصور الشم ولا ناطحات السحاب كما جاء في القصيدة التي نقتطف منها الآتي:

يا شقيق البدر حسناً وسناً

هل ترى الأيام قد تجمعنا

أنت في الشرق جميل مشرق

ساهم الطرف وفي الغرب أنا

إن ذكراك التي في خاطري

تملأ الآفاق سحراً والدنا

ثم ينظر إلى الواقع الذي يعيشه في واشنطن فيقول:

أنت واشنطن يا أعجوبة

باقتدار قد سبقت المدنا

جنة الغرب ويا ذات البها

خصك الله جمالاً وغنى

تتمشى الغيد في جناتها

وروابيها فرادى وثنى

زهرة تقطف زهراً ناضراً

فتن يجذب فيها فننا

ويرتفع الحس الوطني والديني عنده خلال هذه

المنابر الخلابة فيعود به إلى أصلاته وصموده وثباته

فيقول:

رغم هذا لست أهوى جنة

لم أجد فيها لروحي وكنا

إنني من أمة قد وهبت

كل إحساس لديها الوطننا

ابن شعب عبقري خالد

في صراع يتحدى الزمنا

أين مني النيل يجري وادعاً

ضاحك الأمواج عند المنحنى^(٩)

تعالى - تدل على شجاعته وثباته، كما تدل على عظمة هذا القائد وحكمته واحترامه لدينه، فقال:

كنا في معسكر الجيش ومع أذان المغرب نودي لاجتماع فوري، وترك كل شيء مهما كانت أهميته! ودخلت في حيرة.. ولكنني قررت أن أصلي المغرب وليحدث ما يحدث! وحضرت الاجتماع متأخراً، ولمحني اللواء طلعت فريد، فانتهرني بالطريقة العسكرية العنيفة: لماذا تأخرت عن الطابور؟ فقلت: معاليك.. المغرب أذن، والمغرب وقته قصير، ولو كان (المنبه) ضرب وقت العشاء كنت أحضر فوراً، ولكن وقت المغرب لا يحتمل، فقررت أن أصلي ثم



أحضر بعد ذلك، فتظر إليّ.. وقال: صحيح.. الله.. أهم من الجيش ومن عبود!

ومن هنا أحب إمام هذا الرجل، وكان سبباً في تغيير مجرى حياته من رقيب في الجيش إلى مبتعث لدراسة الهندسة في أمريكا. قال مهنتاً لقائده بالترقية:

صحف اليوم أوردت والإذاعة

خبراً تعشق النفوس سماعة

وكان إمام عميق الإيمان فمضى في صموده الفكري والسلوكي، لم تله بهرجة الحضارة الغربية، ولم يثته فجورها وإغراؤها، وهو حينذاك شاب دون الثلاثين من عمره، بل واصل ثباته على المبدأ. وفي قصيدته «شوق وحنين» التي خطها في واشنطن ١٩٦١م تتجلى أسمى

«نشاطه الأدبي»

كان للشاعر إمام نشاط جم لم يقعه عنه المرض حتى آخر حياته، كان فخر المنتديات والليالي الشعرية، والمهرجانات المحلية والدولية. وكما أشرنا فقد اشترك شاعرنا الإمام في مسابقات شعرية محلية وعالمية منها اشتراكه في فهرسة البابطين للشعراء العرب حيث فاز بقصيدته العذراء كما فاز من بين ثلاثمائة شاعر عربي بالمرتبة الأولى بقصيدته «الإيمان»^(١٠).

صدر له من الدواوين: أجنحة من نور ١٩٦٦م، والليل الأبيض ١٩٧٦م، والنجوم الشوارد، ومجموعة شعرية ضمت هذه الدواوين وغيرها ٢٠١٠م. صدر له من الأعمال الأدبية والفكرية: الفن والجمال من منظور إسلامي ٢٠٠١م، وثورة ٦٩ يوليو التصحيحية. كتابات صحفية عديدة في: مجلة سلاح الإشارة، ومجلة الملتقى، ومجلة الإذاعة والتلفزيون، وصحيفة ألوان، ومجلة الميثاق.

«تقدير الأدباء والمفكرين له»

قال عنه عبد المحمود الكريكي: إمام علي الشيخ من فلذات كبذ الأدب الإسلامي، عبر شعره عن مشروع حياته بحرارة وعاطفة صادقة، كان إمام يتساقط رطباً جنياً على من يعرف ومن لا يعرف. كان منارة من الود والكرم والصدق والوفاء للمعشر.

وذكر الشاعر والأديب حديد السراج فضل إمام علي الشيخ فقال: عرفته قبل أن أراه، سمعت بمواقفه دفاعاً عن دينه ووطنه. عرفته صديقاً لشقيقي الراحل فراج الطيب، وعرفته عن قرب عندما انتسب لوزارة الثقافة والإعلام، عرفته من خلال ديوان شعره الليل الأبيض الصادر في ١٩٧٦م، إمام علي الشيخ مثال يحتذى في شموخه واعتزازه بإسلامه وفخره بنسبه لهذا الوطن

ثم يقول واصفاً حال قلبه بأنه في ثورة عاطفية مجنونة:

يا القلب كلما داريته
أقلق الروح وهز البدن
صارخاً في ثورة مجنونة
إن دار الغير سجن وعنا
إن بيت الطين لا تعدله
ناطحات السحب أمناً وهنا
إنني أشتاق وجهاً أسمرأ
ليس وجه البيض مهما حسناً

وإذا أردنا تقصي أسباب هذا الولع بالوطن والثبات على المبدأ فلننظر في عبقرية المكان الذي ولد فيه إمام.. في قرية شبا البركل.. محلية مروي، ولننظر في روعة الزمان الذي عاش فيه إمام، وفي البيئة الذاكرة المصلية المتفتحة التي صاغت وجدانه، إذا نظرنا إلى كل ذلك استبان لنا سر هذا الصمود.

«نماذج من شعره»

قال رحمه الله على لسان فدائي يتحدث، ولعله هو المقصود:

صنعت ذلة السجود جبيني
وتعاليت عن البكاء جفوني
أنا لم تهدم السجون أماني
ولم يخدش العذاب يقيني
ففؤادي يظل يخفق في الرحب
وإن كان مجثم في السجون
وحسامي يظل يحلم بالنصر
وإن كنت تحت ظل المنون
كيف أجثو ولا تزال دماء
في عروقي وصارم في يميني
كيف أجثو وكل ذل لفرد
غير ربي.. محرم في ديني ١٩



في شبابه أزميتين: الأولى: الانسياق وراء تقليد شعراء عصره وإن كان بالرد عليهم. والأخرى: الموقف من الجمال.. جمال الفنون والآداب التي تدور حول الجنس اللطيف - كما يعبرون هذه الأيام.

أما الموقف من التقليد فهو في تشابه الصور والتعابير الشعرية وليس في المحتوى، الأمر الذي نفاه عنه المجذوب. فقد استعار الشاعر إمام صور وتعبيرات من العقاد في قصيدته (الضحية والجلاد): عادت أغاني العرس رجع نواح. وتعبيرات من التجاني يوسف بشير في قصيدته الخلوة. يقول التجاني:

قام من نومه يدغدغ عينيه

مشيحاً بوجهه في الصباح^(١٣)

ويقول إمام في قصيدة الصبي:

قام من نومه وضيء المحيا

قافزاً كالخيال سمحاً رصيا

والفرق هنا في الصورة بين تبرم التجاني وتفاؤل إمام.

وقد تقدمت الإشارة إلى تأثره السلبي بإيليا أبي ماضي المخالفة في المعنى والمجازاة في الأسلوب والمعنى. القضية أو الأزمة الثانية هي الموقف من الجمال، جمال المرأة، وما يدور حوله من أصناف الفنون، فهو من ناحية يهوى الجمال ويرق له. لكنه من ناحية أخرى يرى أن إطلاق العنان مع الجمال فيه انتقاص لمروءة المؤمن. ولا ننس أن هذه الأزمة شكلتها صلته العملية بمجال الإعلام صحافة وإذاعة ومسرحاً وتلفازاً، وقد عمل في كل هذه الأجهزة، لذا أرى أنه خرج من هذه الأزمة من دربين: الأول: الموقف

العملاق، ووقوفه صامداً في وجه كل طغيان حتى صارت بعض أمانيه حقيقة، وكان سلاحه دوماً كلمة الحق نثراً وشعراً^(١٤).

وقال الشاعر الكبير محمد المهدي المجذوب: في تقديمه لديوانه الليل الأبيض: «والشاعر إمام من الشعراء الشباب الهادئين، فهو بلا أزمة شعرية، وأعني أنه لا يستعين بأسطورة خارجية، أو ينحدر في الأشكال المحدثّة في الشعر.. وهو يتجنبها متعمداً.. ويجد كثيراً، ويأخذ نفسه بعمل فني يقوم على موسيقى كاملة، وقافية تامة، ومعنى يشكله الشاعر.»

ويقول الشاعر المجذوب: «ثقافة الشاعر الإسلامية صافية، ويمتاز أسلوبه بالحرارة والبعد عن الضعة، وأشعر أن الشاعر مستقل الشخصية، وحاولت أن أبحث عن أثر كبار الشعراء فيه فوجدت طيفاً من شعراء المهجر وشوقي حين يقول إمام:

رعى الله الكنانة حين مدت

يداً بيضاء نحمدها دوماً

وهبت ثورة الوادي وشبت

كضوء الفجر تلتهم الظلما

ومن الأمور المهمة التي أحب إثباتها هنا هو أن الشاعر لم تلفحه الثقافة الأجنبية، وهذا يعطيه سمة رائعة بين شعرائنا من الشباب، والذي منحه التفرد في هذا هو قوة الموهبة واختيار الذوق الخلاق^(١٥).

«الشاعر إمام بين التجديد والتقليد»

بالرغم من أن شهادة الشاعر محمد المهدي المجذوب برأت (إمام) من التقليد أو الأزمة الشعرية عند شباب ذاك الجيل: فإني للحق أقول: إن إمام واجه



الشخصي من الجمال. والثاني الموقف الشرعي وهو الرجل المتدين.

«الأول: إمام والجمال»

لئن عبر الشاعر إمام علي الشيخ عن جلال الله تعالى وعظمته، وثبت على نصرة دينه، فقد برع وأبدع أيضاً في وصف الجمال.. جمال الله تعالى، وجمال الكون، بل وجمال الإنسان. قال في جمال الله تعالى:

من ترى أحكم ممن

وهب الكون اتساقه

سير البدر الذي يز

هو بلا غاز وطاقة

إن في هذا النظام المحض ما ينبيك عنه

* * *

من ترى أجمل ممن

صور الوجه الجميل

وأعد الزهر عطراً

والصبان سماً عليل

والطيور الصادحات للحن من أجمل منه

وفي جمال الكون الذي صنعه الله تعالى، يقول مخاطباً الرسامين:

يا من رسمت الكون في آياته

في لوحة أبدعتها تصويراً

ورسمت فيها الماء لوناً زاهياً

وأبنت فيها بالمداد زهوراً

مهلاً فلا تطأ الثرى متألهاً

وتسير تيهاً أو تشط غروراً

فالله أبدع منك في تصويره

وهب الرياض ملاحناً وعطوراً

وهب الكنار غناءً وصداحه

وأحال بالماء الموات نضيراً

فاعبد إلهك إنه صقل الندى

سحباً وأودع في الثقاب سعيراً

وفي جمال الإنسان يقول في قصيدة الناسك:

ويعلم الله كم عانيت من قمر

حلو المقاطع رخو الكف والقدم

يرنو إلي بأجضان مسهدة

تشكو الهيام ولا أنبيه عن ألمي

يهزني بقوام جل صانعه

مثل القنا وحديث ساحر النغم

«الموقف الآخر في أزمنة الشعرية»

هو ما أشرت إليه بالموقف الشرعي من الجمال، وقد طالت أزمنته حتى آخر العقود من عمره، بين أن يصف الجمال كما في قصيدته (القمر السابح) وبين تسكه كما في قصيدته (عاشق الروح) التي يقول فيها:

سلمى ويا ذات الجمال

الغض والحسن المباح

أنا لا أخاف من الجمال

ولا تتيمني الملاح

أقول: خرج إمام من هذه الأزمنة الشعرية يبحث رصين عنوانه: «تأملات في الفن والجمال من منظور إسلامي»، نشرته الإدارة العامة للثقافة والإعلام بولاية الخرطوم عام ٢٠٠١م.

والحق يقال: إن هذا الكتيب الذي يقع في بضع وستين صفحة بحث جيد تناول فيه الجمال من منظور إسلامي في الكون والإنسان والحيوان.. في الكتاب المنظور، وفي الكتاب المنشور (القرآن الكريم)، ثم الجمال في السنة النبوية، ثم بين خطورة الجمال مستشهداً بقصة سيدنا عمر بن الخطاب مع نصر بن حجاج^(١٤). وتناول الزبي والزيينة في الإسلام، وخطورة الغزو الثقافي في الغناء والمسرح... إلخ.



وختم بحثه بأن الجمال الذي تعبر عنه الفنون كافة لا بد له من قيم ضابطة وهي القيمة الروحية، والقيمة الخلقية، والقيمة الجمالية.

ويتمثل ذلك في: تأكيد إنسانية الإنسان، وتثبيت التصور الإيماني، وتقديم القدوة الحسنة، وتقجير الطاقات والملكات الإبداعية، والترفيه المباح، وإبراز التاريخ الإسلامي والملاحم الوطنية.

ثم يدعو إمام لوضع البنية الأساسية لفنون جمالية إسلامية في شتى المجالات المسرحية والغنائية والمعمارية^(١٥). وهكذا يتجاوز إمام أزمته الشعرية.

في الخاتمة أقول: إذا كانت أول قصيدة نظمها في التاسعة عشرة من عمره تدل على عميق إيمانه وشاعريته، فإن آخر قصيدة حملت ذات القوة والثبات على الإيمان والتفاؤل بنصر الحق وهزيمة الباطل. يقول:

إن النذالة والضلالة كلها

واه، وكل طريقها مسدود

دعموا التمرد بالسلاح ليهزموا

إيماننا وليركع التوحيد

لكن هذا الدين فوق ضلالهم

يحميه عدل شاهد... وشهيد

مهما تلون مكرهم وفعالهم

فالنصر فوق لوائه معقود

رحم الله إمام التقى والصبر والإيمان.. شاعرنا إمام علي الشيخ، وأنا أوصي بدراسة أوسع له ولشعره، فهو يمثل روح الأدب الإسلامي الحقيقية، كما أوصي بإعادة طبع مجموعته الشعرية حيث إن الطبعة التي وقعت في يدي بها مجموعة كبيرة من الأخطاء، ولا تليق بهذا الشاعر الفذ وشعره الرصين. والله المستعان ■

الهوامش:

- (١) ملف أسبوع الأدب الإسلامي الثالث ٢٠٠٧م (الذي أقيم بالتعاون مع جامعة أم درمان الإسلامية). الخرطوم، محرم ١٤٢٨هـ.
- (٢) مجلة الميثاق، الخرطوم، أغسطس ٢٠٠٨م، صحيفة الشاهد، الأحد ١٩ صفر ١٤٢٢هـ، ٢٢ يناير ٢٠١١م، صحيفة ألوان، يناير، ٢٠١١م.
- (٣) شيبا (بكسر الشين، وباء وألف) قرية قديمة قدم حضارة مروي وجبل البركل من قبل الميلاد بقرون.
- (٤) محمد أحمد بن عبد الله، ادعى المهديّة بالسودان، وقاموا الحكم الأجنبي، وأقام دولته وعاصمتها أم درمان عام ١٨٨٥م. وأما الطريقة الختمية فهي نظام صوفي أنشأه السيد محمد عثمان الميرغني تلميذ السيد أحمد بن إدريس المغربي.

- (٥) الخلوة مركز تحفيظ القرآن للتلاميذ وهي من الاختلاء عن الناس للذكر والحفظ. انظر كتاب البروفسور أحمد علي الإمام، الخلوة والعمود، الخرطوم ٢٠١٠م.
- (٦) المدرسة الأولية آنذاك تعادل الابتدائية أو مدرسة الأساس.
- (٧) حكم الرئيس إبراهيم عبود السودان من نوفمبر ١٩٥٨م إلى أكتوبر ١٩٦٤م في انقلاب عسكري أطلق عليه ثورة نوفمبر وأطيح به في ثورة شعبية هي ثورة أكتوبر ١٩٦٤م.
- (٨) أجنحة من نور أول دواوين الشاعر طبع عام ١٩٦٧م الخرطوم، ثم يليه الليل الأبيض.
- (٩) منحى النيل يشمل المنطقة التي فيها خزان مروي ومنطقة شيبا وجبل البركل حيث ولد الشاعر.

- (١٠) قصة إيمان قصيدة رائعة فازت في مسابقة المركز الإسلامي الأفريقي (جامعة أفريقيا العالمية بالسودان). ديسمبر، عام ١٩٨٧م.
- (١١) انقلاب الشيوعيين في السودان جاء بعد خلافهم مع الرئيس نيميري - رحمه الله - يوليو عام ١٩٧٠م، وقد حركنا مع الأخ إمام - رحمه الله - أولى المظاهرات ضد انقلاب الشيوعيين في أم درمان والخرطوم حتى ذهبت حركتهم أدراج الرياح في يومين فقط.
- (١٢) مقدمة مجموعة إمام الشعرية، ٢٠١١م الخرطوم.
- (١٣) التجاني يوسف بشير، ديوان إشراقة (عدة طبعات بالخرطوم).
- (١٤) تأملات في الفن والجمال من منظور إسلامي، ص ٢٠.
- (١٥) المصدر السابق، ص ٦٥-٩٦.

المسجد الأقصى أولى القبليتين وثالث الحرمين



محمد ياسر أمين الفتوى - سورية

بترك الطهر قد شفت خلاياه
عتقت فيه مبرات مكرمة
وما ونى الزمن المرموق يتحفه
وأورق الذكر ترتيلاً بأضله
أولى التوجه للرحمن قبلته
وثالث الحرمين الصبح يكنفه
تفتض أيامه عن كل منقبة
وحسبه رفعة إذ كان منطلقاً
وجل أن رسول الله طاف به
وحسب معراجيه منه لمعزة
فسل عن الصبح إذا غابت مطالعه
فارتج (مسجدنا) مما أصيب به
وقد أبى تزفر الأحزان أهته
ولاذ في خشعة الإيمان تتجده
هو الأسير وما لانت شكائمه
حراسه المؤمنون الباذلون دما
هم الحماة يقاضيه همى لهف
وحوله أمة الإسلام ترمقه
والعرب في حمأة الأهواء بأسهم
كل يمرغ في مستنقع مقت
وجذر الحزن في أرجاء (مسجدنا)
فعاد يسأل عن شمس تطالعه
وهل يعود (صلاح الدين) يعتقه
وتكشف الغمة الغماء عزمته
لكننا وائتلاق النور في دمننا
ونحن في حومة الميدان نمهره
سمح ويحفزه في بذله ظماً
يحق حقاً فلا تكبو مطامحه
أجل وربى فليس الأمر في حلم
فالنصر نقطفه من أوج سدرته

وحبك الجمر لم تبخس سجاياه
فما خبا الوهج في ذرات فحواه
من كل رائحة أغلى هداياه
وراق نورا بما أوحى به الله
وجل فضلاً بما ضمت حناياه
ووقدة الروح أجلى في مصلاه
من الهداة ويسمو البوح أوفاه
لمقصد جل أبعادا بمرماه
مناجيا فتملى الكون نجواه
قد بوائته سنام الحق اعلاه
وقد أحاط الحمى ليل تغشاه
وهاله الخطب أقساه وأدهاه
وروض الحزن فيما تنضر الآه
نعمى التهجد في ضنك بلوناه
وإن تناوبه قهر فعاناه
فما استكانوا ولا هانوا ولا تهاوا
فلا يحد بحب الله معناه
حسيرة الطرف لا عز ولا جاه
مبدد يتوارى في رزاياه
وجذر الهون في ضعف لزمانه
وقد توغل في الإيلام جُلاه
بأعذب البشر في آفاق دنياه
وتبت الزرع مخضلاً سراياه
ويسفر الحق في أبهى مزيائه
فلن يللم عن إشراق مسعاه
بما يجود بأغلاؤه وأسخاه
ولن يحرف عن أمجاد منحاه
ولن تضن بما يرجو ضحاياه
ولا محال يرى فيما حلمناه
بما اعتقنا هواه واعتقدناه



الغريب والكلاب

— صديق حامد نزاركي - العراق —

بقليل، اشتدّ النباح شيئاً فشيئاً،
ثمّ بدأ الهجوم نحونا.
ها هو الغضب آت،
كأنّها قطع من الذئاب فيه
الأبيض والأسود والمرقّع.
والله! لولم يكن معي هؤلاء النفر
من أهل القرية، لكانت تمزّقتي
إرباً إرباً، كنتُ أتوسطهم وهم
يدفعون عني هرج كلابهم من
جميع الجهات.
أستاذ.. كلابنا ضارية!
نعم! إنّها على حقّ، إنّها تؤدي
ما عليها من واجب بكلّ إخلاص،
ومن أعماق قلوبها.
كيف يا أستاذ!
انظروا، كيف تحمي القرية
من الغرباء!.. آه.. آه.
نعم.. صحيح، لكنّ أما ترى،
حتى مع الضيوف؟
هذه كلاب!.. لها كلّ التقدير،

داري. نعم.. لأذهب.
مرّة أخرى أتعلى بهواء القرية،
وأنتعش بمائها العذب، أواكب تلك
الأيام السالفة من العمر.
فبعد مسيرة الساعات الأربع
من النقطة التي استطاعت
السيارة أن تقلّنا إليها، وبعد
إرهاقٍ مضنٍ جرياً من جبلٍ إلى
آخر، ومن صعودٍ إلى نزول، مرّة
نمشي على الثلج، وأخرى على
أوحال الطريق..
وصلتُ مع أفراد من أهل
القرية في أمسية متأخرة، إلى
المرتفع المطلّ عليها.
ما أن لاحظتُ شخوصنا لكلاب
القرية، حتى بدأ النباح، وهبّت
الكلاب من كلّ أرجاء القرية،
كأنّ كلّ واحدٍ ينادي صاحبه،
وانتهى الجمعُ إلى مقدمة القرية،
كان عددها أقلّ من بيوت القرية

حقاً.. إنّ القرية التي عيّنتُ
فيها بعيدة(*) وعلى الحدود،
لكن لا بأس.. يطيب لي كثيراً أن
أختفي فيها حولاً، وأبتعد عن عيون
البلد.. ها هي ذي يدي على قلبي
كلّ لحظة، لا أعرف متى أبتلي
وأصبح ضحية تقرير حاسد أو
شاهد زور، في ظل هذه الظروف
التي أعيش فيها!
حسنًا.. سأذهب.

لعلّي أهوّن من قلقي، ويطمئنّ
بالي زمنًا، وأنام صافي الفكر
لا أحد يتجسس علي، أو يسترق
السمع ليعلم ماذا أفعل في عقر

إنها لا تتخلى عن حقها لأحد، انظر كيف لا ترى أمام أعينها أحداً، لاستعادة حقها منه، ودفاعاً عن القرية من تهديد الغرباء؟

نعم! نعم! فتحن في أمان بها، ثق أنها تمنع كل شيء من القرية، اللصوص، السباع، الأوغاد.. إنها مسعورة.

يا ليت كل من يدعي الإخلاص يكون مثلاً في مشاعرها، ويجعلها ثورة في كيانه، انظروا.. كيف تدور حولنا للنيل مني، وأوشكت أن تأخذني من بين أيديكم! وتقول:

من أين لكم هذا الأفتندي؟ كيف يدخل القرية ونحن على قيد الحياة؟

بهذا الهرج والضجيج، دلفنا باب بيت المختار وكان في مقدمة البيوت، بعد أن تجمع أهل القرية علينا، وبشرهم ضجيج كلابهم بأن معلماً جديداً قدم لمدرسة القرية، بديل الذي كان من قبلي.

بعد برهة من الجلوس، خطر ببالي أول سؤال هو: كيف كان المعلم القديم يدبر الأمر مع هذه الكلاب؟ بادر إلى ذهني هذا السؤال، لأن هؤلاء النفر الثلاثة كانوا يدرؤون عني أذى الكلاب بكل مشقة إلى أن وصلنا إلى القرية..

كيف كان يستطيع معلمهم الخروج والتجوال؟ والله يا أستاذ إن الكلاب عضت ساقه مرتين أو ثلاثاً، كنّا نرافقه دائماً في ذهابه وإيابه. كلابنا ضارية (أردف الثاني) لكن لا تخف، يا أستاذ.

هذا الكلام شد علي الخناق، وأربعيني أكثر.. كيف أتجول في القرية؟

لقد قلت.. وكان في ظني، أنني سأترك البلد لأستريح، لم أكن أعرف أن المصير سيكون كمن يستجير من الرمضاء بالنار.

همد الهرج قليلاً وتفرقت الكلاب، لكن كلب المختار ظل هائجا لا يبرح باب البيت، وكلما سمع صوتي جنّ جنونه.. فلا يهدأ.. كاد أن يخطفني من عقر الدار.

لا زلت أهذي مع نفسي.. كيف أتدبر حالي في هذه القرية؟.. مالي والعيش مع الكلاب؟.. كيف أصل يومياً إلى المدرسة، أو أذهب لقضاء حاجة؟ ناهيك أن أقوم في جولة حرة بضواحي القرية.

كنت أضطر كلماً خرجت من البيت أن يرافقني شخص أو شخصان، شاء أم أبى، يحفظني من أيدي قطاع الطرق الجدد، لأن الاحتراز لم يكن من قبل كلب واحد، بل كلماً نبج أحدها، عمّ الصوت أرجاء القرية، وتكالبت علينا، فكثيراً ما كنت أسأل ما إذا كانت الكلاب في طريقي أم لا، فكان بعضهم يبدو ضاحكاً، والآخر خجلاً، لأنني أعاني الأذى منها.

عليّ أن أعالج الأمر، كيف يمضي الوقت هكذا؟ فليس هو مكث يوم أو يومين.. إنها سنة كاملة.. فالأجدر بي أن أخذ بيدي عصاً وأطرح بها أرضاً كل كلب يقصدني، لكن هذا ليس سبيل العلاج! قد تتمكن الكلاب مني وتؤذيني أكثر.. فماذا أعمل؟

فكرت أن أتدبر الأمر بسم زعاف حتى لا يبقى كلب واحد في القرية؟ ولكن هذه الطريقة أيضاً ليست حلاً. ماذا أقول لأهل القرية؟ ثم إنه لا يليق بي هذا العمل، ثم ماذا؟ الأزم البيت، أعتكف فيه ولا أخرج إلى أن تنتهي السنة الدراسية! وهذا أيضاً

لا يجوز! هل أسجن نفسي في البيت بقية العام؟ في أحد الأيام كنت مرافقاً المختار في إحدى ضواحي القرية. وأنا في حيرتي. فإذا بمجموعة من كلابها هجمت علينا، وبالأحرى علي لا على المختار.



لم يقبل الأكل من يدي، حينما قدّمته له، بل احمرّت عيناه غضباً، واستعد للمنازلة كأنه يقول: أنا أتناول الطعام من يد غريب مثلك؟ لا فرق بينك وبين الذئب في هذه القرية!! وأنا أيضاً أقول: وعد مني أن لا تأكل الطعام إلا من يدي.

تركتّه جائعاً، وكررت الطلب من بيت المختار أن لا يطعموه.

إنّ الشتاء والتلج، فليس من السهل أن يتوافر الأكل للكلب إلا من يد إنسان، وفي تلك الأيام اشتد سعار الكلب، وأنا جوعته أكثر.

حظيت بشاة ميتة، كانت مكسباً جيداً لمهمتي، في الصباح قطعت منها الفخذ وناديت الكلب وقد أنهكه الجوع! نظر نحو باب غرفتي الملحق ببيت المختار، وكان بجانبه ابن صاحبه، فوثق قليلاً، ثم نهض وأقبل نحو الفخذ مع زمجرة ساخرة، تشي بأنه على كبريائه، اقتربت منه قليلاً، ثم رميت الفخذ أمامه، وتراجعت سريعاً خلف الولد، تسمرت قدماه وظل يحرق بي، بقدر ما أقول في نفسي: كيف أقضي الأيام الباقية مع كلاب هذه القرية؟

ترد عيناه:

وكيف أتغافل للغرباء ليطمئنوا داخل القرية؟ وخاصة حينما أرى (أفندياً) يخلب العقل، فكيف أتناول الطعام من أيديهم؟

ولكن على وجه الاضطراب اشتم الفخذ وأخذه جانباً، بدأ يأكل كارها دون رغبة.

عرفت أنني أخذت برأس الخيط، وقضيت على الكلب الضخم، وإن شاء الله.. بعد اليوم أسير في القرية مطمئناً من شرّ كلابها ولو دخلتها بيتاً بيتاً.

في اليوم التالي ناديت الكلب وتركت الباب نصف مفتوح خوفاً من أن يهجم علي، ثم أخرجت قطعة

كان من بينها كلب ضخّم، ولما اقترب منا الهجوم وقف الكلب الضخم فجأة، فوقفت الكلاب الأخرى مسمرة الأقدام!

سألت المختار: ما بالها وقفت هكذا فجأة؟

أجاب: إن هذا الكلب الضخم هو كلبي، وهو أقوى من كل كلب في القرية، وهي جميعاً تخافه! انظر حينما وقف: وقفت الكلاب إثره... إنه (كرزو) هو كلبي النشط المسعور.

- طيب!.. لقد عرفت.

قلت في نفسي: جيد، إن مشكلتي مع كلاب القرية انتهت، وأصبحت سهلة.. فلأجعل من هذا الكلب حارساً أميناً لي من كلاب القرية، وستزول مشكلتي مع الكلاب الأخرى..

في اليوم التالي تحدثت مع بيت المختار قائلاً: أنتم تعرفون مشكلتي مع كلاب القرية.. فأرجو منكم من اليوم فصاعداً أن لا تطعموا كلبكم، لأنني أريد إطعامه بيدي، لكي يتألف معي، حيث لا أستطيع التجوال في القرية، ولا أقدر على الذهاب إلى المدرسة، أو الرجوع منها خوفاً من أن تهاجمني الكلاب، وتخرش ساقي عضاً.

قالوا: فليكن كما تريد يا أستاذ، حقاً.. نحن أيضاً نشعر بذلك، ونخاف أن يؤذي الكلب، ونستحيي منك.

لقد تعلمت أولاً.. كيف أنادي (كرزو)، وتعودت مضطراً على إجابة نغمة الصفير المتبع هناك لاستفزاز الكلاب، كي أروضه مثلهم، وهم بدورهم تركوه جائعاً.

ناديت ابنهم وقلت له: اصطحبني لأطعم الكلب، لأنني وحدي لا أتجرأ.

فأجاب: حسناً يا أستاذ، حقاً إنه جوعان.



من لحم الشاة من تحت الثلج
الذي قد داهم المنطقة وغطى
كل أرجاء القرية، ولوّحت بها
له، أقبل مرحاً ومع زمجرة
ثائرة، رميت له تلك القطعة..
فراح ينظر إليّ وإلى قطعة اللحم
ويشمها.. ثم أخذ يتردد..
هل أكل أم لا؟
كأنه قال: حسناً إنني

مضطر..

كن وفيّاً .. فقد تصادقتا معاً، ستأكل اللحم من
يدي يومياً، وسأقلّدك زمام كلاب القرية، هل فهمت
مني؟

آسف! إنّه كلبٌ.. وأظن أنه لم يفهم شيئاً.
في الصباح فتحت الباب، رأيته باسطاً ذراعيه
أمام الباب ينتظر اللحم.. ما إن رأيته حتى نهض
وعيناه تبوحان بالجوع والاشتهاء.
دفعت كتف الشاة إليه فالتقمها، وبدأ يأكل دون أن
ينظر إليّ، ومن خلال تهافته على الأكل قربت رجلي
من فوق رأسه، بدا عليه علامات عدم الرضا، لكنني
كنت أمهله، أداعب رأسه برجلي، أيقنت أنه يستنكر
هذه الدعابة بالزعنفة والتمشيط ولا يهمه أن رجلا
فوق رأسه أم لا..

.. هيا.. انهض وانصرف.. كي تتعود الإهانة
والطرْد.. ها..! لماذا لا تذهب؟؟ استطببت المكان؟ هل
خدر الطعام رأسك، والتهيت به؟ والله.. لو أن أرجل
أهل القرية كلها فوق رأسك فلن يحرك عندك من
الغيرة قيد شعرة، ولا يتعكّر مزاجك عليك!
يا كرزوا! في نيتي قريباً أن أسافر إلى خارج
الوطن، فإذا ذهبتُ أحببت أن أصطحبك معي،
ونذهب إلى دولة أوروبية، لترى هناك، كيف أنهم
يقدرّون الكلاب.

لم تمض ساعة، ناديته مرةً أخرى، رأيته يهزّ
ذيله! عرفت أنّه نزل من كبريائه قليلاً، وهو يحقد
بي.

.. ها!.. ماذا تريد؟ تَبّاً لك.. لأسمّنك من
أديمك، ثمّ أجعلك تأكل طعامك على عتبة داري،
وسوف تتوسل كي أمنحك كسرة خبز، وأناديك
بإشارة الأصبع.. امض.. لا أعطيك شيئاً في هذه
المرّة!.

بعد العشاء خرجت من البيت، أحببت أن أظهر
له ليراني في الليل، لأن الكلاب في الظلام تتسرّع
أكثر.

ناديته.. وما إن سمع صوتي، حتى تخيلت له
صورة اللحم، فتقدّم نحوي وهو يهزّ ذيله، وقد هدأت
تلك الزمجرة إلى هدير لطيف، لكن..

.. إنني لازلت على هيبتي.. فهل تناولني مقداراً
آخر من اللحم، لا ضير أن أزمجر قليلاً.

وما إن ألقيت له الفخذ الثانية، حتى تناوشها
بقفزة مفرحة وأكلها في موطنٍ قديمه.

نوى الانصراف، قلت له مهلاً، تعال.. فقد آفكت
بمشقة وبيالغ الصعوبة!.. ألهيته بالنهنية والمزاح،
أملأ أن يعرف صوتي ويسمعي بهذه الكلمات:



أخرجت الكتف من تحت الثلج ووضعتة في كيس النايلون الشفاف حتى يراها، هيجته برائحة اللحم ولونه وعرفت أنني أمنتته.. أمشيته خلفي حتى أوصلته إلى المدرسة، وبما رأني كلاب القرية، في الطريق وأمام باب المدرسة، تحرشت بي مرة أخرى، ولكنها فوجئت واندهشت، بأن (كرزو) الضخم معي، وأنا ألوح له باللحم وأمازحه، وقف كل كلب في مكانه ينظر إلى (كرزو) علّه يتحرش بي فيدع لهم الفرصة لذلك.. لكن لم يصدر منه صوت ولا حركة.



الكلاب تعيد النظرة إليه، ثم نحوي والغضب يتطاير من وجوهها، أوشكت أن تقول:

كرزو! كيف ومتى أصبحت صديقاً للأفندية الغرباء! وأيان غرك هذا؟!

يا للعجب!... أردف الآخر: متى أضلك هكذا؟

البارحة كان هذا الأفندي الغريب ذئباً عندنا في القرية، انظروا كيف صار محبوباً له؟ نعم.. نعم نعرف أن اللحم أرمد عينيك في هذا الشتاء.

ليس هذا ببعيد!.. شامت وجوهكم، كفاكم نباهاً، إذا عرفتم أن النباح لا يجدي نفعاً، فما الفائدة منه؟

والله إن الأفندي الغريب قد أضلك، يتراى ذلك من عينيك، لكن ماذا نفعل بسفيه مثلك؟

في كل مرة كنّا نستنفر ونستفز لنجدتك، وكنّا يبدأ واحدة، وقلباً واحداً، وكلمة واحدة.. ماذا حل بك؟

نظر كرزو تجاه الكلاب، وأصدر صوتاً خفيفاً وكأنه يقول لها:

ها ها ها.. السفية من لم يذق اللحم هذا الشتاء!..

احمرت العيون في رؤوس الكلاب من شدة الغضب والهياج والزمجرة، اختلت موازين الرؤى

مكانك! مهلاً أصغ إليّ..

هناك تصبح كلب اليوم والعصر، بدل اسمك وتعلم لغة أخرى، نعم.. شرائح لحم الخنزير، شراب، أمور ودعوات أخرى.. فيها الحرية كما تشاء وتحلم به!!

احلق شواربك، غير لونك بمئات الألوان، اجعل من نفسك ذكراً أو أنثى بحرية

ها... لا تزمجر، أنت الذي تغيرت سريعاً هكذا في عقر دارك، فلا بد أن يجري عليك أعظم منه في أوروبا.. وأنت لها.

لا تقل، صاحبي أو قريتي! أو حظيرة الماشية! فهناك الحماوات والشقراوات تنسيك الجوع، وهذا الثلج وأشباح الغرباء كلها. ولك بعد سنين، أن ترجع يوماً، زائراً كلاب القرية.. أستاذاً ومربياً، لتعرفك حق المعرفة.. والآن اذهب.. اذهب، وحين

الظهيرة أنت مدعو إلى الكتف الثانية للشاة، لكن ليس هنا بل على باب المدرسة، حتى تتعرف عليّ هناك أيضاً... إذن اذهب الآن!.

في الظهيرة رجعت إلى البيت، دون أن أناديه، رأيته على باب البيت يهز ذيله، فعلى مرأى منه

في الظهيرة رجعت إلى البيت، دون أن أناديه، رأيته على باب البيت يهز ذيله، فعلى مرأى منه

في الظهيرة رجعت إلى البيت، دون أن أناديه، رأيته على باب البيت يهز ذيله، فعلى مرأى منه

في الظهيرة رجعت إلى البيت، دون أن أناديه، رأيته على باب البيت يهز ذيله، فعلى مرأى منه

بُكَاءُ النخيل

عبد الرحيم الماسخ - مصر

سمعتُ بكاءَ النخيل
كما سمعتهُ الصحابةُ بعد انتقال الرسول
إلى منبرٍ بعدَ جذع
بكى فزعاً
هبط المصطفى فأتاهُ، احتواه
فهنه بين يديه
كنهه الطفل بين يدي أمه
هابطاً من قطار الكوابيس
يبكي النخيل
فلو حاصرتهُ الحرائقُ أطفأها بالدموع
ويغرسُ في الشمس أهدابه
ويديرُ مظلاته هابطاً
لا يقول: اتركوا الطمي لي
وخذوا الشهد
يعرفُ أن حصاراً بحجم الردى لا
يفسرُ رؤياه
والليل لا تحتوي مقلتهُ رياح السبيل
بكى النخل، مات بُكَاءُ
لأن الرسول قضى
ترك اليتم للظالمين - و قد فقدوا
الأرض - ماء.

عندها، كل واحد منها أصبح ندّاً للآخر، ومن
شدة الغضب لم يعد أحد يعرف صاحبه، فيقدر
ما تضايقت من الجوع، أسعرها الغضب أكثر، ولما
رأت أنها لن تشفي غليلها، تهاششت فيما بينها،
لتصب جام غضبها على أنفسها.. مما ذقت من
ضيق وإهانة من الأستاذ وكرزو.

فمن عنف العراك.. قلبت الوحل فوق الثلج
من تحت أقدامها، وكل من يبطح أرضاً كان الكل
تخرشه وتمزقه.

هَبْ أهل القرية ولكن لا أحد يستطيع الفصل
بينها.

. ما الذي حدث؟

. ما هو السبب.. وما هذا؟

. يا أستاذ! لم يصدر من كلابنا هذا يوماً، ولم

تتعارك بينها هكذا؟

أخيراً.. تفارقت بمشقة.. فمنها المدمى
والجريح، ومنها مكسور الرجل، ومنها من لا زال
مطروحاً أرضاً. انتهت المعركة ولم ألوح باللحم
لكرزو!

بدلاً منها ألقيت له كسرات من الخبز، تظاهر
بالأكل دون اشتها، وظلت عيناه تنظران إلى
اللحم.

ناديته بإشارة من أصبع...

. هيا لنذهب!

قام وتبعني كأنه يقول:

- لا أنقض هذه الصداقة ولو أطمعني كسرات

الخبز.. لا أنقض! ■

(*) كتبت هذه القصة باللغة الكردية، وألقيتها في أمسية أدبية
في اتحاد أدباء الكرد/ فرع دهوك، ونشرت في مجلتها
(بيف)، ثم أعدت صياغة القصة باللغة العربية.



ولد حسين نصار في ٢٥ أكتوبر ١٩٢٥م، وهو أديب ومؤلف ومحقق ومترجم مصري، عمل في عدد من الجامعات المصرية والعربية، شغل منصب رئيس الجمعية اللغوية المصرية، والجمعية الأدبية المصرية، وكان عضواً في عدد من الجمعيات العلمية واللغوية والأدبية والثقافية الأخرى. له تسعة كتب مترجمة من الإنكليزية، ومؤلفات حول الكتابة الفنية في الأدب العربي، وأعجاز القرآن الكريم.

الناقد الدكتور حسين نصار: (الأدب الإسلامي)

اللغة العربية اليوم يتيمة بين أهلها

وطه حسين والزيات والمازني وشكري، ولطفي السيد، وبسبب هامش الحرية الكبير المتاح لهم.. أصدروا مشاريعهم الفكرية والثقافية والأدبية الكبرى، وصارت آراؤهم متداولة ومنتشرة، وملأت كتاباتهم الصحف والمجلات عن كافة القضايا.. فأين نحن من هؤلاء ومما أعطي لهم من حرية؟

نعم، حدث تغيير في المجتمع اليوم، التغيير الأول: أن عدد الذين تلقوا قسطاً من التعليم حالياً أكثر مما كان في السابق، وعدد المتخرجين جامعيًا أكثر، وكذلك أعداد الحاصلين على الدكتوراه. إذن فالوسط الثقافي الراهن ارتفع عما

◀ القامات الثقافية بين عهدين:

■ لكن قامات اليوم الثقافية تتضاءل كثيراً أمام الجيل الماضي؟

هذا حق، كان هناك لفيف من الرواد والعظماء من قبيل: الراجحي والعقاد وشوقي وحافظ والبارودي



حوار: صلاح حسن رشيد - مصر

■ ما هو تقويمكم للوضع الثقافي الراهن مقارنة بفترة الستينات مثلاً في مصر؟

■ الوضع الثقافي اليوم جيد، وهناك فعاليات ومنتديات، وحركة دائبة في النشر والترجمة، وهي أفضل من الستينيات، وأذكر هنا أنني كنت عضواً في الجمعية الأدبية المصرية التي أغلقت بعد ذلك، وعندما أراد يوسف السباعي أن ينشئ اتحاد الكتاب المصري.. حاول أن يفرض علينا في الجمعية رأيه بأن اللجنة الوحيدة المسؤولة عن الأدب هي اتحاد الكتاب وليس الجمعية.. لكننا لم نستجب له مطلقاً!

■ هامش الحرية اليوم ضئيل جدا مقارنة بجيل الرواد.

■ لا أدعو لحدثة لم تقرأ الأصل.. واكتفت بالنقل والاستيراد!

وشمول، لا أوافق عليه، لأن الاتهام نسبي وليس على إطلاقه! إلا أنني أتصور أن خطأ هذه التيارات يرجع إلى أن من يتصدى لها، يكتفي بقراءة مترجمات لها وعنّها، ولا يراجع أصولها بنفس لغتها الأصلية، وهنا ممكن الخطر والصعوبة، وسوء الفهم، والقراءة غير الواعية! (١)

■ ■ تعاني «العربية» من غربة حقيقية بين أهلها، وجحود ونكران من قبل البعض الذين يرمونها بأقذع الاتهامات.. فهل العيب في اللغة أم في القائمين على أمورها؟!

■ العيب في المجتمع، وليس من المسؤولين.. فالكل اليوم يحقر اللغة العربية.. من أعلى هرم السلطة حتى أصغر فرد في البيئة العربية! ولقد سمعت حكاية مفادها إن إحدى السيدات أرادت أن تقدم لابنها في إحدى المدارس الخاصة، ذات الرسوم الباهظة، وعندما قابلت مدير المدرسة، استعرض أمامها المواد الدراسية التي سيدرسها ابنها، ومن بينها اللغة العربية، فردت بـ «شمتزاز: أنا أتيت به،

التيارات لا بد أن تطبق في المكان الصحيح وعلى الشيء المناسب لها. وكمثال على ذلك، نقول: لنفرض أن شيئاً صدر عن قواعد مأخوذة من اللغة الإنجليزية، ومن نفس صميمها وجوها الفكري.. إن ذلك، لا يمكن تطبيقه على القواعد العربية! وليس معنى ما تقدم أنني ضد الحداثة ومذاهبها، فأنا أوافق على أي جديد يطبق على الأدب الحديث أو القديم، لكن لا بد أولاً من فهم المذهب الجديد فهما شاملاً ودقيقاً في لغته الأصلية، وكيف يستعمل هناك؟ وعندما يراد استيراده للأدب العربي.. علينا أن نحسن التطبيق. فأنا مع أي جديد ينير أدبنا، ويثري قضاياه وأغراضه ومضامينه، لكن العكس إذا كان هذا المذهب الأجنبي غير مفهوم من نقادنا، أو أن تطبيقهم خاطئ، فلا بد من الاعتراض على ذلك.

■ ■ وما رأيكم في ثلاثية الناقد الراحل عبدالعزيز حمودة التي عرّت وهاجمت الحداثة؟!

■ شيء طيب، لكن اتهامه للحدائثين العرب بالنقل فيه عموم

كان عليه قبل ذلك. ومن هنا لا تبرز أية فروق جوهرية بين علمائنا حالياً، وما كان موجوداً في السابق!

ناحية أخرى.. إن الحرية عظمت من قيمة وأداء هؤلاء الرواد، وأذاعت فكرهم هنا وهناك! أي أن القدر الذي تمتع به هؤلاء من الحرية للتعبير وإبداء الرأي أكثر بكثير جداً مما يتمتع به مفكرو هذا العصر، في كل مجالات الحياة.

■ ■ ما هو موقفكم من قصيدة النثر في ظل وجود تيار يُشايعها ويضاهرها؟!

■ اعتراضي عليها علمي.. فما هو معناها؟! خاصة أنها تحطم المصطلحات الأدبية فليست هي قصيدة، ولا هي نثر، هي شيء هجين، لا من هنا، ولا من هناك! وأرى أنها نثر فني، لا سيما أن هذا اللون شاع في تراثنا الأدبي، وكتبه عمالقة كالرافعي مثلاً! هي شيء ضد الشعر وضد النثر! << كيف نطبق الحداثة الغربية هنا؟ >>

■ ■ وهل تتابع الكتابات النقدية الحديثة؟! كالبنيوية والتفكيكية، والتلقي والأسلوبية.. وهل ثمة اعتراض عليها؟!

■ أنا لا أعارض على أي لون من ألوان النقد الحديث، الذي يصدر في أوروبا ويطبق عندنا. لكن سؤال يحتاج لإجابة، وهو: متى نطبق ذلك؟ وأين.. وإلى أي جهة يصدر؟! بمعنى أن هذه



■ أخطأ من نادى بعصر الرواية؛ لأن عصرنا هو

عصر الشعر والرواية!

■ جهود الدكتور الراحل عبدالعزيز حمودة في نقد الحداثة مشكورة، حيث قرأ الأصل.

باللغات الأخرى.. ونزديها إلى هذه القضية عامة تستدعي جهود الجميع، الدرجة؟! هناك آفة أصابتنا، وجعلتنا وليس فصيلا واحدا. نتفنج بصورة مرضية.

■ وهل ترى أن المشهد الشعري العربي المعاصر يسير بخطى متميزة؟

■ لا غبار عليه، لكن مساحة الحرية الممنوحة، هي التي تتيح تفجير الطاقات، ولو اتسعت رقعتها، لقرأنا أشعارا رائعة.

■ للدكتور جابر عصفور مقولة «زمن الرواية» في مقابل «زمن الشعر» راهن من خلالها على ريادة الرواية الآن، وانزياح الشعر من عليائه، هل توافقونه على ذلك؟

■ أنا ضد كلامه، وضد من رد عليه، وهو الدكتور عبداللطيف عبدالحليم، لأن عصرنا هو عصر الشعر والرواية معا! والأدب حمال أوجه! ثم إن الدكتور عبدالقادر القط اعتبر «الدراما» المبتوثة في التلفاز هي ديوان العرب اليوم! ■

(١) هذا ما اطلع عليه باقتدار في لغته الأصلية العلامة الراحل عبدالعزيز حمودة فأفاد كثيرا.



عبدالعزیز حمودة

«مهام مجامع اللغة العربية»

■ لكن هل ترى دور المجامع اللغوية العربية، وعلى رأسها المجمع القاهري.. يصب في خانة الإيجاب أم السلب بالنسبة لهذه القضية المحورية؟

■ المجمع القاهري، وكذلك المجامع الأخرى، نجحت في مهمتها، خاصة في وضع المصطلحات والألفاظ، وتيسير النحو والصيغ العربية. إلا أنني أرى أن العربية لن ترتقي طالما أننا ننظر إليها نظرة دونية، فقضية اللغة

ودفعت له كل هذه المصاريف بالدولار ليدرس اللغة العربية..!

يا سيدي.. «العربية» يتيمة بين أهلها، الذين انعدم وعيهم الحضاري والسياسي لأهميتها، وباتوا يרטون باللغات الأخرى، مهملين لغة القرآن، وأفضل لغة على ظهر الأرض! وعلى فكرة.. اللغة مثل «العلم».. وهل تقبل أن أي إنسان يدنس علم أي دولة عربية؟ بالقطع لا، لأنه رمز وشعار لها، كذلك اللغة العربية، رمزنا ومصدر هويتنا! ومما أستغرب له كثيرا، أن هناك قانونا مصريا بأن تكون المخاطبات بين الشركات بالعربية، والترجمة إلى الإنجليزية، لكن هذا لا يحدث، لأن المكاتبات تتم باللغات الأجنبية، فلماذا لا يتم تفعيل هذا القانون عربيا؟

■ بماذا تعلق على ما تردد في الصحافة العالمية من أن شارون رئيس الوزراء الصهيوني السابق انزعج نتيجة إهمال الشباب الصهيوني اللغة العبرية، واستخدامهم اللغة الإنجليزية على الإنترنت؟

■ هناك وعي وإدراك لأهمية المحافظة على اللغة القومية، وهو وعي غير موجود لدى الساسة! وإذا كانت العربية هي سادس لغة في الأمم المتحدة.. فلماذا نهملها في محيطنا الداخلي.. ونتيه إعجابا



وجوه..

وجوه

— نورة البقمي - السعودية —

ومنهم من تجمعك به مقاعد الدراسة، وتتمنى لو أن الفصل يصبح دهرًا لاستمتاعك بمحادثته وصحبته ولبافته.

ومنهم من تجتمع معه أيضًا على مقاعد الدراسة، وتجر الكلمات جراً من جوفك عند الحديث معه في أي مناسبة.. لا ضير فالأرواح جنود مجندة..!

والطلبة الذين يتعلمون، فيهم الحريص، والمجتهد، والنابعة الذي يبحث عمَّن يضيء له سراج المجد، وينفض الغبار عن أفكاره، ومنهم من ينحدر في الضلال، والانحراف عن جهل أو عمد، وتحاول أن تعيده إلى جادة الصواب، فالمعلم إنسان ومؤمن ومربٍّ.. قبل أن يكون معلماً، والتعليم هو تربية في المقام الأول.

لازلت أذكر كلمة إحدى الزميلات عندما قالت: وأنت ما علاقتك.. أتحرقت الطالبة أم كانت سوية؟! أنت معلمة.. اشرحني درسك وامشي!!، ينتهي عملك بانتهاء وقت محاضرتك..!

لازلت أؤمن أن مهنة المعلم تفوق كل المهن وإن حاولوا إقناعي بالعكس.

ولا زلت أؤمن أن بداخل كل منا بذرة طيبة وإن أظهر خلاف ذلك.. تحتاج إلى من يزرعها في تربة الأمل، ويسقيها بالتفاؤل والثقة بالله، وسينعم بأحلى الثمار - إن شاء الله - وإن طال الزمان ■

في هذه الحياة نحن في رحلة كما يقولون، ونمر بمحطات عدة فيها الخير والشر، وفيها الحسن والقبيح، والعظيم والحقير، ومن الظلم أن نبخسها حقها، ففيها من الحسنات الشيء الكثير.. نتعرف على أناس منهم من رفعته الألقاب، وبعجلته ووضعته على كرسي أكبر منه بكثير، ويسع معه اثنين أو ثلاثة.. بدا قزماً على ذلك الكرسي، وإن أوهم الجميع بعظمته، وكبر قدره!!

ومنهم من رفعته أخلاقه عالياً، وأنزلته مؤهلاته، ولم يعد ذلك الكرسي الصغير بكفء له، أراه قد حُسر فيه حشراً، وصُيِّق عليه لأنه لا يشبههم، ولا ينتمي لجلدتهم أياً كان لونها.

ومنهم البسيط الذي يتحدث في أمور المجتمع كما يراها هو من وجهة نظره الشخصية بعيداً عن تعقيد الياثسين، وتبسيط المتفائلين، العجيب أنه ينهل من خبرة شخصية قد طحنتها الأيام طحناً، وعجنتها وصنعت منها خبزاً لذيذ الطعم.. ومَرَّ الطعم في آن واحد! والأعجب أننا نوافقه الرأي، وإن كنا لا ننظر من زاوية نظره، ولا من محيطها..! ومنهم الذي تراه مرة وتشعر أنك تعرفه منذ زمن، ويُطبع اسمه في ذاكرتك القريبة والبعيدة!! تشعر أن بينكما معرفة قديمة أبدية، تشعر أنه يشبهك تماماً، بoudك لو يطول اللقاء لتجرع منه صفاء روحك.

ومنهم من تراه كل يوم، وفي كل مرة تطلب منه أن يذكرك باسمه الذي نسيته في زحمة أشغالك، وربما إهمالك!!

من قضايا النقد العربي القديم: الاستقلالية والانفتاح



الطيب رحمانى (*) - المغرب

التأثر والتأثير ضرورة من ضرورات الحياة تنبثق عن سنة الاختلاف التي جبل عليها الإنسان. والحضارة الإسلامية في طريق توسعها تجاوزت مع مختلف الحضارات التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وحاولت اكتشاف ما تكتنزه من مؤهلات علمية يمكن أن تكون لها سندا لاستكمال مشروعها الناهض، غير أن بعض الباحثين ساروا في درب تهويل حجم التأثير اليوناني في الحضارة الإسلامية، وانتهوا إلى القول بتبعية الأدب العربي للمنطق الأرسطي والفلسفة اليونانية.

ولعل هذه النتيجة قادهم إليها تصورهم الخاطئ لقانون التأثير والتأثير، فراحوا يبحثون عن أوجه التشابه بين الأدب العربي والأدب اليوناني ليحكموا بأخذ اللاحق عن السابق، وينتهوا إلى نتيجة حاسمة مفادها أن الأدب العربي أخذ كثيرا من أصوله عن الأدب اليوناني.

إن هذا المدخل سيقودنا لا محالة إلى نتيجة إيجابية تقدر التأثير والتأثر قدره المناسب، وتحفظ للذات خصوصيتها وتميزها، وهي: إن النقد العربي نشأ في كنف

(*) أستاذ اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي، حاصل على شهادة الماستر في الآداب تخصص النقد الأدبي العربي المناهج والمصطلحات، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الأول بوجدة-المغرب.

«بؤادر الانفتاح العربي على المؤثرات الأجنبية»

اقتضى التوسع الجغرافي الذي شهدته الحضارة الإسلامية أن تدخل في حوار مفتوح مع مختلف المكونات الثقافية السائدة في تلك الفترة وفي مقدمتها التراث الفكري اليوناني، غير أن هذا الحوار كان منضبطا بعدة ضوابط أهمها الاعتزاز بامتلاكات الذات وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث الشريف اللذان شكلا دعامة قوية لانطلاق حركة الإبداع الأدبي ومدها بألوان أدبية جديدة.

ويمكن الحديث عن بوابتين رئيسيتين ساهمتا في دخول المعطيات الأجنبية إلى الوسط العربي الإسلامي، وهما:

الشعوب غير العربية التي دخلت في حضن الإسلام، ونقلت معها شيئا من تراثها الفكري، ومارست نوعا من التأثير في الوسط الاجتماعي الإسلامي، وقد عُرِفَت هذه الفئة بالموالي.

العلماء المسلمون الذين حاولوا الاطلاع على تراث الأمم الأخرى، من خلال الترجمة، والقراءة، والشرح، والتلخيص... قصد الاستفادة والتوظيف فيما يخدم النهضة العلمية التي كانت تشهدها الحضارة الإسلامية.

وقد شكلت البوابة الثانية حلقة الوصل القوية بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، ومن جملتها التراث اليوناني الذي كان قد استنفد قواه، وأبرز محتواه مجسدا فيما خلفه أصحابه من مؤلفات في مختلف التخصصات، ومن ضمنها الأدب الذي كتب فيه أرسطو كتابيه المشهورين «الخطابة» و«فن الشعر». ونظرا لمكانة الكتّابين لدى الباحثين في قضية التأثير والتأثير، نقف عند أهم ما ورد فيهما من أفكار يمكن أن تكون قد تسربت إلى الأدب العربي:

الشعر، وانبثق من مجمع الشعراء، أي إنه كان أصيل النشأة والمنبت.

إن تطوره واكب التحولات التي شهدتها الحياة العربية، وأبرزها مجيء الدين الجديد الذي أعاد صياغة الحياة بما في ذلك الشعر العربي.

إنه حافظ على أصالته رغم جميع التطورات التي تلاحقت بعد فترة الحكم الراشدي وأثرت بشكل كبير في الأدب العربي.

إنه تعزز بنشاط حركة التأليف، فظهرت فيه مؤلفات متخصصة تقعد للتجارب الأدبية من منطلق أصيل.

جميع هذه الملاحظات المسجلة على نشأة النقد العربي ومراحل تطوره تؤكد أنه استوى قائما دونما حاجة إلى دعم خارجي، وكيف تلجئه الحاجة وهو وليد بيئة ذات خصائص لغوية وحضارية قوية كانت تمدّه بمؤهلات الأخذ بمجامع الكلام وتفتيق الأحكام ودقة استصدارها، في إيجاز عجيب واقتصار على ما يحصل منه المطلوب.

وصحيح أن الحضارة الإسلامية في طريق توسعها واجهت ثقافات الأمم الأخرى، ولكنها استطاعت أن تتعامل معها من مركز قوة بفضل ما توافر لديها من مميزات أمدها بها الدين الجديد، وقد رأينا كيف هرع اللغويون والنحاة إلى تععيد اللغة على إثر ظهور بؤادر اللحن على ألسنة الناس.

لقد تحدث كثير من الباحثين عن ظهور مؤثرات أجنبية في الأدب العربي، ولكنهم اختلفوا في تحديد طبيعة التأثير ووجهته، والفترة التاريخية التي سجلت ظهوره... وهذا ما يدعو إلى المزيد من البحث بهدف تمحيص الرأي في هذه القضية التي حاول بعض المفرضين استغلالها لأهداف بعيدة عن طبيعة البحث الأدبي وحقيقته.



١- كتاب فن الشعر:

أهم ما ورد فيه حديث أرسطو عن الشعر الملحمي، وأنه قائم على مفهومي المحاكاة والتطهير:

-المحاكاة: مصطلح مركزي حول مفهومه يدور الكتاب، إذ «على أساس المحاكاة أفاض أرسطو في شرح النواحي الفنية للأجناس الشعرية، وقد ربط بين النواحي الفنية ورسالة الشعر الاجتماعية والخلقية، بل لم يُعن بدراسة النواحي الفنية إلا لأنها تشدذ إدراك النواحي الاجتماعية والخلقية التي يهدف إليها»^(١).

إن المحاكاة بالنسبة لأرسطو هي أصل الفعل الإنساني، وبها يتميز الإنسان عن الحيوان إذ بها يدرك المعرفة، ويحس بالمتعة.

التطهير: إذا كانت المحاكاة متعلقة بالإنسان المبدع في محاولته تشخيص واقع مشحون بالآمال والآلام... فإن مفهوم التطهير يرتبط بالجمهور وعلاقته بشخصية البطل في «التراجيديا»..

حيث يتأثر ذلك الجمهور ويتعاطف مع البطل ويحس بالشفقة والرحمة تجاهه.

ويعتبر أرسطو المأساة الخيط الرابط بين المحاكاة والتطهير، ونقطة التوتر التي تجمع شخصية المتلقي بشخصية المبدع، وتحقق الاندماج بينهما. فالمأساة أو «نظرية التراجيديا»^(٢) هي موضوع كتاب الشعر، وإن كان أرسطو يتعمق في معالجة هذه النظرية من خلال عرضه لثلاثة أنواع أدبية هي: الملحمة والمأساة والمهابة، إلا أنه ربطها برباط وثيق مع الفعل الدرامي، ولعل هذا راجع إلى طبيعة البيئة التي كان يستقي منها أفكاره، وهي بيئة وثنية تقوم على تعدد

الآلهة وتمجيد الأبطال، ومن ثم شكلت مجالا خصبا لنشاط الشعر الملحمي القائم على المقاطع، والمشاهد التي تصور الصراع الدرامي بين الأبطال.

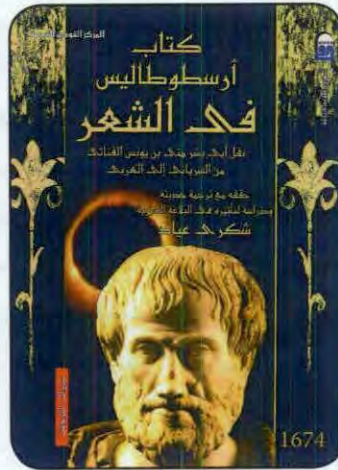
(٢) كتاب الخطابة:

يضم ثلاثة أجزاء ناقش خلالها أرسطو ما انتهى إليه خطباء اليونان. وقد وظف أرسطو المنطق في كتابه هذا، واستعان بعلم النفس مما جعل المباحث البلاغية فيه محكمة بطابع منطقي تقعيدي ينأى بها في أحيان كثيرة عن روح التجربة الإبداعية التي تميل إلى الذوق الفني غير المحكوم بقيود القواعد المجردة.

وعموما يمكن القول: إن كتاب «فن الشعر» كان أكثر عمقا من كتاب «الخطابة» نظرا لما تميز به من ملامسة دقيقة لفنون القول الشعري، بعيدا عن قيود المنطق التي حكمت كتاب «الخطابة».

لقد جسد أرسطو بهذين الكتابين أبرز نموذج وشاهد على ما حققه الفكر اليوناني من أبحاث رائدة في مجال النقد الأدبي جعلته ينتصب في طريق كل طالب حكمة، من هذا المنطلق كان من شبه المستحيل أن يضرب علماء المسلمين صفحا عن هذا التراث، وهم في طور نهضة شاملة تستدعي منهم النهل من شتى مشارب المعرفة.

وكانت الوسيلة المناسبة للاطلاع على التراث اليوناني هي الترجمة، وشكل السريان أعظم حركة للاتصال بين الثقافة الهيلينية والعالم الإسلامي^(٣) حيث تزعم حنين بن إسحاق (ت: ٢٦٤هـ) مدرسة للمترجمين العرب والسريان، ولم يقتصر عمل هذه المدرسة على ترجمة الكتب الفكرية والأدبية، بل



تعدى ذلك إلى الاهتمام بمختلف العلوم من طب ورياضيات وفلك وتاريخ...

وكان من جملة ما ترجم في هذه الفترة كتابا «الخطابة» و«فن الشعر» لأرسطو، وليس ثم تحديد دقيق لتاريخ هذه الترجمة، غير أن الأول ترجم من قبل حنين بن إسحاق (ت: ٢٦٤هـ) والثاني ترجمه متى بن يونس (ت: ٣٢٨هـ) مما يدل على أن الترجمة كانت متأخرة نوعا ما عن مواكبة المراحل المتقدمة لنشأة النقد العربي، أضف إلى ذلك أنها كانت

عاجزة عن تقديم أفكار واضحة للنقاد العربي عن طبيعة التصور اليوناني للظواهر الأدبية، نظرا لما شابها من تجاوزات، فهي ترجمة كما يقول أمجد الطرابلسي- تعكس كل النقائص التي يمكن أن تعلق بعملية نقل يقوم بها شخص بعيد عن أن يكون متقنا للغة التي يصوغ بها ترجمته...»^(٤)

لقد وقع متى بن يونس في الخطأ وهو يترجم المصطلحات

الخاصة بالمأساة والمهابة...» لقد ظن أن الفيلسوف اليوناني يتحدث عن الشعر بموضوعاته فترجم التراجيديا (المأساة) بمعنى صناعة المديح، والكوميديا (المهابة) بمعنى صناعة الهجاء»^(٥).

لقد كانت الترجمة السيئة عاملا مهما من العوامل التي حالت دون إدراك النقاد العرب للأفكار الواردة في كتاب الشعر، خصوصا وأن الأدب العربي لم يكن يعرف الأشكال الأدبية اليونانية.

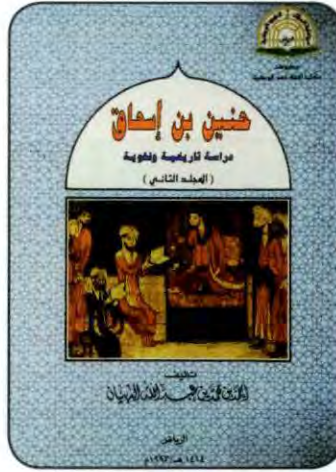
ومهما يكن فإن الانفتاح العربي على التراث اليوناني كان انفتاحا محدودا بضوابط جعلت منه فعلا علميا إيجابيا يستفيد من المعطيات الأجنبية في

حدود ما ينمي قدراته الإبداعية، ولئن كانت العلوم الأخرى (الطب والفلسفة والفيزياء والرياضيات...) قد حظيت بحيز وافر من الترجمة والتعريب، فإن حظ النقد لم يتجاوز حدود نتف قليلة مع ما شابها من اختلال، كما أن التفوق العربي الكبير في هذا الميدان حال دون تسرب مضامينها إلى المؤلفات العربية إلا في حدود ضعيفة.

«مظاهر التأثير اليوناني في النقد العربي»

لا يكاد يختلف اثنان في أن الفلسفة اليونانية كانت سباقة إلى التسرب إلى الفكر العربي، ولعل ذلك راجع إلى طبيعتها التجريدية القائمة على طرح الإشكالات، وتوظيف الأسلوب الحجاجي لحلها ومعالجتها، وغير خاف ذلك الصراع الذي خاضته الفرق الإسلامية مع مختلف الطوائف الشاذة التي حاولت التشويش على العقيدة الإسلامية، وبما أنه «لم يكن للعرب عهد بأدوات الجدل الذي برع فيه

أهل الملل والنحل القديمة... فقد استعانوا بالمنطق اليوناني»^(٦) ومن هذا المنطلق كان للمتكلمين قدم السبق إلى توظيف المنطق لدعم أسلوبهم الحجاجي في مواجهة معارضهم، وقد مثل المعتزلة هذا الدور أدق تمثيل لما عُرفوا به من براعة في الحجاج، وتضلع من فنون البلاغة التي كانت تجري على ألسنة الأدباء، ومن ثم كانت أبحاثهم نواة لانطلاق حركة أدبية ونقدية جديدة تستفيد من الفلسفة والمنطق لصياغة قوائم، وسن حدود تحيط بالعملية الإبداعية، وتميل بها نحو التعميد والتقنين، غير أنه ينبغي أن لا نبالغ في هذا الأمر مبالغة طه حسين



إن عرض كلام المتنبي هذا على أشعار الرجلين يوضح بجلاء مدى اهتمامها بفن الحكمة والتأملات الفلسفية المجردة، مقارنة مع شعر البحري وغيره من المطبوعين الذين تميز شعرهم بالبساطة والعفوية.

أما فيما يتعلق بنقاد تلك المرحلة فتقتصر على نموذج واحد كثرت الأقاويل حول تأثيره بالفكر اليوناني واختلفت الآراء وتعددت، ويتعلق الأمر بالكاظم البغدادي قدامة بن جعفر (ت: ٣٢٧هـ) صاحب «نقد الشعر»، وفيما يلي عرض لأهم الملاحظات المسجلة حوله من قبل الباحثين المحدثين:

يقول بدوي طبانة: «في نقد الشعر نصوص تدل على وثيق صلة مؤلفه بالفكر اليوناني... وذلك ككلامه عن الحد والنوع والجنس والفصل والذات والعرض، وكلها مصطلحات منطقية مما وعى عن المعلم الأول»^(١٠). ويستشهد الباحث بحديث قدامة عن الطبيب اليوناني جالينوس وكتابه «أخلاق النفوس»^(١١).

شكري عياد يعتبر صانع قدامة في «نقد الشعر» نتيجة مباشرة لطبيعة المرحلة، ومحاولة جريئة لتوجيه النقد العربي وجهة جديدة للبحث عن القوانين العامة لا الاحتكام إلى الذوق^(١٢).

وقريب من هذا ما ذهب إليه غازي يموت في: نظرية الشعر عند قدامة بن جعفر^(١٣). واعتبر طه إبراهيم، قدامة أصدق مثال للذهنية التي تأخذ مطلقا بالثقافة اليونانية^(١٤)، ووافقه إدريس الناقوري بقوله: «وما يدرينا أن قدامة كان

الذي ذهب إلى أنه: «وُجد في ذلك الوقت بيانان أحدهما عربي محافظ لا يقرب الفلسفة اليونانية إلا في كثير من التحفظ والاحتراس، والآخر يوناني يجهر بالأخذ عن أرسطو»^(١٥).

ليس أحد بمقدوره أن ينفي الأثر اليوناني جملة وتفصيلا عن بيئة العرب المهتمين بالفلسفة في ذلك الوقت، كما أن لا أحد يسلم بمقولة وجود تيار يوناني خالص (رغم أنه عربي المنبت) على اعتبار أن المتأثرين أنفسهم كان لهم نصيب من التمسك بالأصول، لا يصدهم عنها صاد كائنا ما كان، وكيف يرغبون عن تلك الأصول التي نهضوا للدفاع عنها وحمايتها من أطماع الطامعين وكيد الكائدين من الشعوبيين وأصحاب الأهواء الضالة؟

وإذا كانت الترجمة المبكرة قد أساءت تقريب الفهم لكتابي أرسطو، فإن تلاخيص الفلاسفة المسلمين حاولت تغطية النقص عن طريق صياغة الأفكار الواردة فيهما، وقد كان أقدم تلك التلاخيص تلخيص الفيلسوف يعقوب الكندي (ت ٢٥٢هـ)^(١٦) إلى جانب تلخيص ابن سينا وابن رشد المتأخرين.

ولا شك أن هذا الاحتكاك بالفكر اليوناني - مهما كان حجمه - قد نجح إلى حد ما في التأثير في الأدباء والنقاد العرب، حتى ظهر منهم من يتمثل بعض الأفكار الفلسفية وينادي بضرورة التجديد، ومن هؤلاء أبو تمام الشاعر الذي عاصر الكندي، والمتنبي الذي عاصر الفارابي، وهو القائل: «أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحري»^(١٧).



قد جسدا طبيعة الأدب اليوناني القائم على الفعل الدرامي والمشخص للعقيدة الوثنية.

«العوامل المساهمة في محدودية التأثير اليوناني»

إن المطالعة المتأنية لنصوص النقد العربي القديم تكشف باللموس ضعف التأثير اليوناني، وقد رأينا كيف نشأ النقد العربي في بيئة عربية خالصة في كنف النصوص الأدبية التي مثلت قمة الأداء الفني في تاريخ الأدب العربي كله (أي نصوص الشعر الجاهلي)، ولعل هذا واحد من بين العوامل



التي كانت تقف في وجه التأثير بالوافد الأجنبي، إذ كيف يعقل أن يتنازل العرب عن مكانتهم - وهم قمة البلاغة والفصاحة - لصالح نزر قليل من الأفكار المنطقية والأشكال الأدبية.

لقد ووجهت أفكار أرسطو برفض شديد من قبل

يفكر بدافع من طموح ذاتي في أن يصبح أرسطو الإسلام، وأن يسلك نهج المعلم الأول في التفكير والتأليف»^(١٥)

وعاب محمد مندور على قدامة إغراقه في الأخذ بالمنطق اليوناني، واعتبر ذلك خروجاً عن تيار النقد العربي.^(١٦)

أما أمجد الطرابلسي فقد تحفظ من المغالاة في القول بتأثر قدامة بالفكر اليوناني، لأن الرجل لم يكن على علم باللغات، واطلاعه كان بواسطة الترجمة، ولا غرو أن يكون شأنه في التأثير شأن نقاد مرحلته^(١٧)، وقريب من هذا الرأي ما ذهب إليه عباس أرحيلة، فبعد أن استعرض آراء الباحثين عقب بالقول: «إن قدامة كان يعتبر المنطق آلة منهجية لا جنسية لها ولا حدود، فوظف تلك الآلة لخدمة تراثه»^(١٨). وانتهى الباحث إلى أن حضور الأثر الأرسطي في «نقد الشعر» كان باهتا^(١٩).

من خلال هذه الآراء يبدو أن هناك شبه إجماع على تأثر قدامة بالفكر اليوناني، وأن البعض قد غالى في البحث عن الأثر اليوناني لدى قدامة، حتى راح ينسب كل لمحة تشم منها رائحة المنطق إلى الفكر اليوناني.

ولعل المتفحص لكتاب قدامة يدرك بجهد يسير أخذ الرجل بالمنطق اليوناني لكن في حدود ما كان يراه مناسباً لميدان النقد ومساعداً على سبر أغوار النصوص، بمعنى آخر: إن قدامة كان يبحث عن الوعاء المنهجي الذي يستوعب العملية النقدية، ويخرج بها من حيز الأحكام الانطباعية المباشرة، وقد وجد شيئاً من هذا في المنطق اليوناني.

إن غياب مصطلحي المحاكاة والتطهير عن «نقد الشعر» يجعلنا نقول من حدة القول بتأثر قدامة بالفكر اليوناني، على اعتبار أن هذين المصطلحين



أن بيئته التي ترعرع فيها بيئة وثنية قائمة على تعدد الآلهة وتمجيد الأبطال في مقابل البيئة الإسلامية المستندة إلى التوحيد وتشجيع العمل الجماعي بين أفراد الأمة... بمعنى آخر أفكار أرسطو لم تجد التربة المناسبة لنموها في البيئة الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى عاملَي الترجمة والنقل اللذين سبق الحديث عنهما، وقد رأينا كيف ساهمت الترجمة السيئة في إغراض النقاد العرب عن مطالعة الآثار اليونانية التي ظلت غامضة وغير ميسرة للاستيعاب.

كل هذه العوامل وغيرها كانت تحول دون الالتفات القوي للنقاد العرب إلى الآثار اليونانية، فكيف يصح الحديث عن ظهور تيار يوناني خالص في ذلك الوقت؟ لا يكون الحديث إلا تجاوزاً خطيراً هدفه التشويش على موكب النقد العربي، وهو في طريق نشأته قصد إلحاقه بالغرب في العصر الحديث.

ولا أحد ينكر اتصال العرب بغيرهم وأخذهم ببعض ما أنتجه، ما دامت الضرورة العلمية والتاريخية تفرض ذلك، غير أن هذا لا ينبغي أن يقود إلى القول بالتبعية المطلقة التي تلغي كل الإمكانيات والخصوصيات الذاتية، وتنتهي إلى الانصهار والارتقاء في أحضان وإمكانات وخصوصيات الآخرين، ولعل هذا ما أكدته طه حسين حين قال: «أما نحن فقد تأثرنا من غير شك باليونان والرومان والهنود والفرس، ولكن من المستحيل أن يزعم زاعم أننا مقلدون وليس غيراً. فشمسية العرب ظهرت قوية في الشعر والنثر والعلم، لا يقال عنا: إننا مقلدون

الأدباء والنقاد المتشبعين بمطالعة النصوص العربية القديمة، فاعتبر الباحثي الأخذ بالمنطق تكلفاً يقيد الشعر ويحط من قدره، يقول في ذلك: (٢٠)

كَلَّفْتُمُونَا حَدُودَ مَنْطِقِكُمْ

وَالشَّعْرَ يَغْنِي عَنْ صَدَقِهِ كَذِبُهُ

وَلَمْ يَكُنْ ذُو الْقُرُوحِ يُلْهَجُ بِالْ

مَنْطِقِ مَا نَوْعُهُ وَمَا سَبَبُهُ

وَالشَّعْرُ لَمْ يَكْفِ إِشَارَتَهُ

وَلَيْسَ بِالْهَذَرِ طَوَّلَتْ خُطْبَتُهُ

وعاب ابن قتيبة على بعض الأدباء إغراضهم عن القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي الخالص إلى منطق دخيل أجنبي «له ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم» (٢١).

أما الجاحظ فكان يستند إلى فكرة مفادها أن البديع مقصور على العرب، وقد خصهم الله تعالى به... وقد جسد الجاحظ بذلك رأس المدافعين عن الأدب العربي في وجه المتهجمين عليه من

الشعوبيين الذين اعتبروا العرب دخلاء متطفلين على مسرح الحياة المدنية المتحضرة... ولعل هذا ما دفع ابن المعتز أيضاً إلى تأليف كتاب البديع ليؤكد من خلاله تجذر فن البديع في النصوص العربية قديمها ومحدثها.

إن طبيعة الأدب العربي ذاتها كانت تحول دون رغبة النقاد العرب في الأخذ والتلقي عن أرسطو، فالشعر العربي غنائي يختلف عن الشعر اليوناني الذي شكل منطلق أرسطو وهو يخط أفكاره النظرية، وهو شعر ذو طبيعة درامية قائمة على التمثيل، كما



أخذنا من غيرنا، ولكننا لم نكد نأخذ من غيرنا، حتى أسفنا ما أخذنا أولاً وهضمناه ثم محونا»^(٢٢).

«خاتمة»

نخلص مما سبق إلى ما يأتي:

تعد قضية «التأثر والتأثير» واحدة من جملة قضايا الأدب العربي القديم المثارة على منبر النقد العربي الحديث، وقد تعددت في معالجتها الآراء واختلفت في مقاربتها المواقف، وهذا دليل بَيِّن على أن القضية ما زالت تحتاج إلى مجهودات جادة، وأبحاث صادقة تكشف عن حقيقة الاتصال العربي بالأمم الأخرى بهدف تحديد حجم التأثير الذي لحق الأدب العربي القديم. ولعل المدخل الصحيح لتلك الأبحاث يكمن في

فإذا تم تصحيح المدخل أمكن الوصول إلى نتائج صحيحة، ولا شك أن القول بتفوق المسلمين حضارياً في القرون الوسطى، مما يسجله التاريخ ومن ثم فاتصالهم بغيرهم كان بدافع محض الاستفادة والاطلاع، وليس للحاجة والتقليد. كان التأثير اليوناني - وغيره - محدوداً في الأدب العربي نظراً لعدة عوامل أبرزها المؤهلات البيانية العالية التي كان يتمتع بها الأدباء العرب، والتي مكنتهم من هضم المؤثرات المناسبة، وتجاوز المعطيات الخاصة بالأمم الأخرى.

الهوامش:

- (١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص: ٦٣، دار العودة، بيروت ١٩٨٧.
- (٢) الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين، عباس ارحيلة، ص: ٢١٣، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.
- (٣) «الأثر الأرسطي» عباس ارحيلة، ص: ٢٥٥.
- (٤) نقد الشعر عند العرب، أمجد الطرابلسي، ص: ٧٨، دار توبقال الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٣م.
- (٥) العمل الأدبي بين الذاتية والموضوعية، مصطفى علي عمر، ص: ١٧، دار المعارف، ط٣، ١٩٩٢م.
- (٦) الأثر الأرسطي، عباس ارحيلة، ص: ٢٥٤.
- (٧) البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، تمهيد طه حسين «نقد النثر» المنسوب إلى قدامة، ص: ١١، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- (٨) البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص: ٧٥، دار المعارف، القاهرة.
- (٩) العمل الأدبي بين الذاتية والموضوعية، مصطفى علي عمر، ص: ٢١.
- (١٠) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، بدوي طيانة، ص: ١٥٠، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣.
- (١١) المصدر نفسه، ص: ١٥٤، وانظر «نقد الشعر» لقدامة، ص: ٩٤.
- (١٢) كتاب أرسطو طاليس في الشعر، ترجمة وتحقيق شكري عياد، ص: ٢٨٧، دار الكتب العلمية، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
- (١٣) نظرية الشعر عند قدامة بن جعفر، غازي يموت، ص: ٢٣، دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- (١٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه إبراهيم، ص: ١٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (١٥) المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس الناظوري، ص: ٣١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، الجمهورية الليبية (طرابلس) ط٢، ١٣٩٤ - ١٩٨٤م.
- (١٦) النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، ص: ٧٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر (ب.ت).
- (١٧) نقد الشعر عند العرب، أمجد الطرابلسي، ص: ٨٧.
- (١٨) الأثر الأرسطي، عباس ارحيلة، ص: ٤٠٨.
- (١٩) المصدر نفسه، ص: ٤٠٩.
- (٢٠) ديوان البحري، مجلد ١، ص: ٢٣٤، دار صادر - دار بيروت، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م، (ج.١).
- (٢١) أدب الكاتب، ابن قتيبة، ص: ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢ ١٤١٧ - ١٩٩٤م.
- (٢٢) المجموعة الكاملة، مجلده (الأدب والنقد) طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت (ب.ت).



لقاء بعد حين

القافلة إلى القدس الشريف، وحطت في أسواقها، وبالدات في سوق الجمعة، وبدأ تجار الجملة يتفحصون ملح القريات الصخري، فممنهم من اشتري، وممنهم من عاين، وممنهم من أوصى القافلة بأنواع معينة للرحلة القادمة.

باع التجار ما حملته إبلهم قبل صلاة الجمعة، وبعدها توجهوا إلى المسجد الأقصى لأداء الصلاة.. وأي صلاة في مسجد تشد إليه الرجال!!

لم ينبهر أحد من القافلة بالمسجد الأقصى ومسجد الصخرة كانبهار عبد الله، فهم قد اعتادوا على رؤيته مرة أو مرتين في السنة، ولكن الفتى المكي سرعان ما أسمع من حوله عبارات: ما شاء الله! تبارك الله!

انقضت صلاة الجمعة، وخرج الجميع من المسجد إلا عبد الله



خليل محمود الصمادي- فلسطين
تمر بصراعات بين الأشراف والملك الجديد الذي وقفت جيوشه على الحدود الشرقية من مكة المكرمة بانتظار الاقتحام.

سار عبد الله مع القافلة باتجاه القريات حيث سبّيع هناك بعض التوابل التي اشتريتها من الحجاج الهنود من مكة. وبالفعل باع الرجال ما تبقى من توابلهم بالقريات، ومن هناك حملوا أكياس الملح على ظهر الجمال التي ستتجه صباح الغد إلى شرق الأردن وفلسطين.

بعد عناء السفر ومشقته وصلت

في صيف عام ١٩٢٤ خرج عبد الله المهرجي من مكة المكرمة باتجاه فلسطين ليتعلم التجارة مع أبيه وأهل ديرته، كانت الأحوال صعبة، والحياة شاقة، فلا بد من خروج عبد الله للعمل والكسب كي يساعد أباه وأمه وإخوته الصغار.

صحيح أن عبد الله لم يتجاوز البلوغ بعد؛ فوالده يقول: إن سنه تجاوز الحادية عشرة، بينما تقول أم عبد الله: إنه في موسم الحج القادم يكون قد بلغ العاشرة من عمره، فلذلك كانت غير راضية عن خروجه، وتقول: إنه صغير، ولم يحن وقت خروجه للكسب والنصب؛ ولكن الوالد أفتعها بقوله: إن الرسول ﷺ تدرب على التجارة في مثل سنه، عندما خرج مع عمه في رحلة تجارية للشام.

أوصت أم عبد الله ابنها أن يكون حذرا في الطريق، فالبلا

احتار الغلام في أمره. فقد طالت المسافة، وقف هنيهة ينظر ورائه، وعن يمينه، وعن شماله، وتلفت مراراً، وصار يحدث نفسه: أيعقل أنني تهت عن الطريق؟ لا.. لا، هذا هو الطريق، ولكن يبدو أن القافلة غادرت المكان ظناً منهم أنني معهم، ولا بد من اللحاق بالركب!!

ظل عبد الله يسير، حتى انتصفت الشمس في كبد السماء، عندها وجد شجرة على قارعة الطريق فاستظل بفيئتها، وراح يغط في نوم عميق، ولما صبحا تابع مسيره علّه يرى المكان الذي تركه بالأمس ولكنه خاب.. آه يا عبد الله.. لقد تهت، وتاهت القافلة من بعدك، أنت تسير بالاتجاه الخاطئ، بل بالاتجاه المعاكس، لقد اتخذت طريق الشمال، وصحبك ساروا باتجاه الجنوب.

صاح الغلام، وغابت شمس ذاك النهار، وعبد الله لا يدري ماذا يفعل، لقد تيقن أنه يمشي على غير هدى ولما حل الظلام أخذته التعب فتنام على قارعة



فأحب أن يتمتع عينيه بمناظر قد لا يراها ثانية، وبعد طول انتظار خرج من المسجد ليجد أباه ومن معهم من القافلة يصرخون: طوّلت يا ولداً.

لم يدرك عبد الله أن القافلة تتجه جنوباً باتجاه مدينة خليل الرحمن، ولكنه علم أنه سيصل غداً إلى سوق كبير، يجتمع به خلق عظيم، كما قال له أبوه. وبعد عدة أميال ناخث الإبل قرب بئر قديمة حولها آثار الغادين والرائحين، وبقايا أغصان أشجار محروقة بين أحجار غشاها السواد، فلولا ضوء القمر لما تبين الحجر الأسود من غسق الليل، وبعد البحث عن مكان مناسب، بركت الإبل حول البئر، وأخذ الرجال وعبد الله للنوم تحت ضوء القمر.

صبحا عبد الله مبكراً قبل بزوغ الفجر، حدثته نفسه أن يذهب إلى المسجد الأقصى لصلاة الفجر وحده، ثم يعود قبل أن يشعر به أحد، فالرجال من التعب يغطون في نوم عميق. أعجبه الفكرة ولا سيما أنهم ما زالوا على بعد رمية حجر من القدس، وربما لا تتكرر الزيارة مرة أخرى!!

قبل شروق الشمس بقليل صبحا الرجال متناقلين كل يريد أن يلحق صلاة الفجر قبل الشروق، وبعد أداء الصلاة تفقد الوالد ابنه فظنه ما زال يقضي حاجته، انتظر قليلاً ثم نادى بأعلى صوته: يا عبد الله.. لم يجب عبد الله؛ لأنه في الوقت نفسه كان يبكي ويقول: يا أبي.. أين أنت؟

بعد أن أدى الغلام صلاة الفجر، بدأ الصبح يتنفس، وعقب الياسمين يختلط مع هواء المدينة العليل، فلولا خوف عبد الله من أبيه ولومه القاسي لمكث هنا وقتاً طويلاً، لذا جد خطاه باتجاه مكان القافلة، وبعد أن أوشك البنيان على الاختفاء التفت خلفه ليمتع عينيه بالأقصى والقدس، وتابع مسيره حتى غاب عنه كل شيء.



في مخيم اليرموك، وهناك افتتح محلا للحدادة في دكان متواضع مع أولاده الذين غدوا شبابا.

ومرت سنوات أخرى، وذات ظهيرة من عام (١٩٥٩م) كان يستمع لإذاعة مكة، حيث كان يطرب لسماع القرآن الكريم، وللبرامج الدينية وغيرها، وفجأة سمع صوت المذيع يقول: وصلتني رسالة من أم عبد الله تبحث عن ولدها عبد الله الذي خرج إلى القدس منذ ثلاثين عاما، ولم يعد. أرجو ممن يعلم عنه شيئا أن يخبرنا على عنوان البرنامج.

لم يصدق عبد الله (أبو نمر) ما سمعه من المذيع، واجتمع مع أولاده وزوجته لتداول الأمر، واتفق الجميع على أن يذهب أبو نمر وزوجته لأداء فريضة الحج هذا العام، والبحث عن بيت أم عبد الله المهرجي هناك.

وبالفعل توجه أبو نمر وزوجته إلى الحج، وكانا يطوفان في شوارع مكة بعد طواف القدوم للسؤال عن بيت المهرجي، فدلته الناس إلى عدة بيوت لآل المهرجي، فإذا كان أهل مكة أدرى بشعابها فلا شك أنهم أدرى بأسرها أيضاً.

قال أحدهم: هناك بيت أبي خالد المهرجي، وهذا بيت أبي سالم المهرجي، أما ذاك فبيت أم عبد الله الذي ضاع ابنها بفلسطين!! وما كاد أبو نمر لم يسمع الجملة الأخيرة حتى تسارعت نبضات قلبه، وأخذته قشعريرة، فلم ينتظر لمعرفة بقية بيوت آل المهرجي، فقد وجد ضالته! وشكر الدليل ملتفتاً إلى الوراء، بينما كانت خطواته تتسارع إلى الإمام، حتى كاد يتعثّر، وانطلق مسرعاً تتبعه زوجته الحيرى، ووقف الرجل المكي مدهوشاً من انفعال هذا الحاج الغريب، ولم يبرح مكانه، حتى طرق عبد الله باب المنزل طرقات متتالية مثيرة!!

جاء صوت من الداخل ينادي فرعاً: من الطارق؟ فقال: أبو نمر بالباب، أليس هنا بيت أم عبد الله المهرجي!!

فصرخت الأم من الداخل: والله هذا صوت عبد الله... وأقبلت تجري! ■

الطريق. وفي الصباح تابع سيره حتى وصل إلى مدينة عامرة فسأل عنها، فقيل له: إنها طبرية.

مكث عبد الله في طبرية عدة أيام، فلم يطب له المقام فيها، فلا فرصة عمل هناك، ولا مال معه كي ينال في الخان ويقتات منه. لكنه سرعان ما تعرف على فلاح اتفق معه أن يرافقه إلى قرية «لويبة» كي يعمل عنده مقابل طعامه وشرابه ومبيته.

وهناك جد عبد الله واجتهد وعمل، وألف سكان القرية وألفوه، وأحبوه وأحبهم، وتقل من فلاح لآخر حتى وفر بعض المال، وبنى بيتاً صغيراً وتزوج وأنجب، ولكنه لم ينس مكة وبيت الله الحرام، لم ينس أهله، ولا شوارع مكة وأسواقها. وكم حدثته نفسه لأداء فريضة الحج ولكن أتى له ذلك، فلا جواز سفر عنده، ولا أي إثبات لشخصيته، ولا مال يغامر به في رحلة شاقة ومضنية.

في عام (١٩٤٨م) هاجر عبد الله «أبو نمر» وزوجته وثلاثة من أولاده إلى دمشق، وسجل اسمه مع قوائم اللاجئين، وتقل من مسجد لآخر حتى حظ به الرحال



رحلة الروح

من وحي زيارتي لمدينة رسول
الله (ﷺ)



د. إبراهيم أبو طالب(*) - اليمن

(*) أستاذ الأدب والنقد في جامعة الملك
خالد بأبها - السعودية

يا شوقَ رُوحِي إلى لُقْيَاكَ يَا طَهْ
شَوْقِي إِلَيْكَ أبا الزَّهْرَاءِ يَغْمُرُنِي
شَوْقِي إِلَيْكَ أبا الزَّهْرَاءِ يَأْسِرُنِي
شَوْقِي إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مَتَّقْ
شَوْقِي إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ يَحْمِلُنِي
شَوْقِي إِلَى الْقَبَةِ الْخَضِرَاءِ حِينَ أَرَى
كَمْ شَتَّتْنَا دُرُوبَ مَا لَهَا عَدَدُ
يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا
هِيَ الْمَوْدَةَ فِي الْقُرْبَى مَنَاهِجَنَا
لَا نَفْخَرُ الْيَوْمَ بِالْأَنْسَابِ دُونَ هُدًى
بِأَصْحَابِ الْحَوْضِ وَالْأَعْنَاقِ مُشْرِعَةً
إِنِّي قَصِدْتُكَ مُشْتِاقًا وَلِي ثِقَةٌ
يَا طَيْبَةَ الْمُصْطَفَى يَا خَيْرَ مَا طَلَعَتْ
النُّورُ فِيكَ أَتَى مِنْ نُورِ خَالِقِنَا
مَا بَيْنَ مَنبَرِهِ وَالْبَيْتِ رَوْضَتُهُ
وَرَكْعَتَانِ كَمَا صَلَّى الرَّسُولُ بِهَا
يَا دَارَ هَجْرَتِهِ وَالنَّصْرُ فِيكَ غَدَا
فِعَادَ صَوْتُ نِدَاءِ الْحَقِّ أَقْبَدَةً
يَا طَيْبَةَ الْمُصْطَفَى يَا رَوْضَةَ عَيْبَتِ
فِيكَ الْبَقِيعُ وَفِيكَ جُلُّ سَيْرَتِهِ
نَصْرَتِ أَزْرَتِ رُوحِ الْمُصْطَفَى وَمَضَّتْ
وَفُزْتُ بِالْمُصْطَفَى كَنْزًا جُعِلْتُ قُدًى
يَا صَاحِبَ الْخَلْقِ الْأَعْلَى وَأَسْوَتَنَا
دِينِي بَيْنَ وَقُومِي فِي جَهَالَتِهِمْ
قَدْ مَزَقْتَنَا صِرَاعَاتٍ مُفْرَقَةً
إِنِّي لِأَبْرَأُ مِمَّنْ يَسْتَبِيحُ دَمًا
هَذَا اعْتِقَادِي وَأَرْجُو اللَّهَ مَغْفِرَةً

شَوْقًا تَوَطَّنَ فِي رُوحِي وَأَحْيَاهَا
حُبًّا وَنُورًا وَأَمَلًا مَشِينَاهَا
لَأَنَّكَ الرَّحْمَةُ الْكُبْرَى وَمَعْنَاهَا
إِلَى مَنَابِعِ حُبِّ طَابَ لُقْيَاهَا
رُوحًا تَسَامَتْ إِلَى عَلَيْكَ مَرْقَاهَا
بِهَا حَبِيبِي، وَكَمْ أَشْتَأَقُ رُؤْيَاهَا
وَكُلُّ أَخْطَانِنَا جَهْلًا خَطُونَاهَا
بِكَ انْتِسَابًا وَأَرْحَامًا وَصَلَانَاهَا
حُبًّا إِلَيْكَ وَإِيمَانًا نَهَجْنَاهَا
كَمَا أَمَرْتَ - وَلَكِنَّا ادْخَرْنَاهَا
إِلَى يَمِينِكَ كَمْ تَشْتَأَقُ سَقْيَاهَا
أَلَا أَرَدَ وَبَشَّرَى الرُّوحَ بُشْرَاهَا
عَلَيْهِ شَمْسٌ وَهَذَا النُّورُ يَفْشَاهَا
فَأَشْرَقَتْ أَنْفُسُ وَالِدَيْنِ نَقَاهَا
أَنْعَمَ بِهَا رَوْضَةُ بِالطَّيِّبِ زَكَاهَا
إِنَّ الرِّسُولَ هُنَا لِلَّهِ صَلَاهَا
لِلْعَالَمِينَ فَتَوْحًا عَمَّ مَسْعَاهَا
تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَصْوَاتًا سَمِعْنَاهَا
بِرُوحِ سَاكِنِهَا، وَاللَّهُ حَيَاهَا
قَدْ عَطَّرَ الْكَوْنَ بِالْإِيمَانِ رِيَاهَا
إِلَى رِحَابِكَ وَارْتَاخَتْ بِمَأْوَاهَا
لِتَرْبَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ مَثْوَاهَا
يَا حَكَمَةً بَعَثَتْ مِنْ رُوحِ مَوْلَاهَا
وَالسُّنَّةَ الْحُجَّةَ الْبَيِّضَا تَرْكَنَاهَا
الْحَقْدُ أَشْعَلَهَا وَالْجَهْلُ أَذْكَاهَا
بِاسْمِ الْمَذَاهِبِ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَثْبِيثًا مَنْ تَاهَا



المُلا فتح الله الحلبي ثم المدني الشهير بالنحاس

— د. زينب صبري بيهر جكلي - سورية —

بات ساجي الطرف والشوق يُلج

والدجى إن يمضِ جنحُ يأتِ جنح

ولد فتح الله في أرض حلب الشهباء، ونما وترعرع بين جنباتها الغناء، وكانت يومذاك موئلاً للعلم والعلماء، ثم هجر حلب إلى دمشق وهناك توطدت عرى الصداقة بينه وبين الأمير منجك، ولأمر ما، ولعله الرغبة في الاستزادة من العلم أثر الشاعر أن يرحل إلى مصر، وهناك التقى بأساتذة الأزهر الأجلاء فأخذ من علومهم، وحسنت سيرة الرجل، ولكن الضيق المادي جعله يسأم القرار في أرض الكنانة، بعدما شكا كثيراً وصرح بحاجته على نحو قوله لأحد القضاة:

خُذْ بيدي ذاك بيننا نَسَبُ

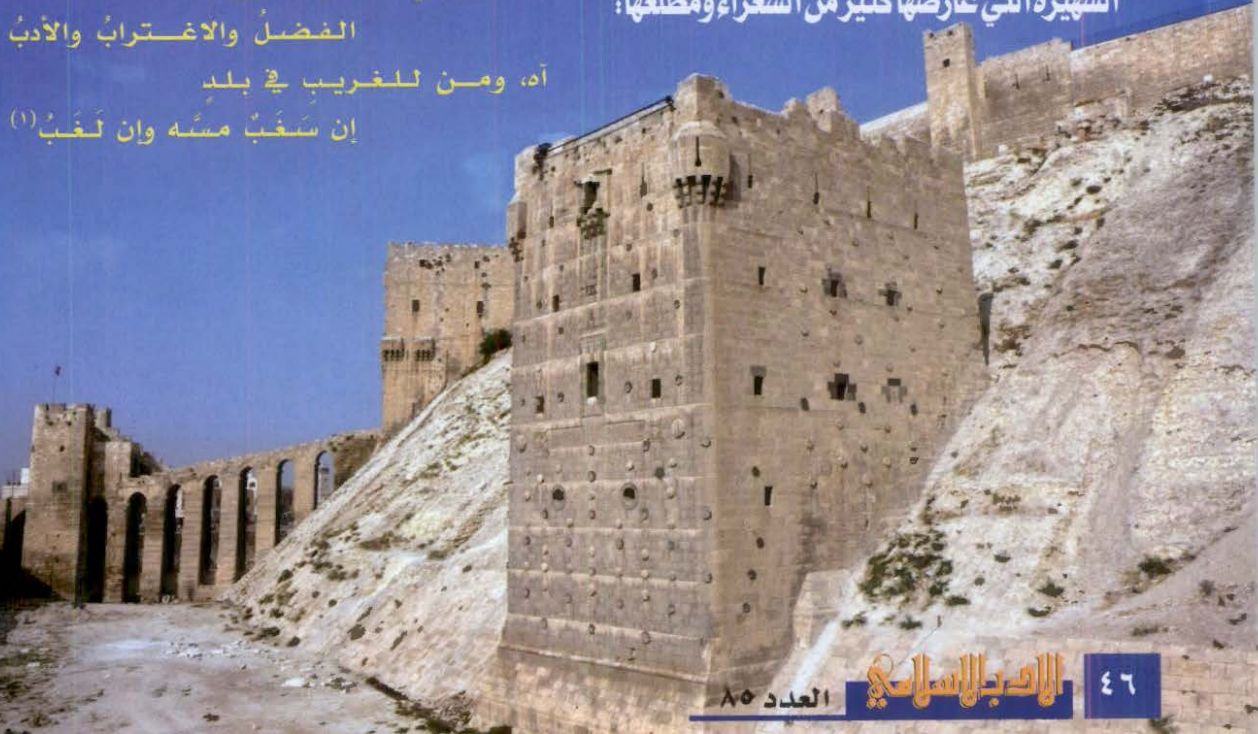
الفضلُ والاغترابُ والأدبُ

أه، ومن للغريب في بلد

إن سَغَبَ مسَّه وإن لَغَبَ^(١)

عاش فتح الله بن عبد الله النحاس في القرن الحادي عشر الهجري (ت: ١٠٥٢ هـ - ١٦٤٢ م)، في عصر كانت فيه بلاد الشام تنضوي تحت لواء الدولة العثمانية، وتضم بين جنباتها شعوبا عديدة، وهذا التمازج بين شعوبها أدى إلى التأثير والتأثير في العادات والتقاليد واللغة والأفكار.

وكانت الدولة قد عانيت بفقراء الحرمين الشريفين، ولا سيما بالمجاورين منهم حتى غص بهم الحرمان، وكانت تعنى بتأمين طرق الحجيج من غارات البدو. وقد أثنى ابن النحاس على أمير الحج محمد بن فروخ الذي قضى على غارات البدو وأمن الطريق لهم فقال يمدحه في قصيدته الحانية الشهيرة التي عارضها كثير من الشعراء ومطلعها:



ثم توجه تلقاء أرض الحرمين الشريفين ليحضر مجالس علومها في المدينة المنورة، وكان الولاة يبنون المدارس ويوقفون لها الأوقاف ويقدمون إعانات مادية لطلاب العلم، وكان في المدينة المنورة ثمانون مكتبة... ويلتقي في طيبة بشيخ الحرم النبوي فيغدق هذا عليه من عطايه، وينقذه من لأواء حياته، فيثني عليه بقوله:

جودُ (شمس الدين) شيخ الحرم المولى (عناقي)
كلُّ يوم نحن منه في اصطباحٍ واغتباقي^(٢)
ورياض أجلسنا من شذاها في رواق
واجتماع رب لا روعت منه بالفراق^(٣)

ثم صار يلقي فيها دروسه، وعرف بعلمه الواسع حتى دعي بالمولى، ولعل إقامته الطويلة في المدينة المنورة جعلته ينسب إليها حتى قيل في ترجمته: «مولانا المرحوم الملا فتح الله الحلبي ثم المدني الشهير بالنحاس. قدم المدينة حائزاً من المجد تليده وطريفه، وأقام بها سنين ناشراً لمطاوي العلوم إلى أن أدركه الحمام»^(٤) في ١٠٥٢هـ، ودفن في بقيع الفرق بعد أن خلف لنا ديواناً يعكس لونا من ألوان الحياة الذاتية والعامة آنذاك وكتاباً يدعى التفتيش على خيالات درويش، رد فيه على أبيات نظمها معاصره الشاعر مصطفى قاسم الطرابلسي الذي عرف بالدرويش، ورسائل نثرية جرى فيها على أسلوب العصر في إنشائه.

«موضوعاته الشعرية»

نرى الروح الدينية في شعر ابن النحاس في مناجاته لبارئه ليعينه على لأواء حياته، وكذلك في المديح النبوي، وفي الثناء على العلماء والزهاد ممن عاشروهم، وأحس معهم بالاطمئنان القلبي والتسليم للقضاء والقدر، فهو يشكر مولاه سبحانه على نعمائه ليزداد من رحمته، ويستديم فضله وفي ذلك يقول:

وابقى واستبق نعمة الله بالشكر

ر تزددها، فقد يزداد الشكور^(٥)

كما ظهرت الروح الدينية في مدحتين نبويتين له، إحداهما عينية نظمها إثر حادثة نزلت به في ليلة عيد الفطر السعيد، ومطلعها:

يا مَنْ مَنْ يدعوه سامع

واليه منه الأمر راجع

ياربِّ عبدك أوترا

بك في وسيع العفو ضائع

أنا عبدك الشيخ المسي

ء، لباب فضلك جئت قارع^(٦)

وقد انتقل بعد هذه المقدمة إلى مديح الرسول ﷺ، ومطلع الثانية، وهي أشبه بالبديعيات:

تذكر السفح فانهلت سوافحه

وليس يخفاك ما تخفي جوانحه^(٧)

وفيها يقول:

يهوى النجاة ولم يسلف له عملاً

يسر يوم يسر المرء صالحه

يا ويله يوم يأتي للحساب غداً

إن لم يكن بك مولاه يسامحه

وتنتهي المدحة بالصلاة على الرسول ﷺ على عادة مدّاح العصر.

أما مدائحه فكان معظمها في العلماء والصحاب، وهناك مدائح رسمية في المسؤولين من غير السلاطين والوزراء كما في مديحه لأمير الحج محمد بن فروخ التي يقول فيها.

بطل لو شاء تمزيق الدجى

لأنه من عمود الصبح رمح

بأبي أفدي أميري إنه

صادق القول جريء القلب سمح^(٨)

ثم يروح الشاعر بعد ذلك يعبر عن مآسي الغربة، فهي كسكين جزار يقتل الأحرار، ولكن ممدوحه يستطيع أن ينقذه منها، يقول في ذلك:



أه من جورِ النوى لا سُقيَتْ

تقتلُ الحرَّ، وما للحرِّ جنحُ

حَسَنُوا القولَ وقالوا غربةً

إنما الغربةُ للأحرارِ ذبحُ

وكانت مدائح الشاعر الرسمية تتم عن ذاتية الشاعر وآلامه في حياته، كما تعبر عن الأوضاع الاجتماعية في عصره، فهو يسعى إلى أن يعيش قرير العين هانئها، كما يسعى إلى أن يستتب الأمن في البلاد، وهي أيضاً تشير إلى الصفات التي كان يعجب بها أبناء الشعب ويرجونها من ممدوحيه،

ويرونها ممثلة فيهم، كالجود والمجد، والنسب والمروءة، والحفاظ على الدين وعلى الأمن، والبطش بالعدو. وبإيجاز أن يحوز الممدوح على الفضائل التي يبتغيها منه الممدوح بوصفه عضواً هاماً في المجتمع. أما مدائحه غير الرسمية فتتم عن حبه لصحابه ووفائه لهم، كما في مديحه لابن منجك، وهو يمزج المديح بالشكوى والآلام، يقول لممدوحه هذا في مطلع رمزي يقصده به:

مالِكتي تملُكي

النفسُ لن تملُك

وفِي لكِ أطوعُ من

رعيَّةٍ لَكَ

إن تأمري تُطع وإن

تدعُ لها تُلبِّك^(٩)

ثم ينتقل إلى وصف الربيع، فصل الحركة والحيوية والنشاط ولهذا تأثيره النفسي على شاعر فقد ماله، وجذبت معيشته كشتاء قاحل، ثم كان الربيع، وعليه أن يسعى وينهض من كبوته ورقاده:

هذا الربيعُ مقبلٌ

يصحبُ (آلَ بَرْمَك)

يرنو بلحظ عاشق

بمذمَعِ الطَّلْبِكي

في روضةٍ كأنها

وصفُ الأميرِ منجك

وتعد هذه المدحة من أجود المدائح في ذلك العصر إذ يجمع شتاتها وحدة عضوية فما الغزل ووصف الطبيعة إلا تعبير عن الحالة الشعورية له تجاه صديقه المنكوب.

أما غزله فيشير إلى أهمية المرأة عنده، وموقفه منها، وسواء أكانت المرأة رمزاً أم كانت حقيقية فإن معانيها قد ملكت عليه لبه، وغدت وسيلته التعبيرية،



قسمة اشتراك في مجلة الأدب الإسلامي

المملكة العربية السعودية: ٦٠ ريالاً سعودياً للأفراد

١١٢,٥ ريال سعودي للمؤسسات والدوائر الحكومية

الدول العربية: ١٥ دولاراً أمريكياً

الدول الأخرى: ٢٥ دولاراً أمريكياً

بيانات المشترك

الاسم:

العنوان:

الدولة: ص. ب. : المدينة:

الرمز البريدي: رقم الهاتف:

الاشتراك: ☐ سنة واحدة ☐ سنتان ☐ ثلاث سنوات

يتم الاشتراك بموجب إيداع بنكي أو شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي

العالمية في مصرف الراجحي على الحساب رقم ١٥١٥٤ ١٠٠١٠٠٠٨٠١٦٦٦ .

ويرسل الشيك أو صورة الإيداع مع قسمة الاشتراك على عنوان المجلة:

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٥٣٤ ص. ب. ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢، فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

قسمة اشتراك إهداء مجلة الأدب الإسلامي

المملكة العربية السعودية: ٦٠ ريالاً سعودياً للأفراد

الدول العربية: ١٥ دولاراً أمريكياً

الدول الأخرى: ٢٥ دولاراً أمريكياً

بيانات المهدى إليه

الاسم:

العنوان:

الدولة: ص.ب. : المدينة:

الرمز البريدي: رقم الهاتف:

الاشتراك: ☐ سنة واحدة ☐ سنتان ☐ ثلاث سنوات

يتم الاشتراك بموجب إيداع بنكي أو شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي

العالمية في مصرف الراجحي على الحساب رقم ١٦٦٦٠٨٠١٠٠١٥١٥٤ ،

ويرسل الشيك أو صورة الإيداع مع قسمة الاشتراك على عنوان المجلة:

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٥٣٤ ص.ب. ٥٥٤٤٦

هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ ، فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦

بيانات صاحب الإهداء

الاسم:

رقم الهاتف:

ولعل انغماسه في اللهو في أوائل حياته قد ترك بصمته على شعره. وله غزل تقليدي في مطالع قصائده على عادة العصر يذكر فيه صفات تقليدية للمرأة مادية ومعنوية عرفتها العصور الأدبية.

وله شعر ندد فيه بسلوكيات للمرأة كاستنكاره كشف حجابها إذ قال:

كَانَ غَزَاً فَشَوْهُوهُ

حَتَّى غَدَا طُعْمَةُ الذَّنَابِ

حَجَبْتُ طَرَفِي وَمِلْتُ عَنْهُ

مَنْ صَارَ وَجْهًا بِلَا حِجَابٍ^(١٠)

وللشاعر حكم وآراء وشكاوى تتناثر في شعره وقد استقاها من البيئة المحيطة به، ومن تجاربه في الحياة فجاءت واقعية ابتنى من ورائها التنفيس عن مكنونات نفسه، أو نفع العباد بها، فهو يدعو إلى العمل لتأمين لقمة العيش:

وَانْهَضْ لِكَسْبِ جَدِيدِ عُمُرٍ

مَنْ يَكُورُكَ مَسْتَفَادٌ

مَا رَاجَ مَنْ طَلَبَ الْمَعِي

شَةً بَيْنَ إِخْوَانِ الْكِسَادِ^(١١)

ويشتكي من الغربة ويقول:

أَنَا الْغَرِيبُ الَّذِي إِنْ مَاتَ فِي بَلَدٍ

لَمْ يَرِثْهُ غَيْرُ جَارِي دَمْعِهِ أَحَدٌ

عِلَاقَةٌ لِي بِالشَّهْبَاءِ مَا ذُكِرَتْ

إِلَّا اسْتَفَاضَتْ دَمَاءً

مَنْ مَقَلَّتِي الْكِبْدُ^(١٢)

وهو في شكاواه يشبه المتنبي إذ يجمع بين الشكوى

والفخر، يقول:

فَارْقُبْ خُضُوقِي إِنْ سَكَنْ

تُ، فَعَاصِفِي يُرْجَى مَهْبُهُ

لَا يَنْظُرُ الْحَسَادُ حَالِي

إِنَّمَا الْمَنْظُورُ غَيْبُهُ

أَوْ مَا دَرَوْا أَنَّ الْحَسَا

مَ يُقْلُ ثُمَّ يُحَدُّ غَرِبُهُ^(١٣)

والشاعر يوجه نقده في معرض فخره بشعره إلى الممدوحين الذين لا يتذوقون الآداب العربية، فيستوي لديهم غث الشعر وسمينه، ولعله يعرض بذلك بالأعاجم منهم، الذين يعجبون بالفن المصنوع، ولا يفهمون قصائده ولا يدركون جمالها، فتشع أيديهم عن إعطائه ما يستحقه، يقول في سخرية وغضب:

هَانَ مَنْ أَمَّ بِالْمَدِيحِ أَنَا سَأُ

يَسْتَوِي الشَّعْرُ عِنْدَهُمُ وَالشَّعِيرُ

هَمَمُ رِثَّةٍ وَالسَّنَةُ غُلْفُ

وَأَيْدٍ كَأَنَّهُنَّ صَخُورُ^(١٤)

أما وصفه فقد امتزج بأحاسيسه، وكان يرسم به مشاهد لما يراه أو يصور ما يعاني منه، فتبدو لوحاته واقعية نابضة بالحياة والحركة، توحى بما كان عليه الناس في أوضاعهم الاجتماعية في إيجابياتها وسلبياتها.

ومن تصويره المادي للطبيعة الفاتنة في الربيع، لوحته التي يرسمه فيها وقد نثر أزهاره بعد أن أغدق عليه الغمام خيراته، واخضرت أشجاره واكتست الروابي بثياب فضفاضة امتد ذيلها إلى الأودية، وفاحت روائحها العطرة كأنها تنبعث من الجنان، وكان الزيزفون ينثر زهره فتبدو وريقاته كأجنحة الجراد، وقد بدت الورود كفتيات اصطيفت أناملهن بالحناء، وتضرجت خدودهن بالدماء، وكن يتكنن على أسرة من زبرجد، يقول الشاعر واصفاً ذلك كله:

نَثَرَ الرَّبِيعُ ذَخَائِرَ النُّوَارِ مِنْ جَيْبِ الْغَوَادِي

وَكَسَا الرِّبَا حُلُلًا فَوَاضِلَهَا تَجَرُّ عَلَى الْوَهَادِ

وَكَأَنَّ أَنْفَاسَ الْجَنَانِ تَنْفَسَتْ عَنْهَا الْبَوَادِي

وَالزِّيزْفُونُ يَفُتُّ غَالِيَةً مُضْمَخَةً بِجَادِي^(١٥)



يلقي بها للروض في ورق كأجنحة الجراد
والورد مخضوب البنان مُضْرَجُ الوجنات فاد
نصبت له سرر الزُّرْجِدِ والخيام بكل ناد^(١٦)

وله وصف لمستجدات الحضارة في عصره.

ورثاء الشاعر تقليدي، بكاء وتأبين ودعاء..
كما أنه لم يكثر من الهجاء لمعين بل كان يربأ
بنفسه عنه ويقول:

هيبني امرأ يرضى المثالب خُطَّة

بأي لسان يابنة القوم أثْلُب

ما لي لسان غير ما بمدائح الـ

أجل ابن شاهين يلدُ وَيَعْدُب^(١٧)

وهو يعتذر لمن أساء إليهم ويستعطفهم، ويبين
لهم أن للمودة حقوقاً.

«أساليب التعبير الفنية عند الشاعر:

الشاعر يربط بين أجزاء قصيدته برباط

نفسى يجمع شتاتها، فيكون كالروح يسري في
بدنها وإن تعددت موضوعاتها، وقد حقق ابن
النحاس هذه الوحدة النفسية في كثير من قصائده
كما في عينيته النبوية، وحائيته في ابن فروخ وتأنيته
في نجم الدين الحلفاوي، وكافيته في ابن منجك،
وكذلك داليتها فيه.

وامتاز أسلوبه بالعدوية، والجزالة، والسهولة
والطلاوة. وكان لا ينجح إلى التكلف، وإنما يرسل
نفسه على سجيته، أو ينتقي الألفاظ المناسبة
فيؤديها في تراكيب منسجمة متوائمة تعبر عن
مكونات نفسه بطواعية لا تكلف فيها، ولهذا كان
أسلوبه عذبا حلواً، وسهلاً رهواً، وهو ينتقي من
القوافي ما ينم عن حالته، ففي تضرعاته لربه يأتي
بالعين رويًا فيقول:

أنا عبدك الشيخُ المسيءُ لباب عفوك جئتُ قارغ

فارحم تعثر دمع عصياني إذا جرت المدامع^(١٨)

أما في غضبته فإن ألفاظه تتغير تماماً، ويتغير
رويه أيضاً، فيصير الباء القوية المنتهية بهاء السكت
الدالة على قوة الانفعال واللهات والتعب الشديد، في
بحر عروضي قوي هو مجزوء البحر الكامل كقوله:

طمئن فؤادك أي حر لم يرغ بالخطب قلبه

أنا لا أبالي إن رُميت وسب عرضي من يسبه

هم يعرفون بأن نجمي تحرق الطاعين شهبه

إن مجني قومي فإن الموت ليس يسوغ شربه

ذهب الذين يعيش مثلي بينهم ويموت كزيه^(١٩)

ولو رحنا نقارن بين المناجاة الإلهية، والغضبة
الثورية لرأينا البون شاسعاً، فهناك الرقة والتذلل،
وهنا الخطب والسب والكرب، فكان ألفاظه نثقات
قلب كليم يتقطر ألماً ويقطر دماً، وهو في كلتا الحالتين
يعبر عن شاعرية أصيلة لا تكلف فيها أبداً.

وهناك وسائل تعبيرية أخرى لجأ إليها الشاعر
للتعبير عن فكرته أو رأيه، كعرضه للمفارقات أو



استعانت به بالأمثال والحكم، وبالتصوير الفني. ولابن النحاس آراء نقدية حول الشكل والمضمون، فهما مقترنان ولا جمال إلا بتحقيقهما، ويجب على الشاعر أن ينأى عن قبيح الكلام:

إِنْ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا كَانَ جَزْلاً

وَأَفَادَ النَّفُوسَ مَا يَعْنِيهَا

وَلَقَدَرُ الْفَتَى مَعَ النَّاسِ مَوْقُو

فَ عَلَى قَدَرِ قَوْلِهِ يُبْدِيهَا^(٢٠)

ومن الملاحظ إكثار الشاعر من الأبحر ذات الإيقاع الطرب، ومن المجزوءات لأنها تناسب حالاته الانفعالية ومزاجه المتقلب، فحينما يعاتب الأحبة ينظم على البحر المتقارب ذي التفعيلات المتقلبة المناسبة لانفعاله فيقول:

تَفَقَّدُ مُحِبًّا وَلَوْ بِالسَّوَالِ

فَإِنْ التَّذَكُّرَ بَعْضُ النُّوَالِ

فَلِي حَرَمَةُ الْجَارِ جَارِ الْكَرَامِ

وَمَا أَنَا فِي الْوَدِّ رُتُّ الْحَبَالِ^(٢١)

كما أنه يعتمد على مكونات صوتية متعددة ليحقق النغم العذب، كالتصرير والتكرار ووتقسيمات التفويف كما في:

مَنْ مَعْنِي؟ دَهْرِي اللَّئِيمُ؟ أَمْ الْحَظُّ

الْمُنَا؟ أَمْ الْحَبِيبُ النَّفُورُ؟

كَيْفَ أَرْجُو الْخِلَاصَ بَيْنَ ثَلَاثٍ

وَيَدُ الْكُلِّ فِي قَفَايَ تَجُورُ؟^(٢٢)

أما تصويره الفني فكان وسيلة لرسم حالته النفسية كما في قوله:

فَارْقُبْ خَفُوقِي إِنْ سَكَنْتُ فَعَاصِفِي يُرْجِي مَهْبَةً

لَا يَنْظُرُ الْحَسَادُ حَالِي إِنَّمَا الْمَنْظُورُ غَبَةً

أَوْ مَا دَرَوْا أَنَّ الْحَسَامَ يُفْلُ ثُمَّ يَحْدُ غَرْبَةً

وَالْبَدْرُ يَخْفُقُ فِي الْمَطَالِعِ بَعْدَمَا أَخْفَاهُ غَرْبَةً

وَالرُّوْضُ يَنْبُلُ ثُمَّ يَكْسِي النُّورَ وَالْأَوْرَاقُ قُضْبُهُ

لَا يَخْدَعُنْكَ بِسَلْمِهِ فَوْرَاءَ سَلَمِ الدَّهْرِ حَرْبُهُ^(٢٣)

إن هذه الصور المتعددة التي عرضها الشاعر في تشبيه ضمني، والتي قد تبدو كأن لا رابط بينها ليجمعها في مخيلة الشاعر خيط مادي وآخر نفسي، فمن عالم السماء استمد الشاعر صور الرياح والبدر، ومن عالم الأرض قبس صور الحساد مرضى القلوب، والأمراض الفتاكة والأسلحة القاتلة والرياض الوادعة. وهناك الزمن وحربه. وهذه الصور بمفارقاتها تكشف عن حالته الشعورية، فهو إنسان رضي النفس، ولكنه لا يتحمل الضيم، لأن مجده يأباه وحسبه..

وتشابهه معبرة ومؤثرة فالشيب كخيوط العنكبوت الواهنة أو كقطن مندوف:

وَكَأَنَّمَا نَسَجَتْ بِرَأْسِي عَنكَبُوتُ الشَّيْبِ رَكْنَا

وَكَأَنَّ سُنْدُسَ عَارِضِي نَدَفَ الْمَشَيْبِ عَلَيْهِ قُطْنَا^(٢٤)

أو هو في قصيدة أخرى حربة تطلعن كما يطلعه حظه المنكوب:

وَمِنَ الشَّيْبِ حَرَابٌ

وَمِنَ الْحَظِّ حَرُوبٌ^(٢٥)

وهي صور توحى بكثرة الشيب وبالحالة النفسية التي كان عليها الشاعر إثر إحساسه بكبر سنه وضياح جماله الذي كان يفخر به.

وهذا تشبيه جامع يرسم به حاله حينما تعرضت للإهانة على الرغم من عظمتة، فهو كالسيف تارة، والعين أخرى، والقبر ثالثة... وقد جاء لكل مشبه به بما يناسبه من صفات، فالسيف يرمى بالفلول إذا لم يتمكن صاحبه من قطع الصخر الأصم، وليس العيب كامناً فيه، والعين يؤثر فيها الذباب، ولا ضير عليها، فالأسد يعجز عن دفعه، والذهب يمتزج بتراب القبر، ولكنه يبقى عسجداً، وهذه الصفات كلها جاءت على سبيل الترشيح، يقول في ذلك:

أَنَا لَا أَبَالِي إِنْ رُمِيتُ وَسَبُّ عَرِضِي مِنْ يَسْبُهُ

السَّيْفُ يَرْمِي بِالْفُلُولِ إِذَا فَشَا فِي الضَّرْبِ صَلْدُهُ



والعين يدميها الذباب وتعجز الآساد ذبه
والقبر يعلوه التراب ولا يضُر التبر ترَبُه^(٢٦)

والدهر نازعني رداءً شبيبي
وانتاش مني طاري في وتلاذي^(٢٧)

والدهر إنسان يخاصم الشاعر ليأخذ منه شبابه
وأمواله في صورة استعارة تشخيصية مكنية يقول
فيها:

وهكذا تعاونت الكلمة المؤثرة بأسلوب مطبوع سهل
لاتعمل فيه مع الصورة والموسيقا للتعبير عن مكنونات
الشاعر وآلامه في حياته ■

الهوامش:

- (١) ديوان فتح الله بن النحاس / ١١١. الدرية / ٤-٥.
- (٢) العقود / ٢٦. (٩) الديوان / ١١١.
- (٣) الاصطباح: الغداء، والغبوق: العشاء؛ وأصلهما في الشرب ثم استعمالاً في الأكل، لسان العرب ٩/٤.
- (٤) الديوان / ١٦٦، وديوانه المطبوع مع ديوان علي بن مقرب / ٨١٨.
- (٥) ترجمة الشاعر في: خلاصة الأثر ٢٥٧/٣، الأعلام للزركلي ١٣٥/٥.
- (٦) الديوان / ١٥٢، والعقود / ٤٦.
- (٧) الديوان / ٩٤.
- (٨) القصيدة في الديوان / ٩٢، وفي العقود مقرب: بكل واد.
- (١٨) الديوان / ١٢٦، والعقود / ٣٠.
- (١٩) الديوان / ٩٤، والعقود / ٥.
- (٢٠) الديوان / ١٥٦، والعقود / ٤٩-٥٠.
- (٢١) الديوان / ١٩٥، والعقود / ٧٧.
- (٢٢) الديوان / ١٤٥، والعقود / ٤١.
- (٢٣) الديوان / ١٥٣، والعقود / ٤٧.
- (٢٤) الديوان / ١٥٦، والنفحة / ٢-٥٢٠.
- (٢٥) الديوان / ١١٦، والعقود / ٢٢.
- (٢٦) الديوان / ١٠٠، والعقود / ١٠.
- (٢٧) الديوان / ١٥٦، والعقود / ٤٩.
- (٢٨) الديوان / ١٠٦، والعقود / ١٤، وانتاش: تناول، لسان العرب ٤٧٦/٦.

من ضياء الضاد



جودت علي أبو بكر - سورية

فلسانُ الخلدِ كالشمسِ علا
ومع الخسران دوماً مَنْ قَلَى
قُدْسَ الحرفِ، ونوراً أَنْزَلَا
وإلى الناسِ جميعاً أُرْسِلَا
إن حَرَفَ النورِ مثلي أقْبِلَا
ومع الشمسِ إليكم وصلا
إن في القرآنِ دوماً موثِلا
يستقي النورِ ومنها كُلا
ربما الجراحُ فينا قَتَلَا
ومع الأحلامِ دوماً هُطَلَا

مَنْ ضِيَاءِ الضادِ شعري نهلا
كُلُّ مَنْ عَادَى لِسَانِي خَاسِرٌ
هُوَ فِي القرآنِ يسمو طاهراً
ولساني من لسانِ المصطفى
أقبل الصبحُ وحيّاً قائلاً
إن حَرَفَ النورِ دوماً ساطِعٌ
وعلى القلبِ حروفي سَطَرْتُ
لغة الخلدِ خلودٌ في العلا
في عقوقِ الأهلِ جُرْحي نازِفٌ
من ضِيَاءِ الضادِ حُبِّي هَاطِلٌ

قال أبو الطيب المتنبي:

يقولون لي ما أنت في كل بلدة وما تبتغي؟ ما أبغى جل أن يسمى

ليليل يبذل دفتيه إهابا
بنبوءة يجلوبها الأحقابا
مسح الجلال بعطرها أثوابا
أنثى تشق لوترها محرابا
عنها وعنونة الرواة ثقابا
ولها الشواطئ نورسا وعبابا
مخرت وراء الأمنيات سرابا
هات الظلال ولامس الأوصابا
قروية تستنفر الأعصابا
رجل تلثم بالشؤون فشابا
ترخي على (شهد الظنون) نقابا
عن معشر عبروا الدهور إيابا
زحفت إلى فردوسها أحزابا
سهر.. وكان رمانا عرابا
نفث العرار ليلهم الأعرابا
صوب العيون توارب الأبوابا
لقيت على مهج القلوب حجابا
قبل الحمام أناكف الأهدابا
عبثا وعدن إلى الشعور عقابا
وأمر من سعة الخريف جوابا
عطشا وتحشر في الكؤوس بيابا
نسجت على بشرتي جلبابا
أرقي وتلتحف الدواة عتابا
(قلقا) يسيل على الخيول شبابا
طفحت على زبد الرثاء عذابا
تعدو وتوغل في القبور غيابا
كفني لأنهض للخصوم خطابا
نزحت بأنفاس الغريب ذهابا
ففرشتها جهة الخلود رحابا

ماذا ترين إذا فتحت كتابا
بالرمز يبتدئ النثيث وينتهي
أترين إرث الغيم قرب جنازة
(فتناسل النسرين)!! كل قبيلة
أترين وجهي بعد ألف حكاية
فلشهرزاد الآن (ثورة لحداها)
ولشهريار زوارق القلق التي
يا أيها القرطاس دونك عثرتي
هب لي ثرى الأرياف.. أنت بحفنة
فتجنيك القسمات خلف زحامها
فاذا (بقافيتي حياء صبية)
يا أيها القرطاس إن سأل المدى
فأنا (وأرملة الحروف) عشيرة
بتنا على شظف المداد.. رضيعنا
لكأننا الفلوات فوق شفافها
وأنا وأغلال الرحيل تجرني
ذعري من النظرات (ذعر قصيدة)
أحبو إلى ضيق السؤال كأنني
ما أنت!! وانكفأت سلال قريحتي
(ما أنت) أضيق من غموض حقائبي
(ما أنت) تسرق للزجاج ملامحي
ما تبتغي!! وقبضت أول جمرة
(ما تبتغي) ينداح تحت رداها
ما تبتغي!! ووثبت (فوق رياحها)
ففضحت (ألفاز الحياة) بجثة
أصغي إلى ضحك الحتوف ومهرتي
وهناك من أقصى العزاء يؤزني
لم تقتلوني!!! فالضريح قصيدة
لم تعرفوني إذ وضعت عمامتي

قبائل النصرين!! هامش على قرطاس المتنبي

— فهد أبو حميد - السعودية —





من تراث النقد الإسلامي:

الشعر حسنه وقبيحه (*)

الإمام القرطبي

قال الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي:

ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولى النهى، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحا، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله.

وأما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم، فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا أجبن الناس على عنتره، وأشحهم على حاتم، وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي، وأن يفرضوا في القول بما لم يفعله المرء؛ رغبة في تسلية النفس وتحسين القول. اتخذ الشعر طريقا للتكسب، فيضطر في المدح إذا أعطي، وفي الهجو والذم إذا منع، فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم. ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام، وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه، ولا يحل الإصغاء إليه، بل يجب الإنكار عليه، فإن لم يمكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعا، تعين عليه أن يداريه بما استطاع، ويدافعه بما أمكن، ولا يحل له أن يعطي شيئا ابتداء، لأن ذلك عون على المعصية، فإن لم يجد من ذلك بدا أعطاه بنية وقاية العرض ■

(*) تفسير القرطبي المعروف بالجامع لأحكام القرآن: ١٢/١٤٧-١٥٠، تأليف الإمام محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت: ٦٧١هـ)، طبعة دار الفكر، دمشق، سورية.

http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=2582&idto=2582&bk_no=48&ID=2022

- « لماذا أكتب؟ ولمن؟ أتهون علي زهرة عمري
أقضيها بين الأوراق وأمام الحاسوب؟
وأوشكت أن أتهاوى تحت تأثير كلمات أخي التي
هزتني، وفتحت سلسلة من التساؤلات في ذهني ، لكنني
فجأة سألت نفسي:

- «هل أستطيع التوقف عن الكتابة؟»

فجاء الجواب فوراً:

- «بالطبع لا! وهل لحياتي طعم إذا لم أقرأ ولم
أكتب؟»

وألححت في السؤال:

- «وماذا تمنحني الكتابة كي أحرص عليها كل هذا
الحرص؟»

فجاء الجواب صادقا:

- « تكفيني السعادة الغامرة التي أشعر بها وأنا أخلو
مع قلبي وأوراقتي وأفكاري بعيدا عن الخلق أجمعين،
تكفي المتعة التي تمنحها لي ساعات الجلوس الطويل
أمام الحاسوب والتي لا تضاهيها متعة أخرى في
الوجود.»

المسألة ليست مسألة مال وربح مادي، أو شهرة
وذيوع صيت، هي أعمق من ذلك بكثير... هي شيء
روحي مقدس يربط المبدع بالمادة التي يبدع فيها برباط
لا تقدر قوة في الوجود أن تبعده عنها غير قوة الموت
وحدها، وهو لا يستبدل بها كنوز الدنيا وإن عاش فقيرا
معدما، ولم يجن مما أبدعه درهما ولا ديناراً.

وهمست بيقين:

- «ما دمت أكتب فأنا أحيأ ، فالكتابة عندي - كما

القراءة - تعني الحياة، وما سواهما الموت حتماً»

استعدت ثقتي بنفسي فتمتعت أجيب عن السؤال
المعلق وأنا أواصل الكتابة:

- «ما زلت أكتب، وسأظل أكتب إلى أن تتوقف
أنفاسي ويطوئني التراب!» ■



أما زلت تكتبين؟!

صورة مروشي - الجزائر

في غرفتي الصغيرة المنعزلة عن باقي الغرف،
جلست أمام الحاسوب أكتب كمادتي بعيدا عن أعين
المتطفلين من الضيوف وعن فوضى الحياة اليومية لأهل
بيتي. وبينما أنا كذلك إذا بأخي الذي يصغرنى بعدة
سنوات يقف عند رأسي، يقرأ بعض الفقرات، ثم ينفجر
ضاحكا. قال ساخرا:

- أما زلت تكتبين؟!... في عصر الفضاء والإنترنت!
في الوقت الذي يتهافت فيه الناس على اقتناء آخر طراز
للسيارات، وبناء أفخم الفيلات، والتردد على العواصم
العالمية للاستمتاع بأحسن الفسحات... في الوقت
الذي اكتسحت المادة كل العقول تشغلين عقلك ووقتك
بهذه التفاهات؟!

ثم نظر إلي في إشفاق كمن ألمه حالي وأنا أهدر
وقتي فيما لا جدوى منه، وسأل متحسرا:

- كم جنيت مما كتبت؟

قلت في هدوء:

- المسألة ليست مسألة مال.

قال باستخفاف:

- مسألة ماذا إذن؟!

وانصرف غير منتظر الجواب، تاركا سؤاله معلقا

في الهواء، وفي أذني، يطرق ذهني في إلحاح:



الغرقد..!

— وليد سميح العوضي - مصر —

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرَقْدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

(حديث شريف)

نعم.. الذي خان المسيح عليه السلام..
أعلم أنني قد خنت أبناء جنسي..
أعلم أنني قد أصبحت منبوذة مبعدة مفردة كناقذة جرباء..
أعلم أنني لما أنظر حولي لا أجد إلا نظرات الحقد والكراهية والبغض.. وأحياناً أجد نظرات الشفقة الزاججية الباردة..
وأحياناً أقلُّ أجد في غيوم النظرات شيئاً دفيناً كالرثاء أو الحنان سرعان ما يزول كسحاب خجل من بهاء الشمس..
أعلم كل ذلك، ولكنني لا أستطيع فكاًكاً مما أنا فيه.. كما فعل الشيطان الرجيم حين تورط في مستنقع مخالفة الرب..
كيهوذا صاحب العينين الخاطئتين في أساطير النصرى

الذي خان المسيح عليه السلام..
أعلم كل ذلك، ولكنني رضيت منذ زمن طويل ببيكاء صامت لا يفني عني شيئاً، ولكنه يفعل في فعل المسكن في الألم الذي يعود قوياً بعد زوال مفعوله، وكذلك أحس فيه ببعض الطهر حين أرى هذه الدمعات.. هذه القطرات الحمراء.. تتحدر مني، وأرى تعجب الناس من حولي وهم ينظرون، ويتعجبون، ويتساءلون: هل يبكي الشجر..؟
مع كل قطرة.. مع كل دمعة، كنت أتذكر.. تتوالى

ذكرياتي قطرات، وأعود لأسأل نفسي ذلك السؤال المقيت الذي ذقت ألمه حين كان أليماً، ثم ذقت مرارته، ثم ذقت طعم الندم فيه، ثم اعتدت هذا المذاق الأليم المر النادم والسؤال يتكرر تلقائياً في أغوار نفسي كشريط معطوب..
لماذا فعلت ما فعلت..؟
اعذروا لي أشجاني وخواطري وكلامي المبعثر..
سأحدثكم من البداية..
أنا شجرة..!
ولكنني لست كأية شجرة..
يقولون: إن بعض الشجر يعيش مئات السنين، وربما الآلاف..، ويقولون: إنه يُعرف عمره من طبقات لحائه، ويقولون..
ويقولون.. لكنهم



أغفلوا معارف مهمة جداً لم يبحث عنها أحد..

هل الأشجار تشعر.. هل تفكر.. هل تسجد.. هل تعبد..؟

وهل لها لغة تتواصل بها مع غيرها من المخلوقات..؟

في أذهانكم أيها البشر أن الشجر لا يفعل معظم هذه الأشياء.. تظنون أنكم أنتم فقط الموهوبون المتميزون الذين رزقهم الله وسخر لهم كل النعم، وغفلتم عن بقية المخلوقات فلم تتفكروا فيها، وغفلتم كعادتكم مرة أخرى عن شكر هذه النعم التي تتوالى ليل نهار، بل غفلتم عن تسبيح الله، وأعرضتم كما فعلت أنا، وخنتم ميثاق العبودية والطاعة.. تماماً كما فعلت أنا.. آه..

لو أستطيع أن أطلق هذه الزفرة الحارة الملهبة التي تملأ صدري لتذيب صمتي، وتفق قيدي! لو استطعت لكنت من أسعد الأشجار في الكون.. ها أنا ذي تأخذني الخواطر مرة أخرى دون أن أحدثكم بالقصة من البداية.. نعم..

لقد كنت هناك..

كنت وسط هؤلاء القوم الذين علموا علماً يقينياً ما هو الحق، ومع ذلك ما أضمروا إلا العداوة.. أبصروا طريق الهدى، ثم عن عمد خالفوه، وعن يقين تركوه..

كنت مع قوم يهود..!

وكنت في مدينة النخل التي نُورِتْ بمقدم النبي المختار، وقد ظل هذا الاختيار محل غيظ وحقد وألم عند القوم، فلا جرم أن نذروا أنفسهم لعداوتهم الدائمة إلى أبد الأباد مع معرفتهم به كمعرفتهم أبناءهم..

كنت بينهم أنعم بصلات كثيرة مع أبناء جنسي من أنواع الأشجار المختلفة، ومع النباتات والحشائش وأقفاهم معهم بلغتنا..

ولكثرة مكوثي بين اليهود، ولشدة تأثري بهم بدأت في مخالفة قانون العبودية، وخننت مبدأ المخلوقات العام:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

ورغم أنه حلیم غفور يحلم عن المسيئين، ويمهلهم المرة تلو المرة، غفور دائم الغفران؛ فقد علمت أن طريقي سيظل غير منظم في هذا القانون الأعظم لأنني قد فتحت الباب الذي لن يستطيع أحد - إذا فتحه - أن يغلقه، ولن يستطيع أن يعود دون أن يلجه..

واتبعت طريق هؤلاء القوم الذين سبقوني في الولوج.. وعلمت منذ تلك الساعة أنني مقضي عليّ بالبعد والمخالفة..

لقد عشت مع يهود فترة طويلة، منذ أحقاب لا أذكرها إلى أن نزل النبي بمدينة النخل وحتى الآن.. سمّها ذاكرة جمعية للأشجار.. أو أن الأفكار والذكريات تنتقل عبر كل شجرة.. أو أنني ظللت حية نامية حتى نقلت ووصلت إلى هنا..

لا أدري..

كل ما أدريه الآن أنهم يغرسون أشجاري في كل هذه الأنحاء المباركة.. في هذه الوديان الأسيرة المكبلة.. وديان فلسطين.. نعم فلسطين فلقد كففت منذ زمن عن تسمية الأشياء بغير أسمائها..

والعجب من هذا الجاحد الذي يعلم صدق خصمه وكذبه هو، ويعمل بنصح هذا الخصم الصادق.. وكأن هذا الصادق يقول لخصمه: لا تضربني بهذا السلاح فإنه لا يجدي نفعاً، واستخدم ذلك السلاح الآخر لأنه أنفع..!



ويسبحونه، وأنا ما زلت أتجرع ألم صمتي وبعدي وتقريدي وعجزي..

هل سمعت عن الشجرة التي علّمت بني آدم دعاءً للسجود..

حدثني بعض الشجر خلصة بلغتنا التي لا يفهمها البشر أن شجرة كانت تصلي وتسجد، لكن رجلاً لم يدرك سجودها إلا وهو نائم فسمعها تقول في سجودها: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْراً، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْراً، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْراً، وَتَقَبَّلْ مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ».

فأخذ هذا الرجل من أصحاب نبي الإسلام الذي علّمت بعد ذلك أنه نبي العالمين، وحدثه به فحدث به أصحابه، وصاروا يدعون به في سجودهم.

والسجود في ذاته فعل عجيب لا يمكن وصفه.. أنتم لا ترون سجود الشجر، ولا تحسونه ولا تفهمونه، وأكثركم يسجد بلا فهم، ولا خشوع، ولا حمد.. والسجود يستأهل حمداً لذاته.. ألم تسمعوا أنتم عن بشري مثلكم يبكي لأنه لا يستطيع أن ينزل بجبهته إلى الأرض..؟

(إلا الفرقد فإنه من شجر اليهود)

وليس هذا عن غفلة وجهل - معاذ الله - وإنما ليعلم صاحب الحق أي خصم هو خصمه، وليظهر كذب الخصم وجحوده.

ولقد خُدعت فترة من الزمان..

وظننت أن الحق مع هؤلاء فتبعتهم وأزرتهم فيما هم فيه، وأعجبني فيهم إصرارهم وثباتهم على مبادئهم..

وأرى ذكريات قديمة كخيالات مشوشة عن حالهم مع موسى عليه السلام..

وأرى خروجهم من مدينة النخل..

وأرى تفرقهم وشتاتهم وضعفهم..

ثم أرى نصرهم على المسلمين، وعلى العرب الذين رسموا دائرة الإسلام في الخارج، وتقننوا في نقض دوائره الصغيرة في الداخل دائرة دائرة.. ويوشك ذلك أن يأتي على الدائرة الكبيرة.. ولكنني سرعان ما أدركت أي مخطئ، وأي غر مغبون كنته.

إن لديهم إصراراً وثباتاً عجباً.. ولكنه فيما خططوا له من الباطل ومن المصائب والكوارث..

إنهم أساتذة وعباقر.. ولكن في الخبث والدهاء وإفساد العالم..

إنهم للأسف..

عرفوا من أين تؤكل الكتف.. فأكلوا كتف العالم، فأصبح العالم يتكئ عليهم يدري بذلك أو لا يدري..

أقول: ظللت معهم طويلاً وبعدت عن معاني التسبيح والعبودية والسجود..

أي ألم كان يعتريني حين أرى باقي الأشجار تسجد لله - ولكل سجوده -



لا يستطيع أن يحس تلك المتعة في هذه الهيئة (التسليمية) المتقنة..

ألم تسمعوا أيضاً عن ذلك البشري غير المسلم الذي أجرى البحوث على هيئة السجود، وأثبت أنها الهيئة الوحيدة التي يسترخي فيها الجسد ويكون في أفضل حالاته..؟

ما هذا..؟

هل ألوكم وأنا مثلكم..؟

أتهكم وأسخر وأنا أحق بالتهكم والسخرية.. ولكن عذراً.. فأنا اليوم لا أخفي عنكم ما أنا فيه من ضنك وكرب، وقد مللت صمتي وكرهته، وأردت اليوم أن أبوح بوحاً سمه إذا شئت بوحاً صامتاً..! لكنه رغم كل شيء بوح صادق.. رغم ما فيه من إثم.. وألم..

لم أحدثكم عن أحلامي بعد..

أحلام بعيدة في الزمان والمكان، وأحلام قريبة.. أحلام عن أحداث وقعت، وأحلام عن أحداث لم تقع..

كنت أحلم دوماً في المنام واليقظة حتى اختلط الأمر وبت لا أفرق بين الحلم والحقيقة، ولو كان الشجر يجن لعدوني شجرة مجنونة، ولكن قضي أن البشر أعقد عقولاً ونفوساً فهم أقرب للجنون منا..

كنت أحلم دوماً بذلك الجيش الذي يأتي ليجوب هذه البلاد، ولمجرد مقدمه تسعد الكائنات، وتتطلق الأسنة، وينفك أسر القلوب..

جيش لا يرهبه مرهب، ولا يخيفه سلاح..

رجال طوال أو قصار.. كثيرون أو قليلون..

جيش يذكرني بهؤلاء الأوائل الذين طردوا قومي..

الواحد منهم - ولو بدون عدة - كالجيش

الصغير..

قوي.. صلب.. مقدم..

يسري هذا الجيش بين الوديان والجبال والبيوت والشوارع، ويقاوم قومي، ويثأر لكل القتلى والأسرى والجرحى والأرامل والفتيات الباقيات عرضهن.. وتطلق كل الجمادات من حولي بالتسبيح أو الدعاء أو.. بالتحذير:

هذا يهودي خلفي..

هذا يهودي خلفي..

وأحاول أنا في هذه اللحظات العجيبة الشفافة الصادقة التي أظن أنني ألامس فيها حقيقة الكون..

وسر الميلاد والموت..

ومغزى التسليم للإله..

أحاول في هذه اللحظات التي تتطاير فيها الأشلاء، ويرتفع اللفظ، وتعلو الصيحات..

أحاول ولومرة واحدة أن أكون مثل هذه الجمادات الأخرى، ولو كان في ذلك أن أتبرأ من قومي، وأرى وأشعر في بقية الأشجار البغض والكراهة والغيظ لي ولكل شجرة سادرة في (غرقيتها)..

أحاول ولو لبرهة.. ولو للحظة.. ولو للمحة.. أن أنسى ما أنا فيه من الصمت..

وأحاول.. وأحاول..

ولكني لا أفصح.. وأنا أعلم أنني لن أفصح.. أمل يبرق في النفس وهي تعلم أنه سراب ولكن هذه الجمرة تظل تبرق ولو خادعة، فتبعث الحياة في الجسد رغم أنها قد تكون حياة (لا حياة)..

ولا أفصح في أن أنطق فأتجرع مرارة الصمت كما

تجرعها دوماً..

ولا أجد إلا هذه القطرات..

هذه الدمعات الخرساء التي أفرغها..

مع حزني..

وألبي..

وندمي..



يحتوي النقد العربي القديم مواقف تتبني على حس قرائي متفتح، يتجاوز القراءات الجامدة والمتعصبة، ويرتقي إلى مستوى من الوعي كبير وعميق إلى حد بعيد، يمنح النص فرصة إيجاد التأثير أو الأثر ويناقشه ويستقبله دونما ضيق أو تضيق، في مقابل الأطراف الأخرى التي دأبت على سوء تلقي فن القول.

ويعتبر ابن المقفع من بين الأسماء المضيئة، في التراث النقدي العربي، التي تفصح عن آفاق انتظار رحبة وواسعة وعميقة في تلقيها للنصوص الفكرية والإبداعية، أغنت ساحة البحث، ووطدت دعائم فن الإنصاف والنقد في تعاملها مع الأدب آنذاك، وقدمت معها آراء ومواقف مهمة وواعدة وثرية، وهو ما سنعمل على البحث فيه من خلال مسائلة فعل القراءة عنده.



مفهوم القراءة والقارئ عند ابن المقفع

مهمة وتصورات عميقة - في كثير من الأحيان - تمس هذا الجانب، مخبوءة بين طيات الكتب، أو مستمدة من آراء بعضهم تصرّيحاً أو تلميحاً.

«ابن المقفع والمتلقي»

سنحاول في البدء الوقوف عند علم بارز من أعلام الفكر العربي الإسلامي، وهو ابن المقفع الذي ترك مؤلفات عديدة وثرية ومشغبة أحياناً، ولكن حسبنا تتبع بعض ما ورد حول القضية



د. سعيد أصيل (*) - المغرب

«القراءة والقارئ عند ابن المقفع»

يجدر بنا أن نشير، منذ البداية، إلى أننا لا ندعي وجود نظرية للمتلقي في النقد العربي القديم، كما هو متعارف عليها اليوم بمصطلحاتها ومفاهيمها ومناهجها وبنائها النظري ونسقتها العلمي، ولكن حسبنا أن نبحت في ثانيا تراثنا عن وجود تصور، أو تصورات معينة،

تتناول آراء ومبادئ تهم القارئ وطريقة القراءة أو التلقي الذي يمارسه هذا القارئ أو ذاك المتلقي كما ينظر إليه مفكرون ونقاد خلفوا لنا مواقف

التي نعالجها.

يقدم ابن المقفع في مقدمة «كلیلة ودمنة» نظرات مهمة وعميقة حول نوع القارئ الذي يتوجه إليه خلال

كتابه - بل أغلب كتبه - محددا تقسيمه للقراء إلى ثلاثة، يقول متحدثا عن كتاب «كلىة ودمنة»: «وأما هو فجمع حكمة ولهوا، فاختره الحكماء لحكمته، والسفهاء للهو، والمتعلم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار إليه في صدره ولا يدري ما هو، بل عرف أنه قد ظفر من ذلك بكتاب مرقوم، وكان كالرجل لما استكمل الرجولية وجد أبويه قد كنزا له كنوزا، وعقدا له عقودا استغنى بها عن الكدح فيما يعمل من أمر معيشتة، فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة إلى غيرها من وجوه الأدب»^(١)

هكذا يقسم ابن المقفع القراء أو متلقي الكتاب إلى ثلاثة أصناف: «القراء الحكماء»

وهم الذين يصلون خلال قراءاتهم إلى جوهر المقروء والغرض الذي من أجله كتب ودون، ومن ثم يدركون حكمته، ويعون أهميته وفضله، ولن يتم لهم ذلك إلا بالجهد والمشقة، وإعمال الرأي بعد الرأي، وتمحيص الفكرة بعد الفكرة، وعدم التسليم بكل ما يقرأ ليصل إلى فهم المقروء فهما جيدا حسنا، ومن ثم يرتقي إلى درجة التأويل العلمي الرصين ليحصل له، وفي الأخير، معرفة هدف صاحب الكتاب وجوهر غايته، وإلا لم ينتفع به، وإنما أقصى ما قام هو أنه أتعب نفسه دونما هدف أو نتيجة، يقول ابن المقفع: «وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له وإلى أية غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه إلى البهائم، وأضافه إلى غير مفصح، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها مثلا، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدرك ما أريد بتلك المعاني، ولا أي ثمرة يجتني منها، ولا أي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب»^(٢).

إن القارئ الحكيم، عند ابن المقفع، قارئ متميز يحسن الانطلاق من المقدمات وفهمها ثم الانتقال بعد

ذلك إلى الغرض الأساس من القراءة ككل؛ ألا وهو معرفة «الوجوه الذي وضعت له» الكتب والموضوعات وإدراك ما تضمنته، بل إننا نكاد نستشف المنهج القرائي الذي يحاول ابن المقفع وضعه وتبنيه، ومن ثم يطلب من متلقي الكتاب سلوكه. هذا المنهج يتأسس على ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: مرحلة الفهم، وهي الواردة في قوله: «من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه كما لو أن رجلا قدم له جوز صحيح لم ينتفع به إلا أن يكسره»^(٣) فمرحلة الفهم تلك تستدعي تجاوز الوقوف عند هذا الحد، وإنما متابعة «القراءة» لفهم المعنى الثاني «الباطن».

- المرحلة الثانية: التمحيص وإعادة النظر: إذ «يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر من غير ضجر، ويلتمس جواهر معانيه»^(٤)، وغاية هذه المرحلة هي المعرفة والإدراك، فالقارئ «إن كانت غايته استتمام قراءته إلى الآخرة دون معرفة ما يقرؤه منه لم يعد عليه شيء يرجع إليه نفعه»^(٥). فلكي ينتفع بما يقرأ لا بد له أن يقرأ الكتاب من أوله إلى آخره ولكن بشرط حضور العقل والنظر في أثناء عملية القراءة لتحقيق المعرفة.

- المرحلة الثالثة: الرحلة الغائية أو مرحلة العمل بالقراءة والعلم، وهي ما يجعله ابن المقفع الهدف الأكبر لعملية التلقي، إذ لا فائدة من قراءة لا تنفع صاحبها، مادامت مرحلة التمحيص وإعادة النظر مرحلة حاسمة في سبيل الانتفاع من تلك المعارف المكتسبة والمعاني المجلوة. إن المعنى المعرفي يقف في حدود العقل الداخلي دون أن يتجاوزه، أي أن الأمر لا يعدو هنا المعرفة من أجل المعرفة، يقول ابن المقفع: «إن



والحضاري الإسلامي، ثم ما فائدة علم لا ينفع صاحبه بدءاً ولا يرفعه؟ ألم يقل الحق عز وجل في سورة المجادلة (الآية ١١) ﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾؟ فالعالم هو أول من يعظ نفسه بعلمه، ثم ينتقل لعظة الآخرين وتوعيتهم ونفعهم.

«القراء المتعلمون»

يعد ابن المقفع هذا النوع من القراءة، الخاص بالمتعلمين، سبيل الوصول إلى المرتبة الأولى السابقة، أي إنه لكي يصل القارئ إلى درجة القراء الحكماء لا بد له أن يمر من هذه الطريق؛ ولكن بشروط؛ وينهج النهج القويم في عملية التلقي للعلم، ومن ثم يرتقي حتى يصل إلى درجة السابقين وينضم إلى صفهم ويندرج في زميرهم. هذه الشروط هي ما يتضمنه قول ابن المقفع - وهو يتحدث عن كتاب «كليلة ودمنة»: «والمتعلم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار

إليه من أمر يربط في صدره ولا يدري ما هو، بل عرف أنه ظفر من ذلك بكتاب مرقوم»^(٩).

فعلمية القراءة هنا، عند هذا الصنف، تمر بثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الحفظ والأخذ عن ظهر قلب ودونما تدبر، ويمكننا أن ننتعها أيضاً بمرحلة «الجمع» وتتطلب نشاطاً مستمراً: «ناشط فيما صار إليه»، يجمع ويحفظ.

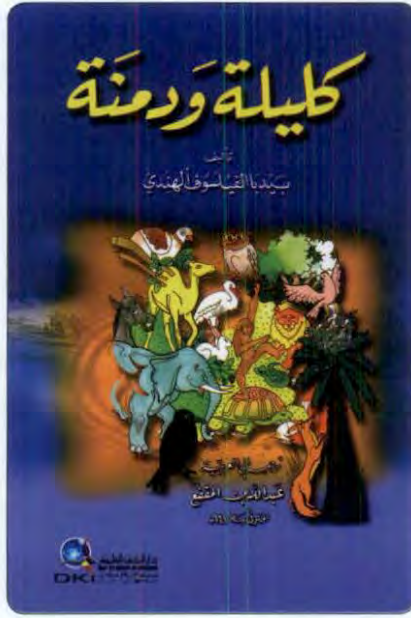
الثانية: مرحلة الكمون أو الاختمار، وهي التي يعمل فيها المتلقي، الذي يدوم على عملية الحفظ،

العامل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به، ويجعله مثلاً لا يحيد عنه^(٦) وهكذا تتوطد العلاقة بين القارئ والمقروء، إذ يترجم الأول الثاني إلى عمل، وينقله إلى درجة «المثال» الذي لا ينفصل عنه ولا يزيغ... من هنا يقول: «إن العلم لا يتم إلا بالعمل، وإن العلم كالشجرة، والعمل به

كالثمرة، وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به، وإن لم يستعمل ما يعلم لا يسمى عالماً»^(٧)، ثمرة العلم هي العمل، كما أنه لا جدوى ولا فائدة من الشجرة بدون وجود ثمار ينتفع بها الناس تُشْمَن عمل تلك الشجرة وتعطيها قيمة ومعنى، فالعالم صورة نموذجية للعلم الذي تعلمه، وترجمان - من خلال عمله به - لهذا العلم، سيتعلمه ويوظفه في سلوكه وعمله ومعاملاته وتصرفاته، وتلك صورة تحيلنا على أهمية العمل بالعلم في التصور الإسلامي المبني على أساس: العلم هو العمل به ولا فائدة من عالم لا يعمل بعلمه.

يؤكد ابن المقفع: «وعلى العالم أن يبدأ بنفسه فيؤدبها بعلمه، ولا تكون غايته اقتناؤه العلم لمعاونة غيره، ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها وليس لها في ذاك شيء من المنفعة. وكدودة القز التي تحكم صنعه ولا تنتفع به، فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه ثم عليه بعد ذلك أن يقبسه»^(٨).

ليست هذه براغماتية معاصرة، كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ولكنها قاعدة علمية وسلوكية أخلاقية معروفة، ولاسيما إذا ربطناها بالسياق الثقافي



خاصة عندما نعلم أنهم لا يستفيدون مما يقرؤون، ولا ينتفعون به ولا يعملون، فـ «صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به، وإن لم يستعمل ما يعلم لا يسمى عالماً، ولو أن رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمي جاهلاً»، إنه «المريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقله، ثم يحمله الشره على أكل رديئه، وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص



من علته»^(١٢)؛ وذلك بسبب عدم تمكنه من عنصر الإدراك والتبصر والتمييز، والقدرة على التمييز وإعمال النظر.

ويبلغ ابن المقفع درجة كبيرة من الاستهزاء بنموذج هؤلاء القراء السفهاء الذين يبحثون عن مواطن الهزل واللهو في الكتاب بسبب جهلهم وغفلتهم.. إنهم «أهل الهزل من الشبان»، يقرؤون كتاباً ككتاب «كليلة ودمنة» «فتستمال به قلوبهم له لأنه الغرض الوارد من حيل الحيوانات»^(١٣) بالنسبة لهم، لا غير. وهم صنف لا فرق بينهم وبين غيرهم من العميان، وإنما مثلهم كمثل

على توطئ ما يحفظ، وتوثيقه وعقله في ذاكرته مثلما تعقل الدابة خوف انفلاتها وضياها، وغالباً ما تتم هذه العملية بواسطة عنصر التكرار والاستظهار والإعادة بعد الإعادة التي غالباً ما تتم تحت يد ورعاية شيخ مربٍّ ومعلم.

الثالثة: مرحلة الدراية والوعي والتأويل، وهي التي يصل فيها القارئ إلى إدراك أنه «ظفر من ذلك بكتاب مرقوم»؛ أي عرف ووعى ما كان قد حفظه وتعلمه من خلال الدراسة والفهم، وهذه المرحلة هي التي يشير إليها ابن المقفع بقوله: «إذا احتكك الحدث، واجتمع له أمره، وثاب إليه عقله، وتدبر ما كان حفظ منه، وما وعاه في نفسه، وهو لا يدري ما هو، عرف أنه قد ظفر من ذلك بكنوز عظام»^(١٤). وفي هذه المرحلة يبدأ يشتد عود المتعلم، ويتجاوز الأخذ والحفظ والقراءة إلى التدبر والإدراك والوعي والتمحيص حتى يتجاوز ما يقرأ، ويعيد قراءته من تلقاء نفسه هو، لا بما أعطي له من معلمه، ومن ثم يعيد عملية إنتاج النص وتأويله مرة أخرى. وهي العملية التي تلحقه بقافلة القراء الحكماء فيما بعد.

«القراء السفهاء»

يقف هذا النوع من القراء على طرف النقيض من القراء الحكماء أساساً، والمتعلمين أيضاً، إنهم لا يختارون الكتاب ولا يقرؤونه إلا بحثاً عن كوامن اللهو فيه، و«اللهو» الذي يعكسه ظاهر بعض الكلام المتبطن بالحكمة والعلم والمشير إلى ظاهره، فكل «من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهراً وباطناً لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه، كما لو أن رجلاً قدم له جوزٌ صحيحٌ لم ينتفع به إلا أن يكسره»^(١٥)، وأن لهذا النوع من القراء أن يكسر عن الجوز قشرته لينتفع بما بداخله، ويقتحم عن الكتاب خطه ونقشه. وكثيراً ما ينعت ابن المقفع هذا النوع من القراء بالجهل،



أن يهتم به الكاتب أو صاحب الكلام. وما يلفت الانتباه هنا هو تأكيد ابن المقفع على حقيقة مهمة وأساسية وهي عدم إمكانية إرضاء رغبات كل القراء مهما بُذل من جهد، ومهما حرص «المتكلم» واحتاط، وهو في ذلك أيضا ينبه إلى ما يمكن أن يواجهه المتلقون الرسالة من أحوال ونفسيات وأحكام مسبقة، أحيانا، ومشوشة على عملية التواصل التي يجب أن يسودها الحياد وحسن الإصغاء للمَقُول/ الكلام، سماعيا أو بصريا .

إن فعل القراءة وعملية التلقي إذن غير بريئين، ومن الصعب ولوج نص من قبل متلق بريء خالص الذهن وصافيه إلا فيما ندر - إن لم نقل من المستحيل- ولذلك فعلى صاحب الكلام ألا يلقي اهتماما كبيرا لهؤلاء، ويكون غاية ما يصبو الوصول إلى تحقيقه هو إبلاغ و"إرضاء" «من يعرف حقوق الكلام» من القراء الحكماء الذين سبق الحديث عنهم.

«أصناف القراء عند ابن المقفع»

بناء على ما عرضناه، من قبل، يصنف ابن المقفع القراء إلى أربعة أصناف:

أ- العارف بحقوق الكلام: وهو الذي يجب على المرسل إرضاءه وإيلاؤه الاهتمام الكبير، فإذا وصل إلى هذه الغاية فقد تحققت العملية التواصلية معه وأعطى- من خلال رسالته تلك- «كل مقام حقه».

ب- الحاسد: وهو القارئ الذي لن يرضى على المرسل ولا على الرسالة، لأن الحسد سيمنعه من ذلك، وسيشكل حاجزا وعائقا يحول دون سلامة عملية التلقي ونجاعتهما، مادام ينظر إلى صاحبها لا إليها، وإلى المقول عوض القائل.

ج- العدو: وهو أيضا قارئ لا يمكن إرضاءه بسبب نظرة العداة المتحكمة في نظريته إلى صاحب الكلام والمقال، ومن ثم لن ترضيه الرسالة أبدا مهما بلغت من درجة في حسن الإتيان وجودة السبك وسلامة

«رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى، سافهما الأجل إلى حفرة فوقها فيها، كانا إذا صارا جميعا في قعرها بمنزلة واحدة، غير أن البصير أقل عذرا عند الناس من الضير؛ إذ كانت له عينان يبصر بهما، وذاك بما صار إليه جاهل غير عارف»^(١٤)

ويقدم ابن المقفع فهما آخر متميزا لنموذج هؤلاء القراء وأصنافهم، متحدثا عن مراتبهم ومواقفهم، وهذا ما يمكن أن نستشفه من نص قصير له أورده



تلميذه الجاحظ في كتاب «الحيوان» يقول فيه: «إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيها شيء. وأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضى جميع الناس لا تناله»^(١٥).. فصاحبنا يقسم فئة هؤلاء القراء إلى ثلاثة: الحاسد، والعدو، والجاهل، بينما يقف القارئ العارف في الضفة الأخرى المقابلة؛ وهو ما يجب

التعبير ودقة الأفكار وأهميتها، وهو أيضا يحاكم الرسالة انطلاقا من الاعتبارات الشخصية الخاصة التي تؤثر علاقته العدائية بصاحبها.

د- الجاهل: وهذا النوع من القراء لا حاجة لمنتج الرسالة به، وعليه عدم الاهتمام به، بل يجب تغيبه أثناء عملية إعداد الرسالة، فلا رابطة يمكن أن تكون بينهما: «فلست منه وليس منك».

لقد قدم ابن المقفع تفصيلا مهما لمستويات القراء في تعاملهم مع القراءة والمقروء، كما تحدث عن رد فعلهم تجاههما؛ وذلك «انطلاقا من نوعين أساسيين من الحالات:

حالاتهم الشعورية (الحاقد، العدو).

حالاتهم الفكرية (العارف - الجاهل).

ويصل إلى نتائج مهمة في عملية التوصيل منها:

- أن الرسالة توجه إلى فئة دون أخرى، ويظهر ذلك في بنائها وصياغتها الفنية.

- أن إرضاء جميع القراء شيء لا ينال، لأن ثمة عوامل كثيرة ومعقدة تتدخل في عملة القراءة: بعضها نفسي، وبعضها الآخر فكري إيديولوجي. وهذه كلها عوائق ومشوشات تعرقل سير الرسالة، وتعيقها عن بلوغ الهدف المنشود.

- أن اختلال عملية التوصيل يقع، في الغالب، على عاتق القارئ لا على عاتق المنتج، ومعنى ذلك أن القراءة هي المسؤولة عن إنتاج المعنى لأنها هي التي تقوم بعملية التأويل»^(١٦).

تلك إذن كانت أبرز الموضوعات والأفكار التي وقف عندها ابن المقفع وهو يحاور القراء، ويتحدث عنهم وعن أصنافهم، ودرجات تعاملهم مع المقروء/ الكتاب، وهي بذلك كله نظرات مهمة ومفيدة ودقيقة، سبق إليها هذا المفكر، وقدّم بها بعض كتبه، وكأنه بذلك يسطر ميثاقا للقراءة والقراء المنتظرين حتى يستطيعوا تحقيق تواصل جيد مع هذا المقروء، ويصلوا إلى الأبعاد العميقة الماثورة في داخله، ومن ثم يصححوا بعض أخطاء القراءة، ويتجاوزوا بعض هناتها.

هكذا يقدم لنا ابن المقفع فهما عميقا ودقيقا لمفهوم القارئ الذي وجد في عصره، في الوقت نفسه الذي يقدم فيه رأيه في القارئ كما يريده ويفترض وجوده، وهي آراء ومواقف تبدو متقدمة عن عصرها، بل ذات أبعاد متطورة ونظرات فاحصة: تلامس منهاجا خاصا لتلقي النصوص، وترصد رؤية متميزة لم تتح لها فرصة التطوير من قبل من عاصروه أو جاؤوا بعده ■

الهوامش:

- (١٥) الجاحظ: «الحيوان» تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل ودار الفكر - بيروت: ١٩٨٨ ج: ٧ - ص: ٩٢.
- (١٦) محمد بلاجي: «مفهوم القارئ عند الجاحظ» - ضمن «الأدب والبناء الحضاري» إعداد: حسن الأمrani - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - وجدة - المغرب - سلسلة «بحوث ودراسات-٨» الطبعة الأولى: ٢٠٠٠ - ص: ٧٢.
- (٥) نفسه - ص: ٣٦.
- (٦) نفسه - ص: ٣١.
- (٧) نفسه - ص: ٣٢.
- (٨) نفسه - ص: ٣٢.
- (٩) نفسه - ص: ٣٠.
- (١٠) نفسه - ص: ٤-٣.
- (١١) نفسه - ص: ٣١.
- (١٢) نفسه - ص: ٣٢.
- (١٣) نفسه - ص: ٣٧.
- (١٤) نفسه - ص: ٣٢.
- (*) أستاذ بالجامعة الدولية بالدار البيضاء، وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن الأول، سطات - المغرب.
- (١) عبد الله بن المقفع "كيلة ودمنة" - المكتبة الثقافية - بيروت/ لبنان - (ب.ت) - ص: ٣٠.
- (٢) نفسه - ص: ٣٠.
- (٣) نفسه - ص: ٣١.
- (٤) نفسه - ص: ٣٦.



عكاكيز



محمد عبد الصمد الإدريسي - المغرب

لا يقلق «عمر الحداد» شيء كما تقلقه حالته الخاصة التي لم يعد يطيق الظهور بها أمام الناس، إنه معاق لا يتحرك إلا بعكازين اثنين يسيران معه كما يسير ظله.. هذا أمر عادي فمئات من الناس أمثاله.. لكن ما يزعجه هو أنه ليس الوحيد في بيته، إن ولديه معا يعانيان مما يعاني منه، لكنه استساغ هذه المرارة أيضا منذ مدة، ولم يعد يشعر بحرج مع مرور الوقت.. بل سلم لقضاء الله، وواسى نفسه بأن المؤمن مبتلى.. وأن السعادة في الدنيا شيء آخر قد يتجاوز البدن.. وأن القناعة كنز لا يفنى.

ولم يقلق وهذا أمر وراثي، كتب عليه وعلى أبنائه، ولم تنفع عقاير الأطباء، ولا جراحة الجراحين في إخراج هذا الداء الذي يسكنه، وإنقاذ أبنائه معه من مرض يكمن متربصا في أبدانهم الصغيرة في سنواتهم الأولى ثم لا يلبث أن يفعل فعله فيعوقهم عن المشي بعد سنوات قليلة.. هاهو ذا مسلم للقضاء.. راض بنصيبه، فما الذي يقلقه إذن؟ إن الذي لا يحتمله «عمر الحداد» ولا يبعث في نفسه الارتياح هو حين يرافقه أبنائه لضرورة ما، أو يتمشون جميعا في الشارع بعكايزهم. إن الأمر يبدو كما لو كان جوفة من نوع خاص لها وقع

لا يستقيم ميزانه. فيكون المشهد مثيرا للانتباه وربما لمشاعر أخرى. والنظرات التي يقرؤها في عيون الناس من حوله، وإن كان يعلم علم اليقين أنها مشاعر إشفاق ودعاء، يتمنى معها لو أن له نفقا في الأرض أو سلما في السماء يمرون منه حتى لا تراهم أعين الفضول. إنه يحس بعيون الناس ونظراتهم كأنها تنتصب له في الأرض وتوشك أن تشل خطاه.. لا.. ليس هذا فقط.. إنها تشعره في نفسه بشيء من الضعف أمام أولاده لا يعرف كنهه ولا تقديره، بل الحق أنه يتمنى في بعض الأحيان لو لم يتعامل الناس معه بشيء

من التفضيل، أو يعطوه حق الأسبقية في المصالح والإدارات، أو يعطف عليه أحدهم هنا أو هناك.

في المرة الأخيرة في «البلدية» ما إن دخل حتى قدمه أحدهم، وسمع بعض التتمعات وهو يجتاز الصف الطويل الذي ينتظر الناس فيه دورهم. لم يلتفت ليرى من هذا اللثيم الذي ضاقت به نفسه. فقد رد عليه أحدهم:

- حرام عليك والله.. هذا «مخصوص».. احمد ربك على الصحة والعافية.

- كلنا «مخصوصون».. المشكل يا سيدي في البلدية.. لماذا لم تعمل مكانا خاصا بالمخصوصين.

- ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء..

علا الضجيج.. وخرج «عمر» وقد قضى حاجته، ثم أرسل زفرة طويلة، وسار يعبر الطريق تختلط في سمعه بقايا كلام الناس مع منبهات السيارات المارقة أمامه.. فجأة كاد أن يرتمي أرضا وهو يتراجع من الشارع اتقاء لسيارة مجنونة.. سال بعض من لعاب أمانيه، وتذكر أن لا طاقة له بسيارة ثقله هو وأولاده.. إن دخله من ورشة الحدادة التي يمتلكها يوشك أن لا يكفيه لخوض حياته اليومية، ثم فكر في العكازات الستة في بيته، فخطرت له فكرة ابتسم لها في نشوة ومضى يعبر الشارع كأنما حيزت له الدنيا بأجمعها.

انقلبت نفسية «عمر الحداد» رأسا على عقب منذ خطرت له الفكرة. ثم رفرفت الابتسامة على محياه، وهو يرى مشروعه الصغير يوشك أن يكتمل، وخبرته في الحدادة جعلته يصنع حلمه بيده، فاعتكف يشغل.. ثم يفكر.. ويشغل.. ثم يعدل ويضيف.. ويجرب، واحتاج أن يذهب إلى مركز لقطع الغيار المستعملة، فساعده صاحبه بما استطاع ولم يأخذ منه شيئا. ثم استدعى أحد التقنيين من معارفه فلم يبخل عليه بخبرته. واكتشف أن القدر مازال يبسم له.

فرك يديه من النشوة وهو يرى جهده يثمر يانعا، وصرخ صرخة مدوية أوشكت أن تهد أركان ورشته المهترئة. ثم رقص في خفة كبهلوان يقلد أعرج، لولا أنه أعرج يقلد بهلوانا.. نادى ولديه وزوجته لحضور هذا الحفل الخاص، الذي يوقن أنه لا يعدله أي حفل آخر من حفلات الدنيا، وسادت لحظة صمت وترقب.. ثم.. ثم أدار المحرك، فزفر زفرة كأنما نفثها شيطان مريد. انطلقت على إثرها هذه الآلة العجيبة تذرع الشارع، وصاحبها لا يكاد يصدق أنه صاحبها، والتفت إلى ولديه من خلفه وقد ضاق بهما الفضاء من فرط الفرح والدهشة، ثم أطل عليه ابنه من خلفه وهو يشده من كتفه:

- لا عكايز بعد اليوم يا أبي..

قال وهو يزيد من السرعة:

- ولا نظرات تلاحقنا يا بني، هذا حلمي الذي كبر معكما فكان ثالث أبنائي..

وطارت دمعته مع رياح السرعة في الهواء. وهو يدخل الشارع الرئيسي في المدينة. ولاحظ عيون الدهشة والإعجاب تشيعه وهو على آتة الهجينة التي لا يعرف لها اسما.. فهي خليط بين رأس دراجة نارية وذيل سيارة «كلاسيكية» بالية.. لم تكن تصلح لشيء.. جملها «عمر» بحذقه وبراعته، فلا يستطيع أحد تحديد جنسها ولا شكلها من بعيد مهما كان نظره حديدا. وما بهمه من شكلها أو جنسها؟ وقد رفعت عنه الحرج الذي تُشعره به العكايز!

كان يخترق الشوارع لا يعبا بمن حوله، كأنه محمول على شعاع من خيال. وأنفه الصغير يعوزه عن استنشاق كل ذلك الهواء العليل. يود لو طالت أنفاسه ولا تنقطع. من قال: إن الحياة لا تستحق أن تعاش؟! ألا فلتطل الشوارع ما شاء لها أن تطول. وليحملق فيه من أراد من أصحاب العيون الكبيرة والغائرة. ها هو ذا يمشي في



وسط الشارع كغيره من أصحاب السيارات، ومن حين لحين يقف مزهوا ليستقبل تهاني بعض من يعرفه في الشارع؛ فلا يكاد يقف حتى يتحلق الناس حوله ما بين مهنتي ومستطلع وضاحك.. ثم لا يستسلم لهم قليلا، حتى يدير مفتاح المحرك ويدعهم في دهشتهم حائرين. ما هذا؟ إنه لم يخطئ في حق أحد في الشارع!! ولم يجتز الإشارة الحمراء!! فما لهذا الذي أمامه يستوقفه ويأمره بالتنحي جانب الطريق؟؟

وركن آلتة العجيبة إلى جانب الرصيف، ثم نزل من السيارة التي وقفت أمامه رجل طويل القامة فخم المنظر، فجاءه في موكب من الغموض والحيرة، قال وعيناه محجوبتان بنظارة سوداء:

- أهلا سي «عمر» مبروك الـ...

رد ومشاعر من الزهو والخوف تتجاذبه:

- الله يبارك فيك.. هذا حلمي تحقق

- ما اسم هذا الـ... المولود الجديد؟

- هههههه.. لم نسمه بعد.. هذا يومه الأول..

- عندك رخصة؟ أو أي وثيقة خاصة به؟

- لا..لا.. قلت هذا يومه الأول.

- وكيف تخرج به دون رخصة؟

ثم قبل أن يجيب استطرد الرجل:

- أنا أمامك.. اتبعني.

طافت سحابة من الهم والضيق في جو «عمر الحداد» وأدار مفتاح المحرك بيد مرتعشة، وعيناه تغرقان في الدموع، لقد ظن أن معاناته انتهت، وأن القدر ابتسم له ولحظه الهزيل هذه المرة على الأقل.. لكن الدنيا غدارة بالفعل.. لم تمهله حتى ساعة من نهار.. إنه لم يعرف أي نوع من المتابعة من قبل، حتى قاد نفسه برجليه إليها.. يا لغباته!! لم لم يستعطف الرجل ليعفو عنه؟ إنها غلطته الأولى؟ أم.. من عكازي الحبيين! القناعة.. ثم القناعة..

أوقف المحرك وسحب عكازيه من خلف الآلة العجيبة، ثم تبع الرجل بعد أن نزل من سيارته.. دخل تسبقه تمتاته، وترك ابنه في الخارج يقطر قلبهما حيرة وفزعا.

جلس في الكرسي أمامه، وفكر أن يتوسل إليه قبل أن يسجل في حقه محضرا هو بريء منه. أو على الأقل لا قصد له فيما يتضمنه. ثم ابتدره الرجل فجأة بالحديث وهو ينزع نظارته ويقول مبتسما:

- أتعرف لماذا أنت هنا؟

- والله العظيم.. لا علم لي.. إن الحيرة تكاد تقتلني.. ولم أفهم ما قصة الأوراق التي تحدثت عنها.

- هههه.. صحيح.. أنت لا تعرف ماذا ارتكبت من حماقة.. لكني سأوضح لك لماذا جئت بك..

- لماذا يا سيدي؟

- أنا مسؤول قسم الاختراعات والإبداع.

ثم اقترب منه ووضع يديه على كتفيه وأضاف:

- أحييك أولا على عصاميته وجهدك. وحتى لا يضيع حقلك؛ يجب أن تسجل براءة اختراع لإبداعك العظيم.. أنت مبدع حقاً! ■

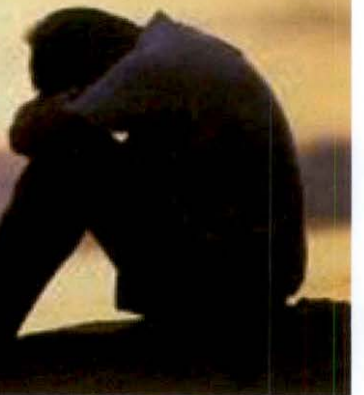


ما وراء القلق



محمود محمد كلزي - سورية

أنا في أي ظلام مطبق
كل جزء من كياني ضائع
مزق لومرت الريح بها
خافقي مابين أضغاث الرؤى
قلق يمضغني يسفعني
نظرتي زائغة تائهة
هي لا تدري أبقى فرقداً
الربيع الطلق ينهل ندى
وشراعاً ينثر الدفء على
وأنا في لجة العمر على
غصة خانقة في رئتي
لست أدري .. أي بحر زاخر
وتلفّت فإذ بي يقظ
من ترى أيقظ في روعي الهدى
فإذا بالذكر ينهل سناً
سكرة منه عرتني هزة
للممتني كرفات نثرت
فإذا بي قمة شامخة
وعيون سلكت درب الهدى
أنا إن أشعلت مشكاتي .. فما
وهوى يسحق لي عمري الشقي
ها هنا ملقى .. وخلف الأفق
لرأت فيها بقايا المزق
و خيالات خيال شيق
لست أدري ما وراء القلق
خلف أسجاف المدى المزروق
في ظلام الليل أو في الغسق
وعبيراً وشذى حب نقي
موطئ الشمس ومسرى الشفق
موجة .. يبحث عني زورقي
وبقلبي .. لوعة المختنق
أنا فيه في حميم الغرق
في مدى أشتات عمري المرهق
وأنا الدرب بعد الأرق؟
غمر الكون بوحي مشرق
أشعلت مني حطام الرمق
وهيولى كُسيث بالخرق
وفؤاد مترع بالعَبَق
وكيان سابع بالألق
إنني فوق براق ارتقي





المديح النبوي

في شعر الشعراء

الأردنيين غير المسلمين

— فيضان قادر - باكستان —

ولقد أرجع الدكتور رياض مجيد سبب ذلك إلى عوامل سياسية واجتماعية من أبرزها العلاقات الطيبة التي نشأت بين المسلمين والهندوسيين بعد هذه الثورة، والتي لم تكن قوية بالدرجة التي غدت بعدها^(١)، في حين نجد الشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي - رحمه الله - يعلن ذلك بما تقبله النفوس وترضاه القلوب، وهو أقرب إلى الواقع، يقول الشيخ: «إن نبينا محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ومن ثمة كان له - من هذه الناحية - فضل كبير على الإنسانية بقضها وقضيضها، بحيث لا يسع أحداً - كائناً من كان - إنكاره على شريطة ألا يستولي عليه العناد والتعصب لقومه، ولقد سمت به هذه الصفات العظيمة والكمالات الشخصية إلى درجة إذا قرأ سيرته أحد لمحا وخطفا بشرط سلامة طبعه لا يملك نفسه من عواطف الحب الجياشة حيال الرسول ﷺ، وإذا كان شاعراً تتجسد هذه العواطف القوية، فتكسب قالباً محسوساً يسمى مديحاً نبوياً...»^(٢)

ويدلي شأن الحق الحقي - الأديب الأردني الكبير - بدلوه مؤيداً رأيه. يقول: «إنه يستبين من دراسة مدائحهم النبوية أنها ما قيلت للتسلية والترويح عن النفس؛ لأنه لم يكن هناك داع إلى ذلك»^(٣)

وباستعراض ما كتبه الأسماء الشعرية من المدائح النبوية يلاحظ أنهم طائفتان: طائفة تعترف له - ﷺ - بنبوته وخاتمته كما تعترف بأسوته الحسنة مشيدين بها في أمودحاتهم بأسلوب بليغ - وطائفة تمدحه باعتباره أكبر نموذج إنساني يحتذى به وأكملة^(٤).

وفيما يأتي من المقال أمثلة ونماذج مختارة من شعرهم تعبر عن مدى حب أصحابها العميق وتقديسهم البالغ للنبي ﷺ.

دراسة شعر الشعراء الهندوسيين وغيرهم من السيخ والمسيحيين تؤكد على أن اشتغالهم بكتابة قصائد المديح النبوي قديم قدم اللغة الأردية، وقد زاد اهتمامهم به بعد ثورة الاستقلال عام ١٨٥٧م؛ إذ نجد في العصر الحديث عديداً من الشعراء غير المسلمين قد أسهموا في ذلك إسهاماً لا بأس به، ولا مساع للتماضي عنه.

«لا بد أنك عدت من حدائق المدينة المنورة، والا فمن أين يمكن أن تكون رزقت هذه العذوبة في لحنك». وأخيرا يرجع الأمر إلى حب النبي ﷺ إذ يقول: «وأدنى ما تراه فيما أورث فيك الحب أنك أصبحت بارعا في إنشاء القصائد في المديح النبوي بالرغم من أنك هندوسي، فما أعجبه!»^(٧).

ولله در الحب الذي يحمل المحبين على ابتكار المعاني وإبداع الأساليب! فقد استطاع كورو نانك مؤسس ديانة السيخ أن يربط كل شيء بالرسول ﷺ، وذلك، لأن العدد (٩٢) يساوي اسم محمد، ولكل

فالشاعر الشيخ شمشير سينك بهادر يصور مشاعره الروحية والقلبية، ويتحدث عن أن! قد غلبه حب الرسول الأعظم فشغله عن كل شيء، إذ يقول: «ترشح حب محمد في قلبي حتى لا أتصور سواه، ولا أفكر في غيره، وبفضل هذا الحب غمرتني سعادة كبيرة! لكأني في الربيع...».

والشاعر دلوزام من أشهر الشعراء الهندوسيين للمديح النبوي: فهو صاحب ديوان مطبوع يحوي المدائح النبوية بعنوان «كلبن نعت كوثرى»، وقد اعتنق الإسلام - أحق الأديان وأهداها - في آخر أمره.

يقول في قصيدة تفيض بالوجدان والعواطف المتموجة: «كنت أعشق محمدا، وكان هذا العالم منعما يرزق الوجود، حين لم يكن سوى فضاء متسع، وحين لم يخلق آدم ولا حواء، وحين لا وجود لملك من الملوك، ولا فلس ولا دينار. كنت أعشق محمدا آنئذ يا كوثرى، مثل عشقي له اليوم، ولم يعتره الفتور»^(٥).

وشعر الشاعر لاله جنوبل يمتاز عن غيره قوة وتأثيرا ورقة وعذوبة، تتجلى فيه العاطفة أقوى وأروع منها في غيره. يقول في قصيدة: «لم تبق وجوه حسان ولا ذكراها، ولقد غدا قلبي الولوع متعلقا بمحمد» ويضيف قائلا وقد عزَّ عليه طول الفراق: «أيتها العين الباكية، مالك تذرفين دموعا يصحبها دم، وأنا حامل بين ضلوعي ذكرى محمد، فلماذا هذا البكاء؟!»^(٦).

إلى أن قال:

«لقد بكيت في فراق محمد ما شاء الله أن بكيت، وأشبعت كثرة دموعي سيلا عظيما».

ثم يظهر حيرته وإعجابه بأسلوبه الرائع في المديح النبوي فيمثل نفسه بعنديلبي ويخاطبه قائلا:



حرف من حروف الهجاء عدد بإزائه يختلف عما لغير ذلك الحرف، فلألف العدد (١)، وللباء (٢) وهكذا دواليك.

والشاعر بخشي شوري لال يتمنى أحلى ما يتمنى أن يعثر على الرمل الذي أسعدته وطأة الرسول ﷺ، إذ يقول: «ليتني أظفر برمل وطنته قدم محمد فأكتحله في عيني»^(٨).

وكما قال الله تعالى في القرآن الكريم: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء ١٠٧)، فليس



ويرى الشاعر كوبي نات أن الإنسان أكثر من الملك
شرفاً وأكبر منه منزلة، ويستدل على ذلك بأخلاق
النبي محمد ﷺ إذ يقول:
«إن الإنسان يفضل الملائكة بمرات ومرات، وإذا
شككت يا هذا، فانظر إلى أخلاق محمد وسيرته حتى
تتيقن بذلك.»^(١٠)

ويقول في قصيدة يتخيل فيها أنه يخاطب الرسول
الأعظم: «أيا مظهر التقوى، مجلى الصدق والوفاء،
أنت هادي الأمم إلى طريق الهدى، عليك آلاف
الصلوات والسلامات، أنت مؤسس الدين الغالب
وحامي الشرع المبين، وأنت سالك الطريق إلى العرش
المجيد، عليك آلاف الصلوات والسلامات، يا مفخرة
الأمم وكنز الجود والكرم بكل معاني الأدب أقول:
«عليك آلاف الصلوات والسلامات.»^(١١)

ونختتم المقال بذكر بعض الشعراء مع دواوينهم التي
تتألف من المدائح النبوية فالشاعر سرکش يرشاد له
«بديّة ارشاد»، وكالي داس كبتا صاحب ديوان «أجالي» أي
الأنوار، والشاعر جرن سرناز صاحب «ريبر أعظم»^(١٢) ■



المسلمون هم الذين يعترفون بهذه الحقيقة البينة،
وانما الكثيرون غيرهم أيضا يعترفون بها، ومنهم
الشاعر كنور سورج، إذ يقول:
«أنا مؤمن بمحمد، وكيف لا وهو رحمة للعالمين؟
وليس نبياً لقوم دون قوم، ولكنه نبي لجميع الأقسام
باليقين...»^(٩)

الهوامش

- | | | |
|--------------------------|-------------------------|------------------------------|
| (١) أردوميس لغة كوئي. | (٥) المصدر السابق. | (١٠) تذكرة شعراء، أتريردليش. |
| (٢) ماينامه بريان، دبلي. | (٦) المصدر السابق. | (١١) المصدر السابق. |
| (٣) بير زمال، بير زمال. | (٧) المصدر السابق. | (١٢) المصدر السابق. |
| (٤) المصدر السابق. | (٨) ماينامه نعت، لاهور. | |
| | (٩) المصدر السابق. | |

منفى

أشرف محمد قاسم - مصر

بغداد.. بعدك لم ألق الهوى سكنا
أنا الذي حلمه قد طاول الزمنا
لا الليل يُطفئ جمر الشوق في بدني
ولا النهار المرجى قد غدا سكنا
أدركت بعدك أن العمر مقصلة
والحب وهم كبير يورث الشجنا

أُمَامُ!..!



د. معاذ نحاس - سورية

أُمَامُ يَا قَلْبًا يَفِيضُ عَطَاءَ
 أُمَامُ يَا زَهْرًا تَفْشِي عِطْرَهُ
 أُمَامُ يَا نَسَمَاتِ حُبٍّ قَدْ هَفَّتْ
 أُمَامُ يَا دَقَّاتِ قَلْبٍ عَاشِقٍ
 أُمَامُ أَنْتِ الْغَيْثُ يَهْمِي دَافِقًا
 أُمَامُ أَنْتِ الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ
 أُمَامُ فَكُنِي النُّجْمَ فِي عَلَيَّائِهِ
 أُمَامُ يَا رُوحًا سَرَى فِي مُهْجَتِي
 أُمَامُ يَا أَمَلًا سَرَى فِي أَضْلَعِي
 أُمَامُ يَا نُورًا سَرَى فِي أَعْيُنِي
 أُمَامُ يَا حُبًّا سَرَى فِي خَافِقِي
 أُمَامُ يَا قَمَرًا بَدَأَ فِي نَاطِرِي
 أُمَامُ يَا عِلْمًا أَنْسَتْ بَنِيْلَهُ
 أُمَامُ يَا جُودًا أَلْفَتْ عَطَاءَهُ
 أُمَامُ قَدْ أَرْضَعْتِنِي لَبَنَ التُّقَى
 أُمَامُ قَلْبُكَ قَدْ أَفَاضَ عَلَى الدُّنَا
 وَظَهَرَتْ لِلدُّنْيَا بِوَجْهِ مُشْرِقٍ
 فَهَقَامُكَ الْأَسْمَى بِقَلْبِي قَدْ عَلَا
 نَفْسِي فِدَى لِكَ وَالْفُؤَادُ وَمُقْلَتِي
 وَمَحَاجِرُ الْعَيْنَيْنِ بِالْأَشْوَاقِ قَدْ
 أُمَامُ أَسْأَلُكَ الرِّضَا مِنْ خَافِقِي
 أُمَامُ يَا شَمْسًا تَشْعُ ضِيَاءَ
 أُمَامُ يَا مِسْكَاً يَفُوحُ زَكَاءَ
 تُحْيِي حَشَاشَةَ مُهْجَتِي الْجَدْبَاءَ
 يَرَوِي بِكُوثَرِهِ الْقُلُوبَ ظِمَاءَ
 زَخَاتُهُ تَسْقِي النُّفُوسَ رَوَاءَ
 دُرِّ تَلَالُأِ رَوْعَةٍ وَنَقَاءَ
 وَالْبَدْرَ حُسْنًا لِلْعَيُونِ تَرَاءَ
 فَازْدَادَ قَلْبِي لَهْفَةً وَصَفَاءَ
 فَازْدَادَ عَزَمِي قُوَّةً وَابَاءَ
 فَازْدَادَ دَرْبِي شُعْلَةً وَمَضَاءَ
 فَازْدَدْتُ حُبًّا لِلْوَرَى وَوَفَاءَ
 فَازْدَادَ وَجْهِي نَضْرَةً وَبَهَاءَ
 فَازْدَادَ عَقْلِي فِطْنَةً وَذَكَاءَ
 فَازْدَادَ كَفْيِي مِنَّةً وَسَخَاءَ
 لِيَرِقَّ قَلْبِي خَشْيَةً وَرَجَاءَ
 حُبًّا وَنُورًا يَكْشِفُ الظُّلْمَاءَ
 فَازْدَانَ وَجْهَ الْعَالَمِينَ سَنَاءَ
 فَوْقَ الْغَمَامِ يُعَانِقُ الْجُوزَاءَ
 وَالرُّوحُ تَقْدِي الطَّلَعَةَ الْحَسَنَاءَ
 فَاضَتْ بِدَمْعٍ يَمْلَأُ الْأَرْجَاءَ
 بَرٌّ حُنُونٌ يَغْفِرُ الْأَخْطَاءَ





المنهج النقدي الغربي والمقدس الديني

— أمينة حاج داود- الجزائر —

هذا الكم الهائل المتسارع المتداخل المختلف من التيارات التي عصفت بساحة النقد العربي مؤخراً، وبنصه شعرياً أو نثرياً، أدت في الكثير من الأحيان إلى ظهور كائنات لغوية شائهة ممسوخة، وتركت النص العربي يتخبط في جداول ومربعات وترسيمات، وكأنما هي تقيده أو تخلع عنه رداء الجمال والفتنة، وتصبغه بمساحيق منهجية يحسبها الظمآن ماء، رغم أننا لا ننكر قدرة هذه المناهج واستطاعتها النفوذ إلى عالم النص العربي ولو اضطرت إلى التنازل عن بعض خصوصيتها لتستطلق هذا النص وتستقرئه، إلا أن هذا الهبوب المنهجي المتضارب كبل الفكر النقدي، وحرمه فرصة إعادة النظر في هذه المناهج ونقدها، وأبقاه حبيس مرحلة التلقي والاستيعاب من دون أن يتجاوزها إلى مرحلة أكثر تقدماً كمرحلة نقد النقد، وإيجاد مصبات يلقي بها المنهج تلك الشوائب التي غالباً ما تكون عالقة به، ولا ينفك ينفثها في جسد النص لحظة الاقتران به.

« المنهج النقدي الغربي يطال القرآن الكريم »

لم يعد الأمر في تطبيق المنهج الغربي على النص العربي مقتصرًا على النصوص الأدبية، بل تعداه إلى القرآن الكريم، ولا أريد أن أقول: النص القرآني؛ لأنه إشكالية أخرى، فإلصاق صفة النصية بالقرآن الكريم قد تجعله موازيا لغيره من النصوص، ما يذهب بشيء من قدسيته، وهذا في اعتقادي خطأ شائع يقع فيه الكثير من النقاد، حينما يقولون (النص القرآني)، والأفضل أن يقال: القرآن الكريم.



أن ترى ذنباً في الغابة.. فإن هذا شيء بديهي وطبيعي، ولا يبعث على الحيرة أو الحذر أو السؤال، ولكن أن ترى ذنباً يحوم حول بيتك فهذا مريب الضرس! وهنا لا بد أن تتوقف، وأن تتخذ كل التدابير وأسباب الوقاية كي تبقى بأمان أنت وعائلتك..!

هذا هو فعلاً واقع الحال مع المناهج الغربية التي أغرقت ساحتنا النقدية الحديثة، وأبقت الناقد العربي كمن هو وسط بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكلما تقدم جولة في محاولة فهم منهج معين واستيعابه، وكاد يهضمه بزغ إلى الوجود منهج آخر، بحضريات مختلفة وخلفيات مغايرة، وغالباً ما يكون نقياً للمنهج الأول أو قائماً على أنقاضه، فمن النبوية إلى ما بعد النبوية، ثم الأسلوبية وبعدها كما قال النقاد موت الأسلوبية، ثم منهج سيميائي فتنكيكي فتأويلي، بالإضافة إلى نظريات القراءة والتلقي.

فلم نسمح لأنفسنا بأن يتربع هذا الدخيل المنهجي ويطال القرآن الكريم والحديث النبوي؟
ألا نخاف أن يكون لهذه المناهج خلفية معرفية وفلسفية قد تلقي بثقلها على كاهل هذه المقدسات فتتحرف بها عن الدلالة الصحيحة التي تحتويها؟
إن قراءة نص شعري قراءة أسلوبية تقضي بنا إلى تقويل الشاعر ما لم يقل أو حتى استخراج واستنباط



معاني ودلالات هو نفسه لم يكن مدركا لها لحظة الكتابة أمر مقبول، ولكن أن نقرأ القرآن الكريم بمنهج غربي قد يفضي في النهاية إلى النزوع نحو الخطأ في القراءة والتأويل؛ فهذا أمر غير مسموح به شرعا وعرفا.

من ناحية أخرى إذا كان تطبيق هذه المناهج مع تهجينها وعدم الخضوع المطلق المتلبذ القاصر - كما ذكر الدكتور عبد الملك مرتاض - أمرا ممكنا؛ أفلا ينبغي أولا أن نعالج إشكالية اختيار المنهج؟ فنحن نعلم أن لكل مدونة طبيعة تفرض عليها انتقاء هذا المنهج دون

لنعد إلى المقدمة التي بدأنا بها هذا المقال، فالذئب هنا لم يعد في الغابة، وإنما نحن نراه يحوم حول مقدساتنا، فجامعاتنا اليوم لا تخلو من دراسات تستنطق القرآن الكريم أو تعالج بعض قضاياها اللغوية، باستخدام المناهج الغربية الحديثة، حتى إن الكثير من الأساتذة والطلبة يلجؤون خاصة في الدراسات العليا أو ما بعدها إلى استخدام القرآن الكريم مدونة يطبقون عليها مختلف النظريات والمناهج التي تلقوها خلال سنوات الدراسة، باعتبار أن المدونة الشعرية والنثرية العربية في مجملها مدونة مستهلكة، تطرقت إليها جل الدراسات السابقة، فأصبحنا نجد دراسة أسلوبية في سورة مريم، بنية النص في سورة الكهف مقارنة نصية للاتساق والسياق، وغيرها من الدراسات السيميائية والبنوية، وبتنا نلاحظ العديد من المصطلحات تلتصق بكلمة القرآن، فأصبحنا نسمع الكثير من النقاد يقولون: الظاهرة القرآنية، والخطاب القرآني...

إن المشكلة ليست هنا، وإنما هي تكمن في أن يكون هناك خطاب آخر في ذهنية الناقد الموازية مع القرآن الكريم، كالخطاب الإشهاري مثلا، ثم يأتي باحث ويدرس هذا الأخير دراسة سيميائية، ويأتي آخر ويطبق المنهج السيميائي على ما يسميه الخطاب القرآني، وبالتالي يفقد القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف هالة القدسية التي لطالما أحاطت به، ويصبح في أعين النقاد مجرد مدونة أو نص صالح للمقاربات النقدية.

« إشكالية تطبيق النقد المنهجي على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف »

السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا: إذا كان العقل النقدي العربي إلى الآن عاجزا أمام وضع منهج نقدي يتماشى وطبيعة النص العربي وخصوصيته، وإذا كان تطبيق هذه المناهج في كثير من الأحيان يضر بالنص،



وعلينا أيضاً أن نتعامل مع المنهج في شقه التطبيقي ليس فقط ونحن نجرده من حمولته الفلسفية وخلفياته المعرفية، بل نضع كذلك نصب أعيننا هذه الدعائم التي ارتكز عليها كي لا نخطئ في التعامل مع القرآن الكريم ولا مع الحديث النبوي الشريف؛ لأن النظر إلى المنهج بعين تجريدية هي نظرة قاصرة كما ذكر عباس الجراري في كتابه خطاب المنهج، حيث وصف التعامل مع المنهج أنه مجرد وسيلة للبحث عن المعرفة وفحصها لا تمثل إلا جانباً واحداً من المنهج سماه الجانب المرئي. وقال: إن هناك جانباً آخر غير مرئي باعتبار المنهج أولاً وقبل كل شيء وعياً ينطلق من مفاهيم ومقولات وأحاسيس ذاتية.



عباس الجراري

ويبقى السؤال هو سيد الموقف في نهاية هذا المقال: لماذا لا نسعى لوضع منهج بديل ينطلق من النص العربي، ويراعي خصوصيته وطبيعته مواد وخلفياته وخاصة أن مجتمعاتنا العربية عامرة بقامات كبيرة في الفكر والنقد، وتراثنا الأدبي والنقدي زاخر بمختلف الموارد الفلسفية؟ ■

ذاك، فقد يفتح هذا الباب على مصراعيه أمام طلبة جدد قد يتناول بعضهم على القرآن الكريم ولو بحسن نية، فتجدهم مثلاً يسعون إلى تطبيق المنهج التفكيكي على سورة ما، أو حديث نبوي معين، مع العلم أن هذا لا يصلح؛ لأن بعض النقاد يرون أن هذا المنهج لا يصلح لقراءة الشعر، فكيف بهم وهم يجرون مقاربات وقراءات على سورة من القرآن، أو حديث للرسول عليه الصلاة والسلام؟

«محاولة إيجاد بيئة مناسبة»

هذه الإشكالات والقضايا التي أردت أن أثيرها فيما سبق، لا تعني بالضرورة أن نبقي بعيدين عن محاولة الفهم والتوغل أكثر في معاني كلام الله، ولا في حديث نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يبقى الأمر مقتصرًا على التعبد والتلاوة والتشريع فقط، وإنما تعني أن نتعامل معهما بحذر وحيطة كبيرين، خاصة على الصعيد الإجرائي للمناهج، وذلك بأن نحاول في كل مرة العودة إلى علوم الدين والتشريع والتفسير وحتى الإعجاز.

يا عرب.. القدس متى غده

(أقيام الساعة موعده)

كم زلزل أركان الدنيا

(أسف للبين يردده)

وبكت في الأفق مآذنه

(مما يرعاه ويرصده)

مسرى المختار وقبلتنا

(بالدمع يفيض موَّده)

يا عرب..

القدس

متى غده؟

عبير حسين إبراهيم - مصر



ثمار الفراس



د. أبو فراس النطالي - الأردن

لا تقولوا إني من النور طيف
لا تقولوا إني من النار هيف
لا تقولوا هذا ولا ذاك عني
أنا إنسان من دم وشعور
أنا بالود خادم لوجودي
ومنار على الشواطئ يهدي
ينظم الحب والرعاية مني
ورياحين غضة من وداد
وسموم الحياة توجد مني
غصة تنفث السخام وترمي
أنا لا أركب الذنوب وحيداً
في زهر من الحياة وشوك
أنا مرآة يبصر الناس فيها
فالذي يبذر القتاد يلاقي
والذي يغرس الأزاهير يجني
غير ذا يأنف الضمير ويأبى
مخطئ من يظن أنني ضعيف
«من رأني أهون فليقبر الشم
أنا نور من الإله تحدى

وشح الليل بالحرير المحبّر
لوححت حلة الربيع المنوّر
لست نوراً ولست ناراً تدمّر
أفعل الخير والأذى لست أكثر
طيب النفس ما أسر وأجهر
سفن الخير حين ترسو وتبحر
لجيود المها قلائد جواهر
في قلوب العباد تزهو وتزهر
حرداً بالضمير والعرف يسخر
خيرة الناس بالخنا والمنكر
عالم الشر قد أعد ودبر
ودم من أبي وأمي تحدر
صوراً من حياتهم في تظهر
إبراً في الحياة أنكى وأخطر
من ثمار الفراس أشهى وأكثر
خفقان الفؤاد أن يتصور
في أيادي الطفلة أطوى وأكسر
س فإنني كوجهها لست أقبر
قوة الشر أنه ليس يقهر



مهما قالت شعوب الأرض في اليهود من خلال عقولها المفكرة، فلن تبلغ في تصوير جنائياتهم عليها، ما بلغه كتابهم البشع «بروتوكولات صهيون» من وصف شرهم المستطير الذي يتهدد البشر جميعا.

وهي تتلخص كما يقول الأستاذ العقاد «في تدبير الوسائل للقبض على زمام الصيرفة، وفيها تفسير للمساعي التي انتهت بقبض الصيرافة الصهيونيين على زمام الدولار في القارة الأمريكية ومن ورائها جميع الأقطار. وتفسير إلى جانب ذلك للمساعي الأخرى التي ترمي إلى السيطرة على المعسكر الآخر من الكتلة الشرقية وانتهت بتسليم ذلك المعسكر إلى أيدي أناس من الصهيونيين أو الماديين الذين بنوا بزوجات صهيونيات يعملن في ميادين السياسة والاجتماع.

وتتعدد رسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي وتهده في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحة بين شعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه، وتفويض كل دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم.

جاء هذا في مقال للأستاذ أقوياء جدا، فعلى العالم أن يعتمد العقاد نشره في جريدة الأساس في ٢٣/١١/١٩٥١م وقد صدرت به الترجمة العربية لكتاب «بروتوكولات صهيون».

ومما جاء في البروتوكول الخامس: «لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأممين - اصطلاح يطلقونه على غير اليهود - الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا». وهذه العبارة تكشف عمرهم التاريخي أي بعد ظهور الحضارات القديمة ونضجها. نعود إلى البروتوكول الخامس «نحن

أقوياء جدا، فعلى العالم أن يعتمد علينا، وإن الحكومات لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سرا».

ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة ليكون لرأس المال مجال حر، وهذا ما تسعى لاستكمالها فعلا يد خفية في جميع أنحاء العالم، ومثل هذه الحرية ستمنح التجار قوة سياسية، وهؤلاء التجار سيظلمون الجماهير بانتهاز الفرص «ص ١٣٤-١٣٥».

ويتضح هذا في البروتوكول السادس الذي جاء فيه: ولكي نخرب صناعة الأمميين، ونساعد

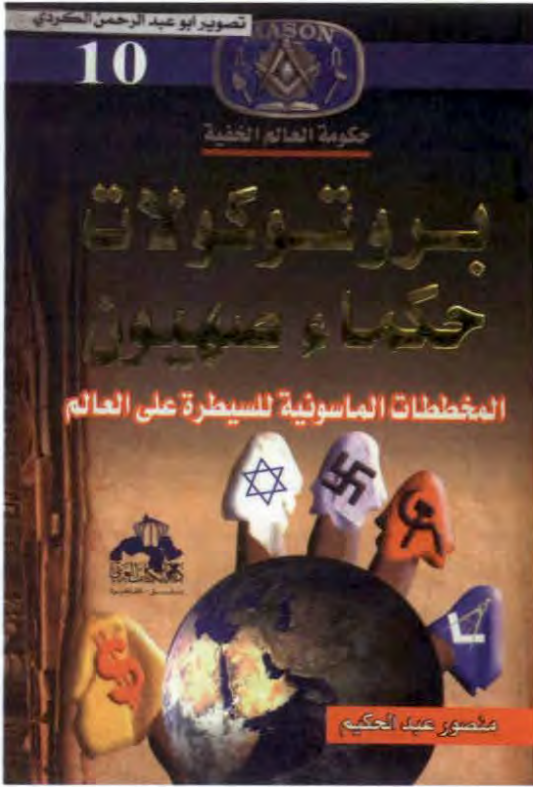
بروتوكولات

صهيون (*)

د. نعمات أحمد فؤاد - مصر



(*) المسلمون، العدد ٢٧٩، تاريخ ١١/٦/١٤١٢هـ، ٨ مايو ١٩٩٢م.



بهذه الوسائل في أقدار كل الأقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد، مع قدرتنا على إعادة النظام.

وثانياً: فالمكائد والدسائس، سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات، ولم نحبكها بسياستنا فحسب، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضاً.

ولكي نصل إلى هذه الغاية يجب علينا أن نتطوي على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات، ولكننا فيما يسمى «اللغة الرسمية» سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك، كي نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسؤولية. وبهذا سنتنظر إلينا دائماً، حكومات الأمميين - التي علمناها أن تقتصر في النظر على جانب الأمور الظاهرة وحده - كأننا متفضلون ومنقذون للإنسانية «ص ١٤٠».

المضاربات، سنشجع حب الترف المطلق الذي نشرناه من قبل.. وسنزيد الأجور التي لن تساعد العمال، كما أننا في الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات عذراً عن ذلك، كما سننسف بمهارة أيضاً أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال، وتشجيعهم على إدمان المسكرات.

وفي الوقت نفسه سنعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء أممي «غير يهودي» من الأرض، ولكي لا يتحقق الأمميون من الوضع الحق للأمر قبل الأوان سنستره برغبتنا في مساعدة الطبقات العاملة على حل المشكلات الاقتصادية الكبرى، وإن الدعاية لنظريتنا الاقتصادية تعاون على ذلك بكل وسيلة ممكنة «ص ١٣٩».

والسر الثاني: وهنا أعود مرة أخرى إلى البروتوكول الخامس: أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً «ص ١٣٦».

وفي ميدان السياسة يقول البروتوكول الثامن: سوف نعهد بالمناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم كي تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم. وكذلك سوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين إذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن.. والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذي تنفث صدورهم به «ص ١٤٣».

وقبله في البروتوكول السابع يقول حكماء صهيون: في كل أوروبا وبمساعدة أوروبا!! يجب أن ننشر في سائر الأقطار، الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة، فإن في هذا فائدة مزدوجة: فأولاً سنتحكم



بروتوكولات حكماء صهيون



هذا الطريق للعمل والا عجزنا ونحن جنس مشئت عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة، بل بالمراوغة فحسب.

هذا هو السبب الصحيح.. والأصل في تنظيمنا للماسونية التي لا يفهمها أولئك «الخنازير» «Swine» من الأمميّين، ولذلك لا يرتابون في مقاصدها التي أوقعناهم في كتلة محافلنا التي لا تبدو شيئاً من الماسونية كي نذر الرماد في عيون رفقاءهم «ص ١٥٩».

يطول بي الاقتباس اذا تعقبت هذا الفحيج في بروتوكولات صهيون.. ولكن ما أوردته من أمثلة كفيفة بأن: تفتح عيوننا كي نتدبر أمرنا.. ونعيد حساباتنا ونتدارك تخاذلنا.. وتفككنا وصراعاتنا لعلنا نللم صفوقنا، ونرأب صدعنا، ونوحد كلمتنا، ونجمع أمرنا في وجه عدو إن تمكن لا يبقى ولا يذر. عدو نفات للشر والشرر ■

وبإيجاز من أجل أن نظهر استعدادنا لجميع الحكومات الأممية في أوروبا سوف نبين قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف، وذلك هو ما يقال له: حكم الإرهاب. وإذا اتفقوا جميعاً ضدنا فعدنذسنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية «ص ١٤١». أي يشعلون الحروب العالمية!

وجاء في البروتوكول العاشر: إذا أوحينا إلى عقل كل فرد أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميّين، ونفسد أهميتها التربوية، وسنعوق الرجال ذوي العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة.. وإن العامة - تحت إرشادنا - ستبقى تؤخر أمثال هؤلاء الرجال، ولن نسمح لهم أبداً بأن يقرروا لهم خططا «ص ١٥٠».

وفيه أيضاً: لقد اعتاد الرعاع أن يصغوا إلينا نحن الذين نعطيههم المال لقاء سمعتهم وطاعتهم.. وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبداً أن تتخذ أي قرار دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها «ص ١٥١».

وجاء في البروتوكول الحادي عشر: أن الأمميّين - أي غير اليهود - كقطيع من الغنم، وأننا ذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة؟ إنها تغمض عيونها عن كل شيء.. وإلى هذا المصير سيدفعون. فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم، واضطرار كل الطوائف إلى الخضوع.. ولست في حاجة ملحة إلى أن أخبركم إلى متى سيطول بهم الانتظار حتى ترجع إليهم حرياتهم الضائعة.

يا إلهي أي شيطان يتقمصهم؟! أو أي سبب كما يقولون: «أغرانا بابتداع سياستنا وبتلقين الأمميّين إياها؟ لقد أوحينا إلى الأمميّين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفي، وماذا حفرنا على

عزف على وتر اليأس



سالم بن رزيق بن عوض - السعودية

وطفَى على الأمل القريب سَوَادِي
خَلَفَ المَجْرَةَ هَمَّتِي وَمَرَادِي
بَحْرٌ مِنَ الأَلَمِ الأَلِيمِ يُنَادِي
وَأَقْتَصَ مِنْ عَظَمِ الرَمِيمِ وَزَادِي
وَتَبَلَّغْتَ رَغَمَ الخَصِيبِ وَهَادِي
وَتَفَرَّغْتَ فِي خَافَتِي شِدَادِي
تَطْفَى وتَلْوِي عُدَّتِي وَعَتَادِي
سَوْدًا وَدَرَبًا مِنْ سَوَادِ قِتَادِي
وَالِي صَوْبِ نَارٍ شَرِّ زِنَادِي

وَفُتِّشَ الأَجْوَاءَ عَنْ أَصْفَادِي
وَتَرَاهُ يُبْحِرُ فِي بَيْتِي وَدَادِي
غَيْرِي يَصُبُّ الهَمُّ فِي إِنْكَادِي
يَلْهُو يَزْفُ إِلَى الضِّيَاعِ جِهَادِي
وَيَسَاعِدُ الإِظْلَامَ فِي إِبْعَادِي
نَحْوِي يَبِيعُ مِنَ السَّرَابِ سَهَادِي
وَيُشْجَعُ الأَهْوَاءُ فِي إِفْسَادِي
مَنْي! يُمِيتُ مِنَ الهَنَاءِ عِنَادِي

فَوْقَ الحَقِيقَةِ تَحْتَ كُلِّ جَمَادٍ
يَلْقَى ضِيَاعَ العَمْرِ فَوْقَ وَسَادِي
فِي وَتَنَفُّخٍ فِيهِ رُوحُ فَسَادٍ
يُرْوِي مِنَ السَّمِ الزَّعَافِ مَدَادِي
شَهْمٌ عَلَيَّ يَجُودُ فِي إِبْرَادِي
يَطْوِي عَلَى فَقْرِ الزَّمَانِ سَدَادِي
مَازَالَ فِي الأَكْوَابِ فَضْلَ مَرَادِي
أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي رَمَادِ رَمَادِي
أَشْقَى البَرِيَّةَ يَقْطُتِي وَرُقَادِي
فِي غُرْبَتِي أَحْدُو لَغِيرِ مُرَادِي
لَتَرَكْتُ لِلْيَاسِ العَظِيمِ قِيَادِي

الْيَاسُ فَتَتَ مَهْجَتِي وَفُؤَادِي
لَمْ يَلْقَ فِي دَرْبِي سِوَايَ وَلَمْ تَزَلْ
أَرْنُو إِلَى الأفقِ البَعِيدِ وَفِي دَمِي
أَكَلُ القُنُوطِ حَشَاشَتِي وَعَبَاءَتِي
غَارَتْ عَلَى مَرَأَى العَيُونِ جَدَاوِلِي
وَدَهَتْ دَوَاهِي العَصْرِ كُلِّ لَذَائِدِي
وَاهْتَاجَتِ الأَغْلَالُ فِي دَرْبِ المُنَى
وَرَأَيْتُ فِي وَجْهِ القُنُوطِ سَعَادَةً
شَرَعَ الزَّمَانُ عَلَيَّ حَرْبَ إِبَادَةٍ

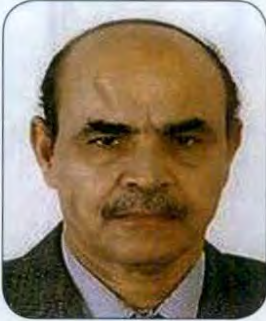
أَنْتِ اخْتَنَيْتِ أَقَامَ يَبْحَثُ فِي المَدَى
وَيَرَى الْوَرَى حَوْلِي فَلَا يَغْوِي الْوَرَى
يَسْعَى، يَحْثُ الخُطُوبَ، يَمْشِي، لَا يَرَى
وَتَرَاهُ يَزَارُ فِي الضُّلُوعِ وَيَنْتَشِي
وَيَسْرِبِلُ الأَيَّامَ يَمَحِقُ نُورَهَا
وَيَدْمِدِمُ الجَوَّ المُلْفَعَ بِالعَنَا
يَأْوِي إِلَى رُوحِي، يَهْدُ صَلَابَتِي
وَيَكَادُ يَنْحَرُ مَا تَبَقَى فِي المَدَى

أَنْتِ اتَّجَهْتَ أَرَاهُ فِي شَتَى الدُّنَا
يَلْوِي تَبَارِيجِي وَيَحْفَرُ لِحْدَهُ
وَيَرْجُلُ الحُزْنَ الدُّؤُوبَ عَلَى المَدَى
حُرًّا! عَلَى قَلْبِي المَقِيدِ بِالْوَنَى
وَيَعْطِلُ الإِحْسَاسَ فِي غَسَقِ الدَّجَى
وَيَفْجَرُ الهَمَّ القَرِيبَ وَيَنْتَشِي
مَازَالَ فِي جِسْمِي جُؤَارُ صُرَاخِهِ
لَمْ تَبَقْ فِي رُوحِي الحَيَاةَ تَقُودُهَا
مُتَمَاوِتٌ فِي هَمَّتِي وَسَلَامَتِي
وَأَذُوبُ فِي دَرَجِ الضِّيَاعِ مُسَافِرًا
لَوْلا بَقِيَّةُ فَضْلِ صَبْرٍ صَادِقٍ



فلسطين

في الشعر الجزائري الحديث



محمد سيف الإسلام بوفلاقة - الجزائر

تعد القضية الفلسطينية واحدة من أبرز القضايا التي اهتم بها شعراء الجزائر، فقد رافق الشعر العربي الجزائري قضية فلسطين منذ ظهورها على المسرح العالمي في العشرينيات من القرن الماضي، وكان الشعراء يستغلون كل مناسبة لتأييدها، وقد تابعوها في جميع مراحلها وأطوارها المختلفة منذ إعلان «وعد بلفور» سنة ١٩١٧م، مروراً بانتفاضات الشعب الفلسطيني في الثلاثينيات، ثم رفضه قرار التقسيم.

الاحتلال الفرنسي، فكلاهما عرف الاستعمار الاستيطاني، وذاق الإرهاب بشتى صوره وأشكاله، وتعرض لمحاولات القضاء على مقوماته الأصلية من لغة ودين وتاريخ وحضارة، بل عرف أخطر من هذا، محاولة إلقاء كيانه ومحوه من الوجود، وهذا هو ما يفسر اهتمام الشعراء الجزائريين بنكبة فلسطين، وكان إحساسهم حادا عنيقا ضد الاستعمار والصهيونية والتسلط والغزو الأجنبي.^(١)

ويجيء هذا الكتاب: «فلسطين في الشعر الجزائري الحديث»^(٢) للباحثة فاطمة الزهراء بن يحيى، ليؤكد على أن الشعر الجزائري ركز بشكل كبير على القضية الفلسطينية منذ العشرينيات من القرن المنصرم، ومازال يتفاعل مع تطوراتها إلى أيامنا هذه.

يتضمن الكتاب ثلاثة فصول مع مقدمة، وتمهيد، وخاتمة.

في مقدمة الكتاب شرحت المؤلفة أهمية موضوعها وإشكاليته، فأشارت في البدء إلى أن قضية فلسطين تعد أهم قضية على الساحة العربية، ولا تجاريها أية قضية

وقد وقف شعراء الجزائر إلى جانب فلسطين والعرب أثناء حرب: ١٩٤٨م، ونكسة: ١٩٦٧م، ثم تجاوبوا مع انتصارات الثوار الفلسطينيين، وأبطال المقاومة، وأطفال الحجارة بعد ذلك حتى اليوم. فمن يطلع على النتاج الأدبي الجزائري يلاحظ أن الشعراء الجزائريين لم يكونوا معزولين عن قضايا أمتهم العربية، على الرغم من الجدار الحديدي الذي ضربه حولهم الاستعمار الفرنسي منذ الاحتلال سنة ١٨٣٠م، وحتى الاستقلال سنة ١٩٦٢م، لأن صلة الشاعر الجزائري بالشرق العربي وقضاياه ومشاغله صلة وطيدة وعريقة، وتأتي قضية فلسطين في الصدارة، بحيث لا نغالي إذا قلنا: إن النتاج الأدبي الجزائري، شعرا ونثرا، في القرن الماضي دار في معظمه حول ثلاثة محاور: الوطنية والعروبة، والوحدة العربية، وفلسطين،

ولسنا في حاجة إلى أن نعدّد الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر منذ فجر التاريخ العربي حتى الآن، كما أنه لا حاجة بنا إلى أن نقارن بين واقع فلسطين بعد أن تأمر عليها الاستعمار والصهيونية العالمية، وبين الجزائر تحت

العبد آل خليفة بغدر الانجليز وتآمرهم مع الصهاينة في أسلوب كله سخريه واستهزاء.

وتنبه المؤلفة حينما رصدت الشعر الجزائري الذي كتب عن فلسطين من (١٩٣٠-١٩٤٨م) إلى أن الكثير من الشعراء الجزائريين لمسوا خيوط المؤامرة على فلسطين، ففي سنة ١٩٣٠م كتب أحد الشعراء الناشئين -لم يذكر اسمه- قصيدة تزخر بالمشاعر النابضة والإحياءات النافذة.

وقد سعى في تلك الفترة عدد كبير من الشعراء إلى توعية الجماهير بالمخاطر المحدقة بفلسطين، وبعد الأحداث التي وقعت سنة ١٩٢٩م، نتيجة لازدياد النفوذ الصهيوني في القدس كتب الشاعر عبر الرحمن العقون قصيدة اشتهرت فيما بعد أيما اشتهار وسمها «آه على أمة القدس التي بسطت للجار إحسانها»، يقول في مطلعها:

أمن الكوارث أزمت نعانينا

أم من تذكر من تهوى معاليها

أرقت حزناً ومنك البال مضطرب

والقلب خاض بحاراً لا يجاريها

كما قام الشاعر بتوضيح مساعي الصهاينة التي ظهرت في المؤتمر اليهودي سنة ١٩٢٩م، والتي تعهد فيها عدد كبير من الصهاينة بالتبرع بأموال ضخمة لإقامة وطن يهودي على أرض فلسطين، ومن بين ما قاله في هذا الشأن:

قامت لصهيون ثلة طفت بشرى

تبتاع من أمة الهدى أراضيها

تنوي إقامة دولة ومملكة

وما درت أن ذا مضى بماضيها

أخرى في الوطن العربي، فقد ظلت هذه القضية منذ بدايتها المحك الرئيس لمدى التزام أبناء الأمة العربية بقضايا أمتهم، كما أنها ما تزال الملهم الأساس لكتابها وشعرائها الذين هبوا للدفاع عنها، ولإظهار الأخطار الصهيونية المحدقة بها، وبالأمة العربية جمعاء. وفي توضيحها لإشكالية البحث تقول الباحثة فاطمة

الزهراء بن يحيى: «لقد دفعنا هذه الأهمية إلى جانب ما تمر به الأمة العربية في مرحلتها الحالية من تمزق وتشتت وصراعات، وما يمر به الشعب الفلسطيني من تشريد وتهجير وقتيل، وتقطيع أوصال أرضه وتهويدها، يهدف بالدرجة الأولى إلى تصفية مقاومته المسلحة وإخراجها من معقلها الأمامية، ونزع البندقية من يدها أمام صمت عربي فاضح، وتهريج صاحب باسم السلام ومشاريعه، إلى طرح إشكالية البحث المتمثلة في: إذا كان

الشعراء العرب الذين عاصروا القضية الفلسطينية- منذ وعد بلفور إلى الآن- قد تصدوا بدرجات مختلفة إلى كل المؤامرات الداخلية والخارجية التي كانت سبباً لكثير من النكبات، فإن شعراء الجزائر وعلى الرغم من الحصار الذي ضرب عليهم قبل الاستقلال، وعدم الاهتمام بإبراز دورهم في معالجة القضية، قد لعبوا دوراً فعالاً ورائداً على الساحة العربية وهو ما يحث على التطرق إليه لإبرازه»^(٢)

خصصت المؤلفة الفصل الأول من الكتاب لرصد «القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري الحديث قبل الاستقلال»، فتوقفت في البدء مع وعد بلفور ونتائجه، وأشارت إلى ما كتبه الشاعر عبد الرحمن بن العقون عن هذا الوعد، كما أشارت إلى تعريض الشاعر محمد





فلسطين وربطها بواقع الجزائر، وأكد على ضرورة الوحدة بين مختلف الأقطار العربية في وجه أعداء الأمة.

ومن أهم ما أكدت عليه المؤلفة في ختام هذا الفصل أن الشعر الجزائري الذي كتب عن فلسطين في تلك الفترة أصبح شعاراً للوحدة العربية، وقد تجاوب بشكل كبير مع الأحداث التي وقعت في فلسطين على الرغم من الحواجز التي وضعها الاستعمار الفرنسي لعزل الشعب الجزائري عن قضايا أمته العربية.

في الفصل الثاني من الكتاب تناولت المؤلفة «القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري الحديث بعد الاستقلال»، أي استقلال الجزائر عن الاستعمار الفرنسي سنة ١٩٦٢م، وقد افتتحت هذا الفصل بالإشارة إلى أن شعراء الجزائر أدركوا بعد استقلال الجزائر أن المشوار لم ينته، حيث ظلوا يؤكدون على أن اكتمال استقلالهم مرتبط بتحرير الأراضي الفلسطينية، فمهمتهم على درب النضال لم تنته، فالشاعر والمناضل الكبير أبو القاسم خمار، مثلاً، كتب سنة ١٩٦٢م قصيدة بعنوان «هتاف الجزائر»، عبر فيها عن فرحته باستقلال وطنه الجزائر بعد التضحيات الكبيرة التي قدمها أبناء الشعب الجزائري، غير أن فرحته الكبيرة بانتصار وطنه، لم تنسه الآلام التي يعانيها الشعب الفلسطيني، ولا سيما الذين هجروا منه إلى خارج ديارهم، حيث يقول:

أيها النازحون في الليل صبرا

إن آلامكم ستبدع فجراً

ما فلسطين للعروبة إلا

أمل يلهب الجوانح جمرًا

أي نصر كسبته في بلاد

ليس نصرًا ما دمت أحمل ثأراً



محمد العيد آل خليفة

ومن بين الشعراء الذين تفاعلوا مع التطورات التي وقعت في فلسطين في تلك المرحلة بشكل كبير محمد العيد آل خليفة الذي عبر عن رفضه للتقسيم، إضافة إلى الشاعر أحمد سحنون الذي كتب الكثير عن مأساة فلسطين وجراحها.

وفي تعليقه على الخصائص الفنية التي طبعت الشعر الجزائري الذي كتب عن فلسطين في تلك الفترة تذكر المؤلفة أن شعرهم اتسم بالحماسة والرفض في تناولهم للصراع وما نتج عنه من تطورات خطيرة، كما تميزت بعض الأشعار بالضعف من ناحية الشكل والجودة والمضمون.

وترى المؤلفة أن التطورات التي وقعت سنة ١٩٤٨م بعد النكبة أعطت الشعراء الجزائريين نفساً جديداً للخروج من الدائرة التي كانوا يدورون فيها، وجعلتهم أكثر التزاماً وأكثر واقعية في توعدهم بالأخذ بالثأر والانتقام لفلسطين التي اعتبروها قضية كل العرب الأولى.

ومن أبرز الشعراء الذين كتبوا عن فلسطين في تلك الفترة الشاعر عبد الكريم العقون الذي كتب الكثير قبل النكبة وبعدها، وكان ينادي قبل وقوعها إلى ضرورة توحيد الصف، وتحقيق الوحدة العربية، ونصرة الشعب الفلسطيني.

وتأثر الشاعر عبد الوهاب بن منصور بما وقع لفلسطين، وكتب مجموعة من القصائد التي يطبعها الحزن والألم الشديد على ما وقع لفلسطين الحبيبة، من بينها قصيدة بعنوان «قم في الحشود» كتبها سنة ١٩٤٩م، مطلعها:

قم في المحافل منشدًا

شعراً يذيب الجليداً

وقد عاصر الشاعر محمد جريدي مأساة فلسطين، وكتب أشعاراً كثيرة شرح فيها أسباب الهزيمة وفق رؤيته الخاصة للتطورات التي وقعت مع بداية العشرينيات.

وكتب الشاعر صالح خرف في الكثير من القصائد عن

فانهمر يا دم الكفاح بأرجا

في ولون شبراً فشبراً

ومن بين الشعراء الذين أكدوا في الكثير من قصائدهم على عودة الشعب الفلسطيني إلى أراضيه التي هجروا منها الشاعر محمد الأخضر السائحي، ولعل أشهر قصائده التي أنشدها الكثير من أبناء الشعب الجزائري قصيدة «حلفنا سنعود» التي كتبها سنة ١٩٦٢م.

كما كتب الشاعر الدكتور صالح خريفي جملة من القصائد التي أظهر فيها حزناً شديداً على ضياع فلسطين، وعلى زرع نبتة خبيثة في قلب الأرض العربية، وظل يؤكد في جميع قصائده على الوحدة العربية لتحقيق آمال الأمة. ومن بين الشاعرات اللاتي كتبن الكثير عن فلسطين الشاعرة مبروكة بوشامة.

ولعل الطابع العام الذي تميز به الشعر الجزائري بعد الاستقلال في معالجته لقضية فلسطين هو رفض الاستسلام والخنوع، والدعوة إلى الاتحاد والتضامن

لمواجهة العدو الأول للأمة العربية المتمثل في الكيان الصهيوني، ومن بين الشعراء الذين رفضوا الهزيمة بشدة الشاعر أحمد هويس، ومفدي زكرياء، وخمارو محمد ناصر، وأزراج عمر، وعبد العالي رزافي.

كرست الباحثة فاطمة الزهراء بن يحيى الفصل الأخير من الكتاب لتسليط الضوء على الخصائص الفنية التي ميزت الشعر الجزائري الذي اهتم بالقضية الفلسطينية، وقد بدا لها أن الشعر الجزائري قد عالج القضية الفلسطينية انطلاقاً من نظرة دينية وقومية وإنسانية، ولم يقتصر على الشعر العمودي فحسب، بل انفتح على الشعر الحر أيضاً، وقد كان في مجمله ذا دلالات ثورية وروحية خالصة.

وقد حفل الشعر الجزائري بمضامين عميقة، وواكب تطورات القضية الفلسطينية بدقة، وهاجم بعض الحكام المتخاذلين، وصب غضبه على الجرائم الصهيونية المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني المقاوم والصامد في وجه المظالم، كما أنه لم ينطلق من نظرة عنصرية وعصبية، بل كان هادفاً وواقعياً في طرحه للقضية الفلسطينية وطرائق حلها من خلال انطلاقه من أسس واقعية يملئها على الشعراء التاريخ والحقائق التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في تحرير كامل أراضيه المغتصبة.

وقد ذهبت المؤلفة في رصدتها للأبعاد الإنسانية التي ميزت الشعر الجزائري الذي كتب عن القضية الفلسطينية إلى أنه مثل ظاهرة إنسانية واحدة، وهي المناداة بالحرية والتحرر، كما مزج بين القضية الفلسطينية والقضايا التحررية في العالم، وتميز برؤيته المقاومة والواقعية الدقيقة.

ومن أبرز الظواهر الفنية التي لاحظتها المؤلفة في الشعر الجزائري الذي تناول القضية الفلسطينية التعبير عن المعاني بأسلوب صريح ومباشر، واستعمال أساليب السخرية في تصوير بعض الظواهر، والاقتباس من القرآن الكريم، والتراث الشعري العربي القديم ■



مفدي زكريا

الهوامش:

- (١) للتوسع ينظر: د. عبد الله ركيبي : فلسطين في النثر الجزائري الحديث، مجلة الثقافة الجزائرية، العدد : ٢٧، جوان - جويلية، ١٩٧٥ م، ص: ٣٧.
- (٢) كتاب: فلسطين في الشعر الجزائري الحديث، للمؤلفة فاطمة الزهراء بن يحيى، منشورات طاكسيغ، الجزائر، ٢٠١٢م، عدد الصفحات: ٢١٦.
- (٣) فلسطين في الشعر الجزائري الحديث، ص: ٢.



بطل من سراب

عائشة سجاد - المغرب

أصدر قهقهة عالية رددتها من فوقه السماء الحالكة، وعلى جانبيه البنايات الشامخة والدكاكين التي كانت ترقد في نوم عميق، فهمس في أذن الرياح:

«إني مجنون.. لكني لا أريد أن أستعيد رشدي.. أتعلمين.. لا لا.. لا شيء، فقط دعيني أراقصك وهذه الأكياس والقمامة التي تحومين بها.. أريد أن أكون مجنونا حقيقة، لا أحمل هم صغيرة ولا كبيرة.. ولا أركض وراء حلم ولا حق.. ما أروع الجنون!.. أنا مجنون منذ زمن بعيد، ولي في الجنون إجازات وشهادات ودبلومات.. نعم كنت مغفلا مذ وثقت في هذا العالم.. ثم إني،...».

لطمت ورقة وجهه، فضحك ساخرا من نفسه، فنظر إلى السماء بعدما أمسك الورقة في يده وهو يقول: «عجيب أمر هذا العالم، يحقرني البشر.. بل حتى القمامة صارت تلطمني.. على الرحب أيتها الهموم، هزيني.. مزقيني.. شرديني إن شئت، أو اقتليني فقد ألفتك...».

وقف فأسند ظهره إلى عمود الكهرباء يلمح السماء الفاضبة في صمت رهيب.. ألقى بجسده المنهك أرضا فأخذ الورقة يقرأها.. جحظت عيناه فجأة! فقفز من مكانه فرحا يقبل الورقة ويصيح: «مرحبا باللطم إذا كان سيجيء بمثل هذا...».

قرأها من جديد: «مطلوب وجوه جديدة في تمثيل مسرحية، ويشترط في المترشح للدور: إتقان اللغة العربية الفصحى + شهادة في التكوين المسرحي - على الأقل - وذلك قبل العشرين من أكتوبر.»

أنهكه التعب كثيرا، وخدر البرد القارس أطرافه وهو يبحث عن حلم العمر، تتقاذفه الأزقة، فالأحياء.. كلت قدماه، واستجدت معدته من شدة الجوع، أدخل يده في جيب معطفه فأخرج بعض الدراهم فعدّها ثم أعادها، اتجه إلى المقهى المقابل له وهو ينفخ في قبضتيه بالتناوب، وجد المقهى شبه فارغ فتفقد ساعته، إنها الثانية ليلا.. احتمى بزاوية من زوايا المقهى فأثاء النادل الذي بدا له شبه مستيقظ، فسأله بصوت أغرقه الكسل والخمول حد الثمالة: ماذا تريد سيدي؟

لا بد أن الشاب قد أعجبته كلمة سيدي ورفعت من شأنه ولو قليلا، فأجاب: الحساء سيدي النادل لو سمحت. لكن هذا الإحساس لم يطل، فقد انتظر دقائق كثيرة حتى كاد النوم يسرق وعيه، بعدها ناوله النادل البطيء ما طلبه، فشربها بسرعة فائقة قبل أن يصل النادل حيث يقصد..

يا ثقیل الدم يا هذا.. كم الأجرة؟ أجابه بصوت أكثر ثمالة من الأول: ث..ثلا.. ثلاثة دراهم.

ناوله إياها، فخرج بخطى ثقيلة ربما أثقل من خطى النادل، كانت الرياح جد قوية تتلاعب بالأكياس والأوراق والملصقات التي تفرش الشارع، والسماء ملبدة بالغيوم تبعث على النوم العميق في حضن سرير دافئ. قال في نفسه: «تبا.. كما العادة أدور وأحوم وأطوف لكن بلا جدوى».

- يا سعيد.. إنها فرصة العمر لكل هؤلاء العاطلين.. لقد حضر كل من سمع بأمر هذه الفرصة من قريب وبعيد، وتوافرت فيه الشروط.. أخوك له دكتوراه في التاريخ، وأتقن ست لغات، ولي شهادات كثيرة في هذا المجال، لكن حظي ضرب شهاداتي وخبرتي في الصفر.. أخذ الحاضرون يدخلون قاعة الاختبار واحدا واحدا.. فحان دور سعيد.. كان أداؤه رائعا، صفق المختبرون معجبين بما أداها، فقال أحدهم: «إني أضمن لك دور البطولة يا سعيد.. إنك ستبهر الجمهور حقا..!»



فتح عينيه مذعورا.. فرك مقلتيه.. فركها.. ثم فركها.. إنها الساعة الثانية عشرة إلا ربعا، لم يستطع تصديق ما حصل..! فخرج مهرولا والأوراق تحت إبطه دون أن يغير ملابسه التي جاب بها شوارع المدينة واحدا واحدا.. حينما وصل وجد المقر فارغا، لم يكن فيه إلا رجل واحد، ذو بذلة رمادية اللون، يحمل حقيبة بنية في يده.. ركض سعيد نحوه، أنفاسه كادت تسلك آذانه، يلهث في توسل وتضرع:

- س... س... سي.. أرجوك سيدي لقد تأخرت رغما عني.. و..

رماه الرجل بنظرات مهملة ينمقها الكبر واللامبالاة، وقال:

- لقد توقفنا عن استقبال الملفات، كان عدد الأشخاص كبيرا جدا، وكأن أهل المدينة كلهم جاؤوا.. أخذنا ما يكفي وأغلقتنا الموضوع..!

- لكن..

- قلت: انتهى.. وكفى!

لم يرد سعيد ببنت شفة بعد ذلك، فاضت عيناه.. وعاد أدراجه منكسرا، وهو يندب حظه العاثر في قرارة نفسه، ويمزق شهاداته واحدة بعد أخرى.. كما تمزقت أحلامه! ■

هال وكبير، فأخذ يركض إلى بيته: إنه أنا بالطبع، ومن غيري سيتقن ذلك؟!.. مرحى سأصبح ممثلا! مرحى لحلم العمر مرحى!..

دخل بيته مسرورا وقد تلاشى همه تماما، وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحا، نظر إلى نفسه في المرآة فرأى في عينيه احمرارا شديدا من شدة التعب، فقال: «لابد أن أنام قليلا، فهذا مظهر مرعب لا يليق ب ممثل.. ولكن مهلا سأعد المستلزمات والملابس التي سأرتديها، فالיום آخر أجل..».

عندما أعد كل ما يلزمه كانت الساعة تشير إلى الرابعة صباحا، انكمش فوق سريره، فنام على أمل أن يستيقظ الساعة السابعة صباحا أو قبل، بعدما ضبط المنبه.. كان جد منهك ومتعب، فهو لم ينم منذ يومين من فرط الأرق.

مرت ثلاث الساعات بسرعة البرق، فرن المنبه.. ليلقي بيده الثقيلة عليه فيسكته دون وعي.



ارتدى ملابسه، أخذ أوراقه خفيفا نشيطا، بدا لنفسه أوسم من ذي قبل، انطلق بخفة تحفه السعادة من كل جانب. وصل للمقرر.. كل المترشحين ينظرون إليه.. الأنظار من كل ركن تتجه إليه، فعلت همته، وزاد إعجابه بنفسه أكثر من ذي قبل، تفقد أوراقه من جديد.. «نعم كل شيء مضبوط تماما.. أنا البطل..!» جلس بالقرب من شاب ممتلئ، عريض الكتفين، طويل القامة، عبوس الملامح، دنا منه فسأله:

- ما كل هذه الوجوه؟ ولماذا المكان محتقن هكذا؟ لا تقل: إن كل هؤلاء سيجربون حظهم: فقد لا أصدقك!.. رmqه الشاب بنظرة كالسهم، وأطلق قهقهة هزت المكان، وحولت إليه كل العيون، وقال:

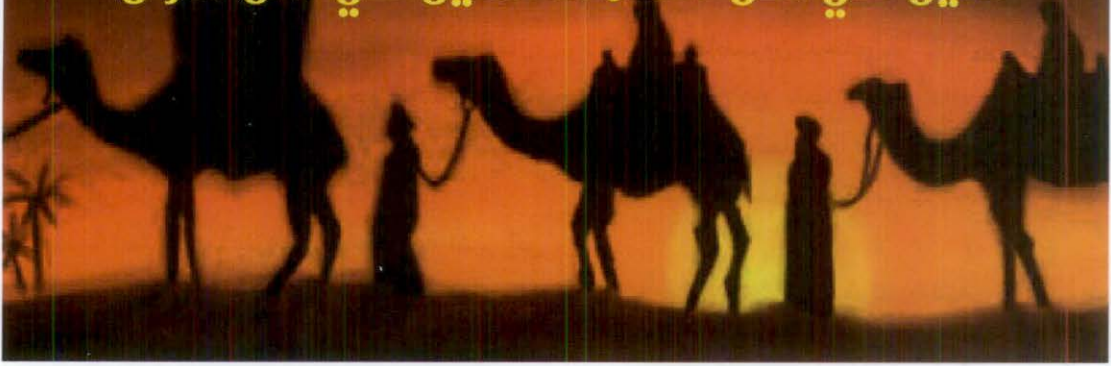
- وماذا تخال يا...!

- سعيد.. نعم سعيد.



عبد الرحمن بن عوف

أمين في أهل السماء، أمين في أهل الأرض



سعد: لم نشهد عواصف في هذا الوقت من العام.

صفوان: وهذا الديب الذي يهز أركان المدينة؟

سعد: أهو الزلزال؟

صفوان: الزلزال؟

الثلاثة: اللهم فرج كرباتنا وآمن روعاتنا.

صفوان: اللهم إنا لا نسألك ردّ القضاء ولكن نسألك اللطف فيه.

(رجل رابع: بكر، يقبل مهرولاً)

بكر: اطمئنوا أيها الإخوة، هذه قافلة آتية من الشام

(ينصرف مهرولاً)

الثلاثة: قافلة تحدث هذه الرجة؟

(رجل خامس: مالك، يقبل مهرولاً)

مالك: هذه قافلة عبد الرحمن بن عوف آتية من الشام.

(ينصرف مهرولاً - رجل سادس:

عمير، يقبل مهرولاً)

عمير: قافلة عبد الرحمن بن عوف.. بها

سبع مئة راحلة.

صوت ١: سبع مئة راحلة.

صوت: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «عبد الرحمن بن عوف

يدخل الجنة حبواً».

(المدينة المنورة. في رابعة النهار والشمس

ساطعة. المدينة ساكنة هادئة. غبار أصفر يبدأ

يتصاعد من رمال الصحراء الناعمة - الغبار في

مسالك المدينة كأنه عاصفة رملية. ما إن بدأ الناس

يتنبهون لهذا الغبار الذي بدأ يحجب الشمس،

حتى لامس أسماعهم ديب هز أركان المدينة.

بعض الرجال يخرجون من المسجد. ينصرفون.

أحدهم: صفوان أكبرهم سنًا، يتوقف وينظر إلى

الآفق رافعاً إحدى يديه فوق رأسه

ليحسن الرؤية. يحاول أن يستطلع

الجو. ينضم إليه رجل ثان: سعد، ثم

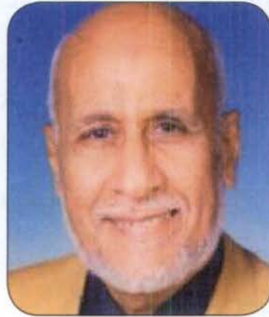
(ثالث: عمرو).

صفوان: ما هذا يا سعد؟

سعد: الله أعلم يا شيخ صفوان.

عمرو: هذا غبار أصفر من الصحراء.

صفوان: لعلها عاصفة رملية.



د. حمادة إبراهيم - مصر

صوت ٢: سبع مئة راحلة تحمل تجارة من الشام!

عمرو: وصلت قافلة عبد الرحمن بن عوف؟

سعد: نعم. وصلت، هيا لنكون في استقبالها.

(رجل آخر: عبد الله يمر)

عبد الله: ما هذا الذي يحدث في المدينة؟

عمرو: هذه قافلة عبد الرحمن بن عوف تحمل تجارة من

الشام.

عبد الله: قافلة تحدث هذه الرجة؟

سعد: نعم! إنها سبع مئة راحلة.

عمرو: هيا نستقبلها، هيا.

الجميع: هيا. هيا!

(صفوان لا يستطيع لكبر سنه أن يلحق بهم -

يتوكأ على عصاه ويتبعهم في بطة، يتوقف قليلاً قبل أن

يستأنف سيره ليقول بصوت واضح النبرات بعد أن يتأمل

الأفق كأنما يبحث عن ذكرى أو مقالة سمعها:)

صفوان: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت

رسول الله ﷺ يقول:

«رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً».

إسلام

سعد: (داخلاً البيت وخلفه عبد الرحمن بن عوف)

تفضل يا أخي في الإسلام تفضل يا عبد الرحمن

بن عوف.

ابن عوف: (يدخل متردداً)

سعد: (مشيراً ومرحباً) تفضل يا عبد الرحمن. هذا بيتك.

ابن عوف: السلام عليكم ورحمة الله.

سعد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تفضل يا أخي

اجلس.

ابن عوف: (وهو يجلس) بارك الله لك في دارك يا أخي.

سعد: هي دارك أيضاً يا أخي.

ابن عوف: هذه أخوة الإسلام - الأخوة في الله.

سعد: الحمد لله على نعمة الإسلام.

ابن عوف: الحمد لله على نعمة الإيمان.

سعد: اسمع يا عبد الرحمن. لا حرج في الدين. وهذه وصية

رسول الله ﷺ.

ابن عوف: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول.

سعد: اسمع يا عبد الرحمن: تعرف أنني أكثر أهل المدينة

مالاً. فلك نصف مالي.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك يا أخي.

سعد: ولي امرأتان فانظر من تعجبك حتى أطلقها

فتتزوجها.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك وأهلك يا أخي.

سعد: هذه هي المؤاخاة التي يؤاخي بها رسول الله بين

المسلمين، بين مهاجر من مكة وأنصاري من

المدينة.

ابن عوف: بارك الله لك في مالك وأهلك يا أخي. ولكنني

أريد منك شيئاً آخر.

سعد: مرني يا أخي.

ابن عوف: أنت من أهل المدينة وأعرف بها مني. فدلني

على السوق.

سعد: عبد الرحمن أنت أخي وضيبي وكل ما تريده من

السوق أنا حقيق بأن أوفره لك بعد أن نتناول

الطعام إن شاء الله.

ابن عوف: أنا لا أريد السوق لشراء شيء معين يا أخي.

سعد: إذن ما حاجتك للسوق؟

ابن عوف: أريد أن أشتري وأبيع.

سعد: تتاجر يا أخي؟

ابن عوف: وماذا في ذلك؟

سعد: التجارة تحتاج إلى خبرة وأنت لم تمض يوماً كاملاً

في المدينة.

ابن عوف: الخبرة موجودة والحمد لله.

سعد: والتجارة تحتاج إلى رأس مال.

ابن عوف: وهذا أيضاً معي.



سعد: يا عبد الرحمن، من أين لك بالمال؟ أنت لا تملك منه إلا دراهم معدودة.

ابن عوف: هذه الدراهم تكفي إن شاء الله. وسترى مني ما يسرك يا أخي بإذن الله.

سعد: يا عبد الرحمن!

ابن عوف: دلني على السوق يا سعد وسترى مني ما يثلج صدرك ويسر فؤادك.

سعد: نتناول الطعام أولاً.

إسلام

سعد: (داخلاً البيت وخلفه عبد الرحمن بن عوف) تفضل يا أخي في الإسلام تفضل يا عبد الرحمن بن عوف.

ابن عوف: (يدخل متردداً)

سعد: (مشيراً ومرحباً) تفضل يا عبد الرحمن. هذا بيتك.

ابن عوف: السلام عليكم ورحمة الله.

سعد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. تفضل اجلس يا أخي.

ابن عوف: (جالساً) ما أشبه الليلة بالبارحة.

سعد: أهلاً بك يا أخي.

ابن عوف: بيتك كما هو يا سعد. كأنني به كما دخلته قبل عشر سنين.

سعد: يوم آخى رسول الله بيني وبينك.

ابن عوف: يوم دلتني على السوق. فاشتريت وبعث وربحت، حتى أصبحت من أغنياء المدينة.

سعد: بارك الله لك في مالك.

ابن عوف: هكذا كان دعاء رسول الله لي ﷺ يوم تبرعت بنصف مالي. قال لي: يا عبد الرحمن، بارك الله لك فيما أنفقت. وبارك الله لك فيما أمسكت.

سعد: صلى الله عليه وسلم.

ابن عوف: ومنذ ذلك اليوم يا سعد، راجت تجارتي وتضاعفت أرباحي بشكل أثار عجبني قبل أن يثير

عجب الناس، حتى لقد رأيتني لو رفعت حجراً لوجدت تحته ذهباً أو فضة.

سعد: أنت تنفق أيضاً يا عبد الرحمن بسخاء يثير عجب الناس أيضاً.

ابن عوف: ولكن رسول الله يا سعد قال لي مرة أخرى: يا بن عوف، أنت من الأغنياء وإنك ستدخل الجنة حيواً. فأقرض الله يطلق لك قدميك.

سعد: وهذا ما يشغلك يا بن عوف؟

ابن عوف: نعم يا أخي.

سعد: مع أنك من العشرة المبشرين بالجنة.

ابن عوف: ولكنني أدخلها حيواً يا سعد.

سعد: تريد أن تدخلها هرولة وجرياً؟

ابن عوف: مع إخواني وأصحابي.

سعد: لقد قالها لك رسول الله: أقرض الله يطلق قدميك.

ابن عوف: وهل تراني ممسكاً يا أخي؟ والله إنني كلما أقرضت الله ضاعف لي أضعافاً كثيرة. حتى إنني لا أعرف أعداد مالي ومقدار ما عندي من الذهب والفضة.

سعد: عجباً لك يا بن عوف، الناس يشكون الفقر وأنت تشكو الغنى.

ابن عوف: أليس الغنى هو الذي يقيد قدمي في الجنة؟

سعد: المدينة كلها يا بن عوف تتحدث عن إنفاقك في سبيل الله. من لا يذكر اليوم الذي قمت فيه ببيع أرضك

وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير.

سعد: صلى الله عليه وسلم.

ابن عوف: اسمع يا سعد. إن أحمال قافلتني ما تزال فوق رحالها، وهي سبع مئة راحلة أشهدك أنها بجميع ما فيها في سبيل الله، سأقوم بتوزيعها على فقراء المدينة.

سعد: بارك الله لك يا بن عوف.

ابن عوف: وأشهدك يا بن الربيع أن أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف في ماله. ثلث يُقرضهم، وثلث يُقضى عنهم ديونهم، وثلث يصلهم ويعطيهم.

سعد: والله لقد وفيت يا بن عوف. فأنت كما قال رسول الله، أمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض. هيا إلى الإفطار إذا.

ابن عوف: والله إنني أخاف أن أُحبس عن أصحابي لكثرة ما كان لي من مال.

(تسمع جلبة هرولة في الخارج وأصوات عالية)

صوت ١: يا سعد بن الربيع، قُتل عمر بن الخطاب.

صوت ٢: يا سعد بن الربيع، قُتل أمير المؤمنين.

إسلام

(عبد الرحمن بن عوف وحده يحدث نفسه: إيه يا عبد الرحمن! قُتل أمير المؤمنين. قُتل عمر. والخلافة شاغرة، تنتظر من يشغلها. الخلافة يا عبد الرحمن. لا المال ولا الذهب ولا الفضة ولا الخيل ولا حمر النعم، ولا كنوز الأرض تعدل الخلافة. السلطان يا عبد الرحمن. على الكبير والصغير، والأمير والحقير، والقاصي والداني، في كل بلاد المسلمين. كل بلاد المسلمين طوع وإشارة منك. ومن أحق منك بالخلافة؟ أنت الأمين في أهل السماء، وأنت الأمين في أهل الأرض. هكذا قال رسول الله!.

وبذلك تكون الدنيا كلها قد دانت لك: المال والسلطان.

فماذا تنتظر؟ ماذا تنتظر يا عبد الرحمن؟ أن يتولى

التي بلغ ثمنها أربعين ألف دينار وزعتها جميعاً

على أهلك وعلى أمهات المؤمنين وفقراء المسلمين؟

ابن عوف: اللهم اجعله في ميزان حسناتي.

سعد: ومن يتسنى يوم قدمت لجيوش المسلمين خمس مئة

فرس؟ ويوم قدمت ألفاً وخمسة مئة راحلة؟

ابن عوف: الله اجعله خالصاً لوجهك الكريم.

سعد: هون عليك يا بن عوف. نفطر إن شاء الله، فنحن

صائمان. ولكن طعامنا ليس طعام الأغنياء.

(يخرج سعد لحظة ويعود حاملاً الطعام فيجد ابن

عوف يبكي)

سعد: تبكي يا بن عوف على الطعام؟

ابن عوف: أشهد الله أنني صائم. ولكن ليس بي شهية للطعام.

سعد: يا بن عوف كنت جائعاً قبل ساعة، ونحن في الطريق إلى هنا.

ابن عوف: والله لقد كنت جائعاً قبل ساعة. ولكنني ما إن رأيت الطعام حتى فقدت شهيتي.

سعد: أمرك عجيب يا بن عوف!

ابن عوف: لقد تذكرت أخي مصعب بن عمير وهو خير مني، حينما استشهد كفناه في بردة قصيرة، إن غطت رأسه، ظهرت رجلاه، وإن غطت رجليه ظهر رأسه. وحينما استشهد حمزة، عم رسول الله، وهو خير مني، لم نجد ما نكفنه فيه إلا بردة.

سعد: رحم الله شهداءنا، وألحقنا بهم بفضلهم وجوده ورحمته.

ابن عوف: ثم بسط الله لنا من الدنيا ما بسط، وأعطانا منها ما أعطانا. وإنني لأخشى أن نكون ممن عجلت لهم حسناتهم وأذهبوا طيباتهم في الدنيا.

سعد: لماذا خوفك يا بن عوف وأنت ممن بشرهم رسول الله بالجنة؟

ابن عوف: ﷺ. لقد مات وهو سيد الناس، وخير خلق الله،



ابن عوف: عبد الرحمن بن عوف الذي كان يوماً في الشام، ويوماً في اليمن، وراء تجارتها، يبيع ويشترى، ويجمع المال، ويجهز السرايا والجيوش، وينفق، ويعطي، ويصل، ويقضي الديون. هاهو ذا عبد الرحمن بن عوف حبيس الفراش يموت موت البعير.

سعد: ماذا يضريك يا بن عوف وقد بشرك رسول الله بالجنة؟

ابن عوف: أدخلها حبواً يا بن الربيع. لكم تمنيت أن أفوز بالشهادة لعلها تطلق قدمي. والله إني أخاف أن يحبسني مالي عن أصحابي.

سعد: لقد أنفقت يا عبد الرحمن: (الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

ابن عوف: وإني أشهدك يا سعد، أني أوصي بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصي لكل من بقي ممن شهدوا بدرأ بأربع مئة دينار، وأوصي بخمس مئة دينار لكل واحدة من أمهات المسلمين.

سعد: وهذه عائشة يا بن عوف تريد أن تخصك بشرف لم تخص به غيرك، ولعلها تعبر عن شيء سمعته من رسول الله. إنها تعرض عليك يا بن عوف أن تدفن في حجرتها بجوار رسول الله، وأبي بكر وعمر.

ابن عوف: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه. هذا كرم من عائشة جزاها الله عني خير الجزاء. هذا شرف لا أستحقه، ومقام لا أرتفع إليه.

سعد: إذاً هو عهدك القديم مع صاحبك عثمان بن مظعون أول من دفن في البقيع من المسلمين؟

ابن عوف: نعم، عثمان بن مظعون أول من توفي من المهاجرين بالمدينة تعاهدنا أننا يموت بعد صاحبه، يدفن إلى جواره ■

الخلافة واحد غيرك من الستة الذين اختارهم عمر؟ أنت أحدهم. وأنت أحقهم. أنت ثامن ثمانية في الإسلام. صاحب اليد العليا. ومالك لا تنعم به وحدك، بل ينعم به أهلك ورحمك وإخوانك والمجتمع كله، تعطي وتقرض وتقضي الدين عن المدينين، هيا! هيا يا عبد الرحمن. الأصابع تشير نحوك يا بن عوف. وبعض الصحابة فاتحوك بأنك أحق الستة بالخلافة.

ولا تنس بلاءك في الإسلام وجهادك: يوم أحد، أصبت بعشرين جرحاً. بل إن إحدى إصاباتك سببت لك هذا العرج الدائم في إحدى ساقيك. كما سقطت بعض ثنايك فسببت لك هذا الهمم الواضح في نطقك.



هيا يا بن عوف! هيا! هيا! (كالصدى) هيا! هيا! هيا! لحظة. كمن يفيق من كابوس أو حلم مزعج. في قوة وتصميم: لا! لا! لا! كلهم خير مني! كلهم خير مني! كفاني فتنة المال! والله لأن تؤخذ مدينة فتوضع في حلقي، ثم يُنفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك. والله لأذهبن من فوري لأعلن تنازلي عن حقي الذي أعطانيه (عمر).

إنظام

(عبد الرحمن بن عوف على فراش الموت، وسعد بن الربيع)

يسكنها عواء الريح والموتى وأوراق الخريف..
 نم يا حمام.. تعب الكلام من الكلام..
 وبكت عيون الأنبياء فأوجعتني..

کل حزنِ خلفِ وجہ ضائعِ قد صار حزنی..
کل موتِ عابر

شُدِي إِلَيْكَ نَهَائِيَّتِي كِي أَسْتَعِيد بِدَائِيَّتِي..
هَزِي إِلَيْكَ بِجَدْعِ أَحْزَانِي..

وردي القوس..

ضميني إلى حدقات عينيك لتعصمني من
لوفان والماء..

أعيدني لي خيول البحر..

کی آنسی دھی المنفی

فوجه الأرض.. مذبحه

وعيناك هما.. شمسى

يحملها جنون الليل حزناً ظامئاً لا يرتوي..

كنت الحقيقة، والسؤال المستحيل..

وكان جرحى نجمة مهجورة..

لبست سواد الليل ثوبا.. ثم نامت.. وهي تحلم بالقمر

من يُسكن الموتى ۱۹..

ومن يأتي صدی صوتی بظبی سابع فی الیم

وحدتي.. أنا والرماد / وجهك والمطر

سكت الصدى.. لا صوت.. إلا وقع أقدام الهزيمة في دمي

والأرض راحت في ظلام الليل تبكي وحدتي..

وحدی..

أنا والرماد / وجهك والمطر

رحلت حقول القمح خلف الزاهبين إلى اليباب..

حط الحمام على يدي.. لم يزل خمسون عاما..

لم أرث غير الهزيمة والسؤال.. خمسون عاماً..

لم تنزل أمي على صدر الجدار تعلق المفتاح.. لا

تدری.. بأن الدار قد أمست ولا أبواب..



النقد التطبيقي عند حسين علي محمد .. دراسة وتقويماً

بحث مكمل لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير الموازي في البلاغة والنقد ومنهج الأدب الاسلامي

إعداد الباحث: مساعد بن مطلق نهار المعيلي الحربي

إن حسين علي محمد أستاذ جامعي، وأديب، وناقد، مارس النقد بقسميه التنظيري والتطبيقي. فدراسته النقدية بأنواعها المختلفة مبنوثة في ثنايا كتبه، وفي الصحف والمجلات الأدبية، وهي بحاجة إلى استخلاص طريقته في هذه الدراسات، وآرائه النقدية حول أبرز القضايا التي تناولها. ولحسين علي محمد دراسات في النقد التطبيقي شاملة لجميع الأشكال الأدبية، بلغت واحداً وثلاثين كتاباً، تناول فيها مختلف القضايا النقدية، وبرز فيها اهتمامه بالنقد التطبيقي في الشعر بنوعيه العمودي، والتفعيلة، وأنماط السرد بأنواعها المعروفة: الرواية، والقصة القصيرة، والمسرحية، وأيضاً نشر الكثير من البحوث في الصحف والمجلات.

العربي، وصولاً إلى شعر التفعيلة، والنثيرة (ما يسمى قصيدة النثر)، وتطور بعض الفنون السردية كالرواية، والمسرحية. ومن خلال اطلاعي على المطبوع من الكتب النقدية والرسائل العلمية لم أجد دراسة مستقلة خصصت لدراسة النقد التطبيقي عند حسين علي محمد. وقد تعددت المحطات التي توقفت فيها مع النقد التطبيقي عند حسين علي محمد، وكثرت الشواهد والمعطيات التي تعاملت معها في رحلتي مع هذا البحث معتمداً على المنهج الوصفي في دراستي النقدية، عبر تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة. كان التمهيد لمحة عن حياة حسين علي محمد وسيرته، ولمحة عن جهوده الأدبية والنقدية.

نقده، ثم تقويم جهوده في النقد التطبيقي. واعتمدت في دراستي للنقد التطبيقي عند حسين علي محمد على المنهج الوصفي لأنه هو المنهج المناسب للإلمام بجوانب هذا الموضوع، واستفدت من المنهج التاريخي في بعض الأحيان، وخصوصاً في تقصي دراسة الظواهر المدروسة من مثل: «دراسته لظواهر التجديد في الشعر

ووقع اختياري على موضوع البحث التكميلي لإنهاء متطلبات برنامج الدراسات العليا لمرحلة الماجستير الموازي: عند حسين علي محمد: دراسة وتقويماً، وتكمن الأسباب التي دعنتني لدراسة هذا الموضوع في غزارة الإنتاج النقدي لحسين علي محمد، ثم تنوعه، وغلبة الجانب التطبيقي عليه، وبرز الرؤية الإسلامية في نقده، ووضوح تطبيقه لمنهج الأدب الإسلامي.

وهدف البحث إلى الوقوف على أبرز القضايا النقدية التي قام حسين علي محمد في دراستها في نقده التطبيقي للأجناس الأدبية المختلفة التي ذكرناها، واستخلاص خصائص النقد التطبيقي عنده، وحصر القضايا الأكثر حضوراً في



مساعد بن مطلق الحربي

في الفصل الأول استعرضت أبرز قضايا النقد التطبيقي للشعر في ثلاثة مباحث شملت القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، والنثيرة (مايسمى قصيدة النثر)، وحددت أبرز القضايا النقدية التي درسها في نقده التطبيقي للشعر مثل: الألفاظ من حيث الدقة اللغوية، والتكثيف والإيجاز، والإيحاء، والمعاني والأفكار من حيث الوضوح والغموض، وصحة المعنى، وملاءمة الألفاظ للمعاني، والعمق والسطحية، والتجديد والابتكار، وعنوان القصيدة ومدى توافقه مع المضمون، والأخيلة والصور، وأوضحت موقفه من بعض الآراء النقدية التي تتعلق ببعض الأشكال الشعرية (القصيدة العمودية، قصيدة التفعيلة)، وبينت طريقته النقدية للشعر، وأحكامه النقدية على الشعراء، وأوضحت موقفه من مصطلح النثيرة، والكتابة فيها، ونقده لبعض الكتابات فيها كنقده لديوان «شحارير بيضاء» لمصطفى النجار، وأوضحت رأيه في مستقبل النثيرة.

واستعرضت في الفصل الثاني، وفي ثلاثة مباحث نقده الفنون السردية من حيث عناصر البناء الفني، ومن حيث الشخصيات، والأحداث، والحبكة الفنية،



د. حسين علي محمد

والزمان والمكان، وطريقة توظيف الكتاب لهذه العناصر، والعناصر الأكثر حضوراً في نقده التطبيقي للفنون السردية، وعلى مستوى الرؤية الفكرية، وأوضحت رأيه فيما يجب أن يكون عليه المضمون، من حيث سلامة المعتقد، وبعده عن الأفكار الدنيئة، وقمت من خلال دراستي لنقده التطبيقي على الفنون السردية باستخلاص موقفه من الرواية، والقصة القصيرة، والقصيرة جداً، والمسرحية.

واستعرضت في بعض الأحيان ما يوافقه من آراء لنقاد آخرين في بعض القضايا النقدية في الفنون السردية مثل: اللغة من حيث الفصحى والعامية، والالتزام الإسلامي، وحدود استعمال الرمز، والموقف من استدعاء التراث

خصوصاً في نقاشه للشخصيات في المسرحية، ومصادر الروايات، والمسرحيات.

في الفصل الثالث قمت بتقويم لجهود حسين علي محمد من خلال ثلاثة مباحث شملت الالتزام الإسلامي، حيث أوضحت موقفه من قضية الالتزام، وأوردت صوراً من نقده التطبيقي توضح بعض المآخذ التي سجلها على الشعراء والكتاب وخصوصاً تلك التي توحى بفساد في المعتقد، أو بعد عن القيم والأخلاق، وشمل هذا الفصل مبحثاً في العمق والسطحية لأنه هو الأقرب في تقويم جهده في النقد التطبيقي، فكتبت بعضاً من صور العمق في نقده التطبيقي مثل: طريقة اختياره لأعمال أدبية متماسكة في البناء الفني وسليمة في الرؤية الفكرية لتخضع لدراسته النقدية، وأوردت بعض الشواهد على هذه الاختيارات كما بينت أنه مما يكسب دراساته النقدية الدقة اعتماده خططا محكمة في دراساته النقدية، واعتماده على طريقة منهجية قائمة على الوصف والتحليل واستحضار النصوص، وربطها بالمكونات الثقافية لمبدعها. وللحكم على جهوده النقدية كان لزاماً علي أن أورد مبحثاً ثالثاً أسجل فيه آراء النقاد في نقده،



وقد سجلت آراء لنقاد أكاديميين عاصروا حسين علي محمد، ونقاد آخرين تتلمذوا على يديه، وسجلت آراء لنقاد كتبوا عن نقده بعد وفاته، وقد أوضحت هذه الآراء منزلة حسين علي محمد النقدية.

وقد أبان البحث بعض السمات الرئيسية للنقد التطبيقي عند حسين علي محمد، أبرزها ما يأتي:

١. غلبة النقد التطبيقي على جل دراسات حسين علي محمد النقدية المبثوثة في تضايف مؤلفاته الأدبية والنقدية، وبحوثه النقدية المنشورة في الصحف والمجلات، وشمولها لجميع المجالات الأدبية في الشعر والفنون السردية.

٢. استحضار النصوص الأدبية، وتقديم وصف لمضمونها وبنائها الفني، ونبذة عن مبدعها، ثم تحليل النص الأدبي مستحضرا المكونات الثقافية الداخلة في النص من حيث ثقافة مبدعه وعقيدته وأفكاره،، والمكونات الخارجية عن النص من حيث الزمان والمكان اللذين كتب بهما النص الأدبي، وأقوال من سبقه من النقاد فيه، ويبتدئ بالمقدمات، ثم ينتهي بالجزئيات، ليحدد في النهاية رأيه في النص بعد أن يعدد

الإيجابيات والسلبيات التي وقع فيها مبدع النص.

٣. بعده في أغلب الأحيان عن استحضار المناهج النقدية الحديثة مما أكسب نقده وضوحا فكريا وأدبيا، وجعله سهل المأخذ، وألبسه لباسا من الموضوعية حيث يتحول النقد عنده إلى إبداع، فتلمس في نقده التطبيقي ملامح من النقد



الأدبي القديم من حيث المعاني والأفكار، وإيراد الشواهد، بالإضافة إلى حرصه على سلامة المعتقد، وتطبيقه منهج الأدب الإسلامي.

٤. كشف البحث عن مقدرة حسين علي محمد النقدية، وامتلاكه وسائل تعبيرية بمفردات واضحة، ومعان يسيرة، سهلة المنال.

٥. خضع مقياس الميزان النقدي في نقد حسين علي محمد التطبيقي لمقاييس المضمون والشكل معا، وقد تتفاوت من نص أدبي إلى آخر، ففي مقياس المضمون يهتم أولا بالالتزام الإسلامي، ثم يقوم المعاني والأفكار بحسب المقاييس النقدية الأخرى المعروفة عند النقاد، ويخضع أيضا عناصر الشكل للمقاييس النقدية الخاصة بها.

وكشف البحث عن مواضيع تتعلق بالنقد أو الإبداع عند حسين علي محمد يبدو أنها صالحة للدراسة، من أبرزها ما يأتي:

١. المسرحية
٢. النقد التنظيري.
٣. استدعاء التراث في النقد التطبيقي.

وفي الختام أتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور وليد بن إبراهيم قصاب الذي رعى بذور هذا البحث فكرة وبناء حتى استوى على سوقه، واكتمل بناؤه، فله مني الدعاء بالتوفيق والسداد.

وقدمت الرسالة ونوقشت في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، في الرياض للعام الجامعي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ ■



تزهو على شفة الأثير وتفخر
عرباء كحلت المآثر هديها
والنور ينثر بالربوع رذاذه
واختالت الأمجاد في شرفاتها
سفر تجلى في قداسة مهدها
والمجد كيف تلفت ألحاظه
كيف استحل الفوزو طهر حياضها
والجامع الأقصى يئن عماده
وكان قطعان العروبة دمية
نضب الحياء بوجهها وتيبست
و«بنو قريظة» عصابة همجية

يا «أحمد» العربي^(١) يا طفلاً يرى
ما زلت طفلاً والفجائع جمة
يا أحمد العربي لا تلم العدى
جثمت على إخوانه حمم اللظى
وتناثرت أشلاء غزة بالمدى

تتاوه الأسرار في صمت الدجا
هل زف خل فرحة في يعرب
وعلى الصدور رحي الضغينة أطبقت
والحلم خنثى لا تبشر بالمنى
يا أحمد العربي أعياني الشجى
أكبرت صبرك في مجازر غزة
أتقنت في فن المقال بلاغة
كيف الغزاة يهودون ترابنا
زالت «طليطلة» وأخشى بعدها

وتطل في برد العفاف وتبهّر
وتوشحت بالطهر جذلى .. تخطر
ويضوع مسك بالربوع وعنبر
سل ما تشاء تجبك عنها الأعصر
والقدس تورق بالوداد وتزهّر
يرقى انتشاء بالسمو ويسحر
والنخل ينحب والربا تتذمر
والصمت يلتحف الهوان يخدر
يلهوا بها حيف ويخجل منظر
والوجه لطح بالقذى يتعفر
وفحيح أفعى بالنوازل يصفر

ما لا يطاق وما يسر المبصر
والرعب عربد والمنايا تنذر
رحم العروبة عاقر لا يثمر
وانتابه هلع مريع يزأر
وتفحمت جثث تذوب وتصر

بعض يفرض ، وبعضه قد يقبر
والخلف قانون يسن وينشر
والصل في رحم الأخوة يقطر
أسمعت خنثى بالوليد تبشر
الدرب وعرو والخطا تتعثر
كيف احتملت النائبات وتصبّر
ما لا تطال مدى البلاغة «عبقّر»
لا الخيل تصهل أو يسيل الخنجر
مما توالى، والمنى تتقهقر

القدس مدينة الصلاة

سهام عبد الله - سورية

(*) من الأدب الموافق.

(١) الطفل أحمد عوض
شاهد على محرقة غزة.

الوسطية في الأدب الإسلامي

تأليف: د. وليد قصاب

الوسطية، وتطبيقاته في الإسلام الذي ينبثق منه الأدب الإسلامي، ويتسم بسماته العديدة، ومنها سمة الوسطية.

يقول المؤلف في المقدمة مبينا أهمية انبثاق الدعوة إلى الأدب الإسلامي: «وفي ضوء ما أصاب الأدب العربي الحديث من تغرب وهجانة تحدث عنها كثير من الدارسين، بسبب تقليد المذاهب الغربية،

كان لا بد من مراجعة وتصحيح لمسيرة هذا الأدب،

كان لابد من دعوة تعود به إلى جادة الأصالة، وتحفظ عليه ماء وجهه الذي أريق على أعتاب فكر الآخرين وأديهم.. وتمثل ذلك في الدعوة إلى الأدب الإسلامي». (ص ١٤)

ويأتي الحديث عن الوسطية في أقوال بعض النقاد ألصق بموضوع الكتاب المباشر، ذلك أن النقد يسير خلف الأدب ويتبع أثره، ويصدر أحكامه على النص مؤيدا ومعارضاً، وقد يتجاوزوه إلى

صاحبه أحيانا، وليس له من ضابط يشكم جماعه إلا منهج الوسطية.

ويدخل المؤلف إلى صلب الموضوع فيتحدث عن «الوسطية في منهج الأدب الإسلامي» من خلال خطة الثنائيات التي تحكم الإبداع الأدبي، فتحدث في الفصل الأول عن: ثنائية الشكل والمضمون، والتجاذب بين المتطرفين إلى الشكل، والمتطرفين إلى المضمون،

الوسطية مركب النجاة في الطوفان الذي يهددنا في هذا العالم، ورغم كثرة الداعين إليها، والمدعين لها؛ فإن قلة من الناس ربما يكونون على جدد الوسطية التي أرادها الله سبحانه لنا؛ إذ قال في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

ولعل من طرائف المؤلفات التي طرقت هذا

الموضوع كتاب «الوسطية في منهج الأدب الإسلامي» للدكتور وليد قصاب، والحديث عن المنهج هو الضابط للموضوع، أما مفردات الأدب الإسلامي فإنها تختلف من أديب إلى آخر، وعند الأديب نفسه من نص إلى نص، أو من فن أدبي إلى فن أدبي آخر، فالأدب النازع بطبيعته إلى الخيال، والمشحون بالعاطفة، يفاقل صاحبه مرة بعد مرة، فيند ويشطح إذا لم يكن دائم المراقبة لنفسه والمراجعة لما يكتب.

وفي هذه الصفحة المتاحة من مجلة الأدب الإسلامي لعرض كتاب في هذا الموضوع نلم بعموميته الدالة على تفاصيلها من خلال العناوين الرئيسة بين دفتيه. فبعد التصدير والمقدمة والتمهيد تحدث المؤلف عن معنى الوسطية في اللغة، ثم أعطى لمحة عنها في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف، وفي أقوال بعض الصحابة والفقهاء، وهذا كله تأصيل لمفهوم



ليعطينا وسطية المنهج عند الذين جمعوا بين الشكل والمضمون.

وفي الفصل الثاني تحدث عن ثنائية الفن والالتزام، بتفصيل أكثر في العناوين الفرعية التي شملت العناوين الآتية: نظريتا الطبيعة والوظيفة الشكلية والخلقية، قدم النظريتين، سبق النظرية الخلقية، الشكلية والخلقية في النقد الغربي، وظيفة الشعر، نقد المعاني، الضبط العقدي لأغراض الشعر، عدم رواية ما صادم العقيدة، إسقاط منزلة الشاعر بسبب عقيدته، إثثار الصدق.

وفي الفصل الثالث تحدث المؤلف عن تجاذب آخر يواكب الأجيال وهو: ثنائية القديم والحديث، وضم هذا الفصل العناوين الآتية: القديم والحديث في التراث العربي، أصحاب القديم، أصحاب الجديد، أصحاب الوسطية، القديم والحديث في الفكر العربي، الجموح في التجديد، الحداثة وتغريب الأدب، الوسطية الإسلامية في قضية القديم والحديث، من ملامح الوسطية الإسلامية في إشكالية القديم والحديث.

في هذه الفصول الثلاثة دار الحديث عن «الوسطية في منهج الأدب الإسلامي» في أدبنا العربي عامة، والأدب الإسلامي منه خاصة، وهو حديث يدور فيما عندنا، ولأن ذلك غير كاف بسبب تأثر أدبنا الحديث بالآداب العالمية عموماً، وبالعربي منه خصوصاً؛ فقد جعل الفصل الرابع الأخير من الكتاب عن: ثنائيات المذاهب الأدبية الغربية. وجاء في أربعة محاور بعد حديثه عن ارتباط المذاهب الأدبية بالعقائد والفلسفات، وهي: ثنائية العقل والعاطفة، ثنائية الواقع والمثال، وثنائية الشعور واللاشعور، وثنائية الداخل والخارج. وتحدث في كل محور عن التصور الإسلامي له.

إن فكرة الثنائيات هذه التي بنى عليها المؤلف د. وليد قصاب كتابه، هي فكرة أصيلة في الحياة نفسها أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات: ٤٩)، ولعل هذه الزوجية الثنائية هي المقصودة أيضاً في الآية الأخرى: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) (الحجر: ١٩)، ومن هنا نلاحظ أن هذه المنهجية ليست نظرية اجتهادية، بل هي مرتبطة بأصل الخلق كله، فطرة فطر الله الخلق عليها، لتعتدل الحياة التي نخترها لأنفسنا حسب الميزان الذي وضعه الله سبحانه في خلقه.

وقد حقق المؤلف في عرضه لمحاور الكتاب ما ذكره في المقدمة إذ يقول: «وهذه الوسطية الأدبية الإسلامية تعني جمع وجوه الحسن كلها من عناصر العمل الأدبي المتميز، لا يفرط بأي عنصر من هذه العناصر، لأن لكل منها وظيفته وجماله وتأثيره، وحضوره يحفظ على العمل الأدبي توازنه؛ إذ يهيئ له المتعة والفائدة، والجمال والالتزام، الإبهار والهدف». (ص ١٨)

وبلخص المؤلف في خاتمة كتابه ما قاله في المقدمة وما عرضه في ثناياه فيقول: «إن منهج الأدب الإسلامي يقوم على النظر إلى هذه الثنائيات على أنه يكمل بعضها بعضاً، لا على أنها متناقضة، متافرة، كما ينظر إليها في الفكر الغربي، وأنه يمكن الاستفادة من كل وجه إيجابي تحمله أية واحدة منها، لتشكيل رؤية متوازنة تقوم على الاعتدال والقصد، وتبتعد عن الإفراط والتفريط». (ص ١٨٣)

هذا الكتاب يستحق القراءة، وأن يؤلى مزيداً من العناية لأهمية موضوعه لنا جميعاً، وللدأب خاصة. وقد صدرت الطبعة الأولى عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، في سلسلة روافد، عام ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٠١٢م. ■

تكريم د. عبد القدوس أبو صالح في ندوة الوفاء

أقامت ندوة الوفاء بالرياض لعميدها الشيخ أحمد محمد باجنيد حفلا تكريميا خاصا للدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو الهيئة الاستشارية للندوة، وأحد روادها المهمين منذ أيام الأديب الأستاذ عبد العزيز الرفاعي صاحب الندوة الرفاعية التي تعد ندوة الوفاء استمرارا لها. وأقيم حفل التكريم مساء الأربعاء ١١/٢/١٤٣٦هـ، الموافق ٢٠١٤/١٢/٣م، وشهد حضورا كثيفا.

وتضمنت فقرات حفل التكريم تلاوة آيات من القرآن الكريم للشيخ عبد العزيز القاري، ثم كلمة عميد الندوة الشيخ أحمد محمد باجنيد عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي حيث ارتجل كلمات معبرة عن تقديره للدكتور عبد القدوس، وأكملها ابنه الأستاذ حسين باجنيد، تحدث فيها عن بدايات تعرفه على الدكتور عبد القدوس وعلى عدد من الشخصيات الأدبية والعلمية الذين كانوا على صلة به، مثل الشيخ مصطفى الزرقا، والدكتور معروف الدواليبي، والشاعر عمر الأميري وغيرهم.

بعد ذلك قدمت أربع أوراق عن الدكتور عبد القدوس أبو صالح، الأولى للدكتور عبد الله العريني بعنوان: **الأنار العلمية والأدبية للدكتور عبد القدوس**. وقد بدأ الدكتور العريني حديثه عما تركه الدكتور عبد القدوس من أثر في نفسه منذ السنة الأولى من دراسته في الجامعة على يديه، وكيف كون شخصيته طالبا، وقال: إنه مازال يخترن تلك اللحظات الجميلة في ذاكرته، ثم تحدث بإيجاز عن أبرز مؤلفات الدكتور، وهي تحقيقه لديوان ذي الرمة بشرح الإمام أبي نصر الباهلي، وهو رسالة الدكتوراه، وكتابه يزيد بن مفرغ الحميري حياته وشعره، وهو رسالة الماجستير، وكتاب العفو والاعتذار للرقام البصري، وهذه



الكتب الثلاثة في مجال التحقيق، وهي كتب مهمة بذل فيها المحقق جهودا غير عادية حتى صارت في المكتبة العربية التراثية. ومن الكتب الأخرى للدكتور عبد القدوس كتاب شعر الجهاد في العصر الحديث، نشر جامعة الإمام، وهو بالاشتراك مع د. محمد رجب البيومي، وكتاب أحاديث وأسمار، وهو كتاب منوع يخرج عن الطابع العلمي الأكاديمي إلى قصد الإمتاع والفائدة من خلال تعدد الموضوعات، وبساطة العرض، ومخاطبة الشريحة الكبرى من القراء. وهو في كثير منه أحاديث إذاعية ألهاها المؤلف عبر الأثير.

وكانت الورقة الثانية للدكتور وليد قصاب، بعنوان: **د. عبد القدوس أديبا وناقدا**، وقد أبرز في حديثه أن رابطة الأدب الإسلامي أخذت من الدكتور عبد القدوس أبو صالح جهده ووقته؛ ولم تدع له ما يتفرغ به لقلمه المتدفق السيال، وأنه أديب قرص الشعر، وكتب القصّة، وهو ناقد أنشأ كثيراً من البحوث والأحاديث والمقالات، وتمثل بأبيات له مازال يستحضر صدى إنشادها في أذنيه بصوته الجهوري، ونبراته الحارة المعبرة. وركز د. وليد



د. عبدالله العربي



د. وليد قصاب



د. عبدالباسط بدر



د. ناصر الخنين

والقانونيين، وكان الدكتور عبدالقدوس أنشط أعضاء الفريق وأكثرهم متابعة، وعلى امتداد سنوات ثلاث وضعت صيغة تكوين الرابطة وهيكلها، كان الدكتور عبدالقدوس المنظر الأول لخبرته في الأنظمة والقوانين، واختير الشيخ أبو الحسن الندوي لرئاسة الرابطة، لتحقيق سمات الإسلامية الوسطية والأدبية والعالمية فيه. ثم متابعة ذلك في مؤتمرات وندوات وجهود أثمرت عن تأسيس أكثر من ستة عشر مكتباً في العالم العربي والإسلامي، على رأسها المكتب الرئيس في الهند، والمكتب الإقليمي في الرياض، ومكاتب مصر والأردن والمغرب.

ويصفه د. عبد الباسط بدر قائلاً: إنه صاحب رسالة بحق، وربان السفينة التي لا يغفل عن مقودها طرفة عين. وقد وفقه الله سبحانه وتعالى بفضل أولاً، ثم بما بذله من جهود جبارة إلى أن يقيم صرح أول تجمع أدبي إسلامي عالمي في تاريخ الأدب العربي، بل في تاريخ الشعوب الإسلامية وآدابها كافة.

واختصر الدكتور ناصر الخنين في الورقة الرابعة: **جهود د. عبدالقدوس في خدمة الأدب الإسلامي**، قائلاً: إن هذا الرجل عجيب في همته، شامخ في عزيمته، فإنه قد حمل الرابطة في قلبه، وما ذلك إلا لحب الإسلام أصلاً، وجعل الأدب الإسلامي

رسالة يحمل بها الدعوة إلى الله عز وجل، فكافح ونافح في سبيل مد بساط هذه الرابطة إلى أنحاء العالم الإسلامي. وبعد وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي اجتمع مجلس

قصاب على ما كتبه د. عبد القدوس في الأدب الإسلامي الذي صنّفه في ثلاث دوائر: دائرة الأدب الإسلامي الهادف، ودائرة الأدب الذي لا يخالف التصور الإسلامي وإن لم يكن هادفاً ملتزماً، ودائرة الأدب الذي يخالف التصور الإسلامي ويناهضه، والأدب المرفوض هو أدب الدائرة الثالثة. وإن عالمية الأدب الإسلامي تتحقق بتعدد لغاته. وإنه لا يتناقض مع الأدب العربي، ولا يتعارض معه، إذ الأدب العربي نسبة إلى اللغة، والأدب الإسلامي منسوب إلى المضمون الذي ينطلق من تصور عقديّ هو التصور الإسلامي. وعرض في حديثه لمسوغات الدعوة إلى أدب إسلامي، والتي منها إيجاد الانسجام بين عقيدة المسلم وحسّه الأدبيّ وتكامل شخصيته. ووضح بجلاء الفرق بين الالتزام الذي هو سمة الأدب الإسلامي، وبين الإلزام؛ فالأول اختيار حرّ مسؤول، والثاني قسريّ مفروض فرضاً، وغير ذلك من التفصيلات التي يضيق عنها وقت الحفل.

وفي الورقة الثالثة تحدث الدكتور عبد الباسط بدر بعنوان: **ذكريات ومواقف مع د. عبد القدوس**، مختصراً قليلاً من كثير، بادئاً من موقف اللقاء الأول بينهما في مكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام في الرياض، إلى الاهتمام بقضية الأدب الإسلامي، ووضع لبنات أساسه مع د. عبد

الرحمن رأفت الباشا، وآخرين في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وتشكيل فريق عمل من الحاضرين يدرس الموضوع بعمق، ويستشير أولي الرأي من الأدباء والمفكرين



بافضل، والدكتور إبراهيم الفايز، والدكتور يحيى أبو الخير، والدكتور خالد الحليبي الذي حضر من الأحساء وفاء لحق أستاذة، والدكتور حبيب المطيري الذي عبر هو الآخر عن عميق تقديره لأستاذة، والذي شفع كلمته بقصيدة جميلة معبرة ومحقة جذبت الحضور بكلماتها والقائها، وقصيدة وصلت بالبريد الإلكتروني للشاعر المصري عبد الرحيم الماسخ قرئت نيابة عنه، وشارك بالشعر أيضاً الدكتور الشاعر

أحمد الخاني، والشاعر جميل الكنعاني.

وقد أدار الحفل الدكتور عائض الردادي، الإعلامي المعروف وعضو مجلس الشورى السابق، فقدم موجزا للسيرة الذاتية والعلمية للدكتور عبد القدوس، وهو نفسه عايش المحفظة به في جامعة الإمام

طلبا، ثم في أمسيات الندوة الرفاعية، وندوة الوفاء، وفي رابطة الأدب الإسلامي، فكان حديثه حميميا عن قرب. وفي الختام شكر د. عبد القدوس أبو صالح في كلمته الشيخ أحمد محمد باجنيد على هذا الاحتفاء، وعلى ما قدمه من دعم سخي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ومجلتها، وشكر الحاضرين، والمشاركين في الحديث، ومدير الندوة د. عائض الردادي، ثم قدمت ندوة الوفاء درعا تكريميا للدكتور عبد القدوس أبو صالح.

أمناء الرابطة في الدورة الحادية عشرة لانتخاب رئيس للرابطة، فأجمع الحاضرون على انتخاب الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيسا للرابطة.. وبعد ذلك نقل موقع الرابطة من لكتو بالهند إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية بموافقة سامية حصل عليها مكتب الرابطة بجهود حثيثة من المحفظة به، ويتوقع من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد آنذاك عام ١٤٢٠ هـ.

ومن أبرز جهود الدكتور عبد القدوس إصدار مجلة الأدب الإسلامي، وقد كانت جهوده وبصمته ظاهرة من خلال افتتاحياتها المعروفة لترسيخ فكرة الأدب الإسلامي حتى بلغت (٨٤) عددا، وكذلك جهوده في تحديد الخط الذي تسير عليه الرابطة، فتأى بها عن

الصراعات الحزبية، وعن التواءات الشاذة التي تخالف هدي الإسلام وهدي السلف، وكان يؤكد على الوسطية والابتعاد عن التطرف والغلو في التعامل.

بعد ذلك تحدث عدد من الحضور عن علاقتهم بالدكتور عبد القدوس أبو صالح، وانطباعاتهم عنه، مشيدين بجهوده وعلاقاته المتميزة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والندوات الأدبية والثقافية التي تعقد في الرياض، فتحدث كل من الشيخ أحمد محمد



حضر الدكتور وليد قصاب مدير تحرير مجلة الأدب الإسلامي

مؤتمر «معجم الدوحة التاريخي للغة العربية» الذي عقد في تونس من ٤-٧/١١/٢٠١٤م، وقدم بحثا عن الشعر وشروحه في قرن ونصف، من (٣٥٠-٥٥٠هـ).

**معجم الدوحة التاريخي
لغة العربية**

بين يدي المجد

مهدة لشيوخنا الأستاذ الدكتور
عبد القدوس أبو صالح بمناسبة
تكريمه في ندوة الوفاء بالرياض.



د. حبيب بن معلا المطيري - السعودية

ما لشعري دهام صمت وعي
رهبة الموقف الكبير غشته
هو في حضرة الجلال بك
كلما قلت قد تأتى تأبى
إنني في رحاب شيخني وهل لي
كيف أهدي إلى البيان بياناً
غير أنني أتيت أزجي التحايا
شيخنا الفذ يا ندي السجايا
نحن طلابك الذين سقاهم
أنت فينا فيوض علم ونبل
يستوي في انتجاع غيثك دان
كل حرف بنيت فيه صروحاً
رأيك الرأي ليس فيه التباس
نتجارى بقولنا فإذا ما
قد حملت الهموم عنا ولكن
لم تهدن طوال عمرك خباً
كلما كل عزمنا قمت فينا
لك منا أبا يمان فيوض
قد روينا عن الجبال شموخاً
أن أعلى منازل الناس قدراً
حرفه الـ (كان) ذا ليلان عصي
ليس يغني بيانه العبقري
ولدى موكب الجلال عي
لفه خاطر ذهل حي
في رحاب البيان قول جلي
إنني ها هنا بصمت حري
لشموخ ازدهى ضياه السني
أنت والله رمزنا الأملعي
غيثك العذب فيه شبع وري
وابتدار به العطاء سخي
من ندى القطر والبعد القصي
من جلال ضياؤها سرمدي
إنه العلم والبيان القوي
قال عبد القدوس فرّ الدعي
ليس يدري عن الشجي الخلي
لم يفارقك عزمك الأحودي
صادق الروح بالمضاء حفي
من ثناء حُدها حب ندي
وحديث الجبال نشر وطى
منهج راسخ وطبع رضي



مكتب القاهرة - محيي الدين صالح

أمسية شعرية في الإسكندرية

أقام مكتب الرابطة بالقاهرة بالتنسيق مع مركز الإبداع، ومركز شباب الأنفوشي بالإسكندرية ندوة أدبية في قاعة المحاضرات بمركز الشباب، وذلك يوم الخميس الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠١٤م، حضرها لفيف من أعضاء الرابطة وعدد من المبدعين السكندريين، تحدث في الندوة كل من الدكتور زهران جبر، والدكتور محمد زكريا عناني عن دور الرابطة في الحفاظ على الأدب النقي وتبنيه ونشره. ثم أقيمت أمسية شعرية شارك فيها عدد من شعراء الرابطة والسادة الضيوف فقدم الدكتور زهران جبر قصيدتين في بداية الأمسية، الأولى بعنوان (النورس والغراب) والثانية بعنوان (القرود والقراد)، ثم قدم الشاعر محيي الدين صالح قصيدتين الأولى بعنوان (هي راودتني عن

نفسي)، والأخرى بعنوان (سهام الوجد)، وقدم الشاعر محمود الفحام قصيدة بعنوان (رأيت الله)، كما قدم كل من الشعراء علاء عبد الغني ومحمد سالم ورحاب عابدين قصائدهم. وقرأت الأديبة سهير شكري قصة قصيرة، كما شاركت الأديبة منى سالم في الندوة، واختتمت الأمسية الدكتور زكريا عناني بقصيدة عنوانها (تباريح الروح).

أدار الندوة وقدم لها الشاعر جابر بسيوني وختمها بقصيدة له، وشكر الحضور والمشاركين جميعاً.



د. محمد زكريا عناني



غازي التدمري



محمود مفلح

نوال مهني والبحث عن أطلانطا

أقيمت ندوة أدبية لمناقشة رواية الأديبة نوال مهني عن الخيال العلمي عنوانها (البحث عن أطلانطا)، وذلك يوم الاثنين الموافق ٢٠ أكتوبر ٢٠١٤م، حيث قدم كل من الأستاذ محمد علي عبد العال، والشاعر عدنان برازي، دراسات نقدية عن الرواية، كما علق على الرواية الأساتذة محمد حافظ، والناقد السوري محمد غازي التدمري، ومدخلات من وفاء السيد، ورجب الشريف، وكامل فراج. أدار الندوة وقدم لها الشاعر محمد حافظ.

إبداعات الشاعر محمود مفلح

عقدت ندوة أدبية حول إبداعات الشاعر الفلسطيني محمود مفلح، وذلك يوم الاثنين الموافق ٢٧ أكتوبر ٢٠١٤م، وتحدث في الندوة الشاعر محمود مفلح عن مشواره الأدبي وإبداعاته. واختتمت الأمسية بقاء شعري مع شعراء الرابطة

بالقاهرة، فقدم الشعراء: محمد حسن داود، وأحمد فتحي، ونوال مهني.. نماذج من أشعارهم، ثم قرأ عصام الدالي قصة قصيرة من إبداعاته. وأدار الندوة الدكتور زهران جبر.

إبداعات شوقي والجارم

استضاف مكتب الرابطة يوم الاثنين الموافق ٣ نوفمبر ٢٠١٤م، الدكتور شوقي رضوان في ندوة عن إبداعات الشاعرين أحمد شوقي وعلي الجارم، استعرض فيه الضيف مسار الحركة الأدبية في أوائل القرن العشرين، وقدم الندوة الشاعر محيي الدين صالح.

ملتقى شعراء جازان في الرياض



استضاف ملتقى أبناء جازان في الرياض أعضاء ملتقى شعراء جازان في أمسية شعرية فريدة العرض والأسلوب مساء يوم الاثنين ٢٠ / صفر / ١٤٣٦هـ، في فندق المطلق بمدينة الرياض. وشارك فيه عدد من أعضاء الرابطة.

افتتحت الأمسية بتلاوة آيات من القرآن العظيم تلاها الشيخ طاهر صميلي، فكلمة أعضاء الملتقى بالنيابة الشاعر يحيى ريان، فقصيدة ترحيبية من د. جبران بن سلمان سحاري عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومؤسس ملتقى شعراء جازان والمشرّف عليه.

بعد ذلك قدم الشاعران هادي بن محسن مدخلي، ود. مهدي بن أحمد الحكمي، مختارات من شعرهما في ثلاث جولات، تخللتها مشاركات من شعراء أبناء جازان في الرياض للشعراء: أحمد بن جابر الفيضي، وحسن بن منصور صميلي، وحاتم بن أحمد الجديبا، ويحيى ريان مسرعي.

وفي المداخلات النثرية تحدث: نائب رئيس الملتقى وعضو مجلس الشورى د. عبدالرحمن بن أحمد هيجان، وأمين سر المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض شمس الدين درمش، والأستاذ حسن بن أحمد الحازمي رئيس نادي جازان الأدبي، والأستاذ حمد الصغير مدير سبتية الشيخ عبدالكريم الجاسر الثقافية.

وشكر رئيس الملتقى د. حسين بن مشهور الحازمي، الجميع على ما قدموا، واختتمت الأمسية بتكريم ضيفي الملتقى، ورئيس نادي جازان الأدبي، ومشرّف الملتقى. وقدم فقرات الحفل الشاب المبدع ياسر السبيعي.

مشاركات الحقل الأدبية والثقافية



شارك الأستاذ عبدالله بن حمد الحقل أمين عام دار الملك عبد العزيز سابقاً، وعضو الرابطة: في الملتقى العلمي الخامس عشر لجمعية التاريخ والآثار

بجامعات دول مجلس التعاون، والذي عقد بالكويت من ٢٢-٢٥/٦/١٤٣٥هـ. وألقى قصيدة في حفل الافتتاح بعنوان: تحية الكويت.

ألقى الأستاذ عبدالله الحقل محاضرة في ثلاثية أحمد السديري بالرياض، بعنوان مواقف وذكريات في ميدان التربية والتعليم، ودار الملك عبد العزيز، وذلك يوم ٤/١٠/١٤٣٦هـ.

وشارك الأستاذ الحقل في المؤتمر السنوي لاتحاد المؤرخين العرب، الذي عقد في القاهرة من ٥-٦ محرم ١٤٣٦هـ.

مجموعة «الأنسة وداد» في رسالة ماجستير

نوقشت رسالة ماجستير في التعليم الموازي بعنوان: مجموعة الأنسة وداد القصصية للدكتور وليد قصاب، وذلك يوم ٢١/١١/١٤٣٥هـ. تقدمت بها الباحثة سهام بنت عبدالله المانع، في كلية اللغة العربية قسم البلاغة والأدب ومنهج الأدب الإسلامي، بجامعة الإمام بالرياض. أشرف على الرسالة الدكتور حبيب المطيري، وناقشها كل من الدكتور إبراهيم السماعيل، والدكتورة الجوهرة آل جهجاه.

نظرية الأدب الإسلامي: الماهية والمفهوم



بدعوة من مسرح عمون للثقافة والفنون في العاصمة عمان قدم الدكتور كمال مقابلة رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن، محاضرة علمية بعنوان (نظرية الأدب الإسلامي: الماهية والمفهوم)، يوم الثلاثاء ٢٠١٤/١١/٢٣م، بين خلالها علاقة المصطلح بمقومات النظرية مؤكداً أن نظرية الأدب الإسلامي تنطلق من مجموعة من الأفكار والآراء المتسقة والعميقة والمترابطة التي تستند إلى فلسفة الإسلام ونظرته إلى الكون والإنسان والحياة. ودار نقاش موسع أغنى أفكار المحاضرة التي أدارها د. عبد الله الخطيب أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن.

وفي الختام قدمت أسرة مسرح عمون وسام المسرح وشهادة تكميلية للدكتور كمال مقابلة تقديراً لجهوده في إحياء عشيات عمون الثقافية.

ثلاث شاعرات في أمسية شعرية

وفي مساء الثلاثاء ٢٠١٤/١٠/٢٨م؛ أحييت ثلاث شاعرات مبدعات أمسية شعرية في مقر مكتب الرابطة بعمان، وهن: الشاعرة انتصار الرجوب، والشاعرة مزنة الحسناوي، والشاعرة الفتية روان هديب، وقد تفاعل الجمهور مع قصائدهن بعبارات الإعجاب والتصفيق.

مهرجان شعري بمناسبة عيد الأضحى المبارك

في ختام أمسيات العام الهجري ١٤٣٥هـ، أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان أمسية وداعية شعرية بعنوان (في ظلال معاني الحج وعيد الأضحى المبارك)، وذلك يوم السبت ١٨ / ١٠ / ٢٠١٤ م، الموافق ١٢ / ٢٣ / ١٤٣٥ هـ.



سليم ارزقيات



خالد فوزي



علي الكيلاني

وشارك في الأمسية الشعرية خمسة من شعراء الرابطة هم: سليم ارزقيات، وخالد فوزي عبده، وعلي فهم الكيلاني، ومحمود إبراهيم، وفايز عليان، فقدموا قصائد استحضرت بعض مشاهد الحج والشعائر المقدسة وعرضت صوراً من تفاعل قلوب المسلمين مع مناسبة العيد المبارك، والعلاقة بين الديار المقدسة في مكة والمدينة وبين فلسطين.

أدار الأمسية الأستاذ صالح البوريني، مرحباً بالحضور ومثنياً على الهيئة الإدارية للرابطة برئاسة د. كمال مقابلة، بما تبذله من جهود متواصلة للمضي بمسيرة الرابطة إلى الأمام، وما تعنى به من متابعة مستمرة وتغطية فعالة للمناسبات الإسلامية والتاريخية والوطنية.



الختام الشاعر الواعد الطفل حمزة الخليلي؛ الذي ألقى مقطوعة شعرية قصيرة من إنشائه، صفق له الحاضرون إعجابا وتشجيعا. وألقى رئيس مكتب الرابطة د.كمال مقابلة كلمة قصيرة رحب فيها بالحاضرين، وأثنى على مشاركات الشعراء.

واقدهاء...! مهرجان شعري

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في الأردن مهرجانا شعريا عن القدس والمسجد الأقصى، يوم السبت ٢٠١٤/١٢/٦م الموافق ١٤٣٦/٢/١٣هـ. وشارك في المهرجان الشعراء: خالد فوزي عبده، ومحمود إبراهيم، وفايز عليان، وبسام زكارنة، وسليم صبح، ومحمد الخليلي. وشارك عبر البريد الإلكتروني الشاعر د.كمال أحمد غنيم، أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية في غزة، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية في فلسطين بقصيدة ألقاها عريف المهرجان نيابة عنه. وتخلل فقرات المهرجان أنشودة بعنوان (موطني) للمنشد الشاب إسماعيل البقاعي. وكان مسك

كيف نقرأ القرآن الكريم؟!

ألقى الدكتور عودة أبو عودة الرئيس الأسبق لمكتب الرابطة الإقليمي في الأردن محاضرة علمية بعنوان (كيف نقرأ القرآن الكريم) في مقر الرابطة في عمان، وذلك يوم السبت ٢٩ محرم ١٤٣٦ هـ، الموافق ٢٠١٤/١١/٢٢م. وطبق الدكتور أبو عودة منهج القراءة الواعية على الآيتين ٢٣ و٢٤ من سورة الإسراء، فبين الدلالات العميقة المستكنة وراء الكلمات التي اختارها القرآن للتعبير عن أهمية العناية بالوالدين، وجمال التصوير الفني في الآيتين.



أمسية أدبية لعائشة العمدة وفاتن أبو شرح

ومساء السبت ٢٠١٤/١١/٢٩م، أقامت القاصة عائشة العمدة، والشاعرة فاتن أبو شرح، أمسية أدبية. فقرأت الأدبية فاتن أبو شرح مجموعة من النصوص بين القصة والخابرة والقصيدة الشعرية. وتلتها عائشة العمدة، فقرأت مجموعة مختارة مما أسمتها بالخواطر القصصية، وأدارت الأمسية الأدبية نافذة الحنبلي.





محمد إقبال محطات من حياته وشعره

قصائد محمد إقبال المترجمة. وقد أدار اللقاء وقدم المحاضر الأستاذ عبدالله شبيب عضو الرابطة.



ألقى نائب رئيس المكتب الدكتور عدنان حسونة محاضرة بعنوان «محمد إقبال، محطات من حياته وشعره» وذلك مساء السبت ٢٠/٩/٢٠١٤م، وتحدث المحاضر عن ولادة الشاعر ونشأته وثقافته، وأن فطرته القويمة، وتربيته القرآنية، وثقافته العربية الإسلامية حفظته من الذوبان في الحضارة الغربية، التي نقدها بقوة ووضوح.

وأشار المحاضر إلى دواوين محمد إقبال الشعرية بالفارسية والأردية، وذكر أبرز خصائصه الشعرية الفنية. وفي نهاية المحاضرة قرأ بعض

الشعراء ينشدون في مسرح عمون



في مسرح عمون بقلب العاصمة عمّان وبدعوة كريمة من ملتقى القمة للإبداع والفنون صدحت أصوات الشعراء وتألقت حناجر المنشدين، وذلك السبت ١٢/٩/٢٠١٤م.

شارك فيه الشعراء: محمد الخليلي ومحمد طكو وعامر عمران. والشاعر الشعبي السوري هاني الفاعوري. وقدمت فرقة ياسمين الشام للفولكلور (إسماعيل ومحمد البقاعي) وصلات غنائية عن الحبيبتين دمشق وغزة، وسلم مسرح عمون شهادات تكريم للمشاركين المبدعين.

اثنتان من أعضاء الرابطة شاركا بالفوز بجائزة نادي الباحة الأدبي في السعودية

فاز بجائزة نادي أدبي الباحة الثقافية في نسختها الثانية لهذا العام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، كل من الدكتور عبدالناصر هلال بالمركز الأول من مصر، والدكتور عبدالحميد الحسامي بالمركز الثاني من اليمن والدكتورة آمنة بلعلي من الجزائر، والفائزان الثاني والثالث عضوا رابطة الأدب الإسلامي العالمية.





**وفاة الأستاذ الدكتور
عثمان أورتورك**

توفي بمدينة إستانبول بتركيا الأستاذ الدكتور عثمان أورتورك رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بتركيا، وقد ولد عثمان أورتورك عام ١٩٤٣ في مدينة طرسوس. وتلقى تعليمه الأولي في مدينته، وختم القرآن الكريم في وقت كان تدريس القرآن محظورا في تركيا. تابع دراسة العلوم الشرعية وتعليمه العام في آن واحد في إستانبول. وسافر إلى دمشق للاستزادة من العلوم الشرعية.

تخرج من قسم اللغة العربية والفارسية بكلية الآداب بجامعة إستانبول، وحصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٢م. وعمل أستاذا في خمس جامعات تركية، منها جامعة إستانبول، وجامعة أنقرة، وعمل مدرسا للعلوم الشرعية والأدب الإسلامي في مدرسة الأئمة والخطباء في أنقرة.

وقد عمل د. عثمان أورتورك مع زميله الأستاذ الأديب علي نار على تأسيس المكتب الإقليمي للرابطة الأدب الإسلامي العالمية في إستانبول بتركيا، وتطويره، واستضافة أربعة مؤتمرات للهيئة العامة للرابطة من ثمان، مصاحبا بفعاليات أدبية ودورات لمجلس الأمناء. وأصدرا مجلة الأدب الإسلامي التركية (إسلامي أدبيات)، وهي مجلة فصلية صدر منها (٦٣) عدداً حتى نهاية عام ٢٠١٤م. وأسس وقف الأدب الإسلامي التركي، وصار مقر الوقف نفسه مقرا للمكتب الإقليمي للرابطة، ومجلته. وكان د. عثمان أورتورك نائباً لرئيس المكتب، ونائباً لرئيس تحرير المجلة، وتولى رئاسة المكتب بدلا من الأستاذ علي نار في السنوات الخمس الأخيرة. كانت وفاة الأستاذ الدكتور عثمان أورتورك يوم الثلاثاء ١٠/٢/١٤٣٦هـ، الموافق ٢/١٢/٢٠١٤م، وصلي عليه بعد صلاة العصر في جامع السلطان محمد الفاتح. رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، ورزق أهله وذويه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



**وفاة الأستاذ الدكتور
حسن عباس زكي**

انتقل إلى رحمة الله تعالى في القاهرة معالي الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي، عضو الشرف في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين بمصر سابقاً. وكان للدكتور حسن عباس زكي الفضل بعد الله تعالى في احتضان المكتب الإقليمي للرابطة بمصر، حين استضاف مكتب الرابطة بمقر جمعية الشبان المسلمين في شارع رمسيس بوسط القاهرة، منذ سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ورعى أنشطة المكتب ومؤتمرات الرابطة في القاهرة حتى افتتاح مقر مستقل لمكتب الرابطة، بتاريخ: ٢٢/٧/١٤٢٧هـ، الموافق ١٧/٨/٢٠٠٦م. وفيما يأتي موجز عن سيرته الذاتية الحافلة بالعطاءات:

ولد الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي في ٢ يناير عام ١٩١٧م، في مدينة بورسعيد بمصر. تخرج في كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٣٨م، وحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من الولايات المتحدة الأمريكية.

تولى عدداً من المناصب داخل مصر وخارجها منها:

رئيس لجنة المفاوضات مع الإنجليز عقب إعلان الاستقلال سنة ١٩٥٦م، لتحرير أرصدة مصر لدى بريطانيا، وعضو وفد مصر بهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٧م، ووزير الاقتصاد والتنمية القومية من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٢م، ووزير الاقتصاد والتجارة الخارجية من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٢م. ورئيس جمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية. وترك مكتبة خاصة تضم ٢٠ ألف كتاب في جوانب شتى من العلوم والمعارف. توفي أ.د. حسن عباس زكي يوم الخميس ٥/٥/١٤٣٦هـ، الموافق ٢٧/١١/٢٠١٤م، وصلي عليه بمسجد السيدة نفيسة بالقاهرة، ودفن في قرية شبلنجة بمحافظة الشرقية. تغمد الله الفقيد بالرحمة والرضوان، وألهم ذويه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



إصدارات حديثة

صدر حديثاً للشاعر مصطفى عكرمة في العام ٢٠١٤م:

■ عمر أبو ريشة (شاعر أمة.. إطلالة وقطوف) دراسة انطباعية، عن مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري كتاب نقدي

■ أناشيد أحباب الله، وأناشيد فتى التوحيد وكلاهما عن دار القدس بالقاهرة.

■ من وحي الجراح، ديوان شعر للدكتور وليد قصاب، من منشورات الدائرة الثقافية في الشارقة، في سلسلة كتاب الرافد، ط١، ٢٠١٤م.

■ خطرات فكر في رياض الشعر والنثر، علي

خضران القرني، ط١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، النادي الأدبي بالطائف، السعودية.

■ رحلات ومشاهدات سائح في البلاد الأوروبية، عبد الله حمد الحقي، ط١، دار الحضارة للنشر، الرياض.

■ أهدت دار الألوكة للنشر عدداً من إصداراتها لعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ط١، إلى مكتبة رابطة الأدب الإسلامي، وهي:

■ الكلمة القرآنية وعربية اللسان، تأليف د. محمد أديب الصالح.

■ خطة تصنيف علوم الدين الإسلامي، تأليف محمد خير رمضان يوسف.

■ تدليس ابن مالك في

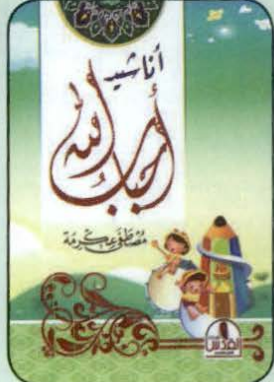
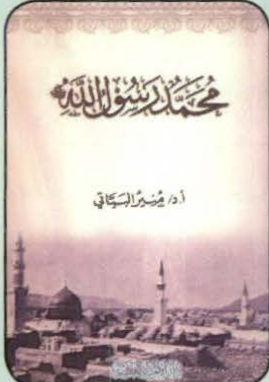
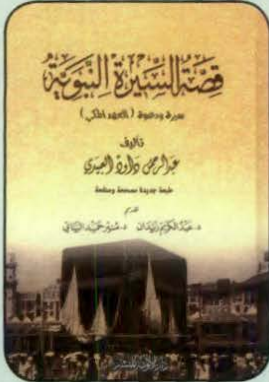
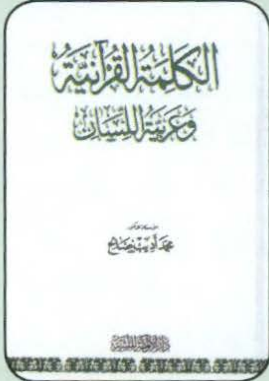
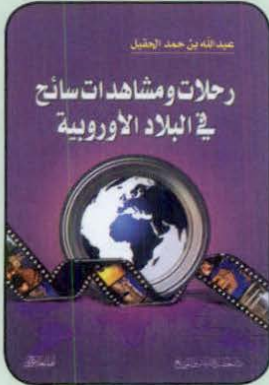
شواهد النحو: عرض واحتجاج، تأليف فيصل ابن علي المنصور.

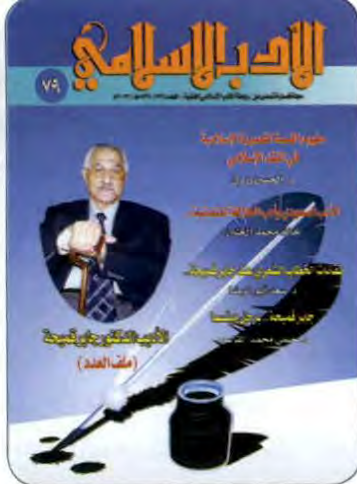
■ ومن إصداراتها لعام ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ط١:

■ دوحة القرآن، مجموعة مقالات لطائفة من كتاب الألوكة.

■ قصة السيرة النبوية، تأليف عبد الرحمن داود العبيدي.

■ محمد رسول الله، تأليف د. محمد منير البياتي، ط٤.





مدین لمجهودکم العظیم فی حقل الأدب الإسلامي

إلى حضرة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد:

إني أتابع - ولا أزال- أعمال الرابطة بأبعادها العلمية والدعوية والأدبية مهما كان إليه من سبيل، وبالتالي فأنا مدین لمجهودکم العظیم، ولا سيما في حقل الأدب الإسلامي، وأحمل لكم بين ضلوعي من الشعور الودي، وإليكم من الرغبة ما لا أقدر أن أصفه بدقة.

والآن بين يدي العدد (٧٩) من مجلة الأدب الإسلامي يتلأأ أعلاها هذا الاسم: «الأدب الإسلامي».

وبكم على أجنحتها، فإذا بنا كأننا بين أيديكم.. إنها وقعت إلي على غير رجاء مني، وأخذت من قلبي مكانها الذي تستحقها، فهي مني وأنا منها. ومما يجب أن أقول: إننا تلقى مشقة في اقتناء المجلة لدينا، فأرجوكم أن تولوا من عنايتكم هذا الجانب؛ لتكون بمتناولنا، كما ألتمس إرسال ما صدر من الأعداد اللاحقة.

عبد الوهاب الدويري
جامعة دار العلوم، كراتشي، باكستان.

تميز هذا العدد



فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح حفظه الله
رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
وبعد:

فقد تلقيت العدد الجديد (٨٤) من مجلتنا الناهضة المقروءة «الأدب الإسلامي» والحافلة بما لذ وطاب، من الموضوعات الأدبية والثقافية -كماداتها- لمشاهير الكتاب والأدباء والشعراء والنقاد.

وقد تميز هذا العدد، بملف عن الأديب الشاعر الناقد الراحل الأستاذ

للباحثين والدارسين على حد سواء.
وهي عادة حسنة وجهد موفق درجت عليه مجلة «الأدب الإسلامي» في تكريم الراحلين من الرواد في مجال العلوم والآداب والثقافة، والإشادة بما قدموه من خدمات وجهود رائدة في خدمة أممهم وأوطانهم ومجتمعاتهم.

رحم الله الراحل، وأسكنه فسيح جناته، وجزاء بما عمل وقدم وأنجز لأمتة ووطنه ومليكه خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته.

علي خضران القرني
الطائف - السعودية

الدكتور محمد بن سعد بن حسين -رحمه الله- الأكاديمي المعروف، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، والذي أغنى بمؤلفاته الكثيرة والمتنوعة المكتبة العربية، وكانت ومازالت مرجعاً هاماً وحقللاً خصباً



د. عبد الباسط بدر

أدبنا المعاصر والتاريخ

كان أسلوب العرب القدماء في تمجيد أحداثهم الكبيرة يتوافق مع طبيعة حياتهم، فقد كانوا أمة مشافهة ورواية، وكانت لهم حافظلة عجيبة، تمكنهم من حفظ القصيدة في وقت قصير.. ولربما حفظها بعضهم إذا سمعها مرة واحدة. لذلك اختاروا الشعر الوجداني سجلاً لأحداثهم المهمة، مثلما هو سجل لانفعالاتهم وعواطفهم... فحفظوا فيه وقائعهم وأيامهم، وصوروا بطولاتهم، وعظموا أبطالهم.

وعندما ظهر الإسلام وانتشر، بدأت صناعة الأمجاد الحقيقية في حياتهم.. وفتح الشعر صفحاتها لها وسجلها في قصائد كثيرة مختلفة، بدأها حسان بن ثابت رضي الله عنه، وتوالت من بعده على ألسنة الشعراء المؤمنين جيلاً فجيلاً إلى عصرنا الحاضر، فما من وقعة، ولا حدث كبير إلا وضع الشعر فيه قصائد رائعة: من غزوة بدر إلى الفتوحات الإسلامية في أنحاء الأرض.. إلى حطين وعين جالوت، بل إلى وقائع ملوك المسلمين في الهند وأفريقيا قبل قرنين من وقتنا هذا. ومنذ منتصف القرن الماضي كان الوعي بقضية الاستمداد من التاريخ كبيراً لدى الأفراد والمؤسسات الثقافية، فاهتموا بها جميعاً. ولئن كانت موضوعية التاريخ تمنعه من أن يمجد الحدث بأسلوب عاطفي يلهب نفوس القراء.. فإن وجدانية الأدب تنوب عنه في ذلك، فالعمل الأدبي بطبيعته مزيج من الحدث والشعور، وهو أقدر على تحويل الواقعة إلى مشهد ينبض بالحياة، لذلك كانت لفظة الأدباء قبل نصف قرن إلى التاريخ عظيمة الفائدة، وكان اهتمامهم به نابعا من إحساسهم الصادق بحاجة الجيل إلى شحنات وجدانية تعبر بهم جزر الإحباط، وتخلصهم من الشعور بالعجز عن مقاومة الاحتلال الأجنبي، والتخلف الحضاري، وتعيد إليهم ثقبتهم بأنفسهم.. فما تفتح ديوانا من دواوين الشعر آتئذ إلا وترى التاريخ شاخصا فيه، ترى وقفات متفرقة عند أحداثه المجيدة، وتذكير الجيل بأنه أبناء أولئك الذين صنعوها.. وحضا على اللحاق بهم. ومن أولئك الآباء أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وإسماعيل صبري ومحمد عبد المطلب والزهاوي وبدوي الجبل وغيرهم من الشعراء كثير.

وكذلك فعل كتاب القصة على اختلاف مشاربهم - فقد اهتموا بالقصة التاريخية. سواء بدافع إيماني - كما فعل علي أحمد باكثير وعبد الحميد جودة السحار، أو بدافع قومي كما فعل محمد فريد أبو حديد ومعروف الأرنؤوط. ولقد قدم ذلك الجيل من الأدباء منجزات أدبية كثيرة، وظفوها في إعادة بناء الشخصية العربية المسلمة توظيفا يذكر لهم بالفخر والاعتزاز.

واليوم.. وقد ظهر بعدهم جيل وجيل ثان.. نشهد تراجعاً في هذا المنحنى، فالقصيدة التي اعتنت بقيمة فنية كثيرة، أكتبت في الغالب - على الحاضر تندب عثراته، ولم يعد له ذلك الاهتمام الكبير بالتاريخ - اللهم إلا قصائد الإسلاميين والتراثيين، والقصص التاريخية تقل يوماً بعد يوم، وتزاحمها القصص العاطفية والبوليسية والرمزية.. وبعض الأدباء يتعلل بأن الاعتماد على الأحداث التاريخية تكرر لما فعله جيل شوقي وباكثير.. ولا شك أن هذا التعلل غير مقنع، فكنوز التاريخ ما زالت في مناجمها الكثير والكثير، وإن المعالجة الفنية الصادقة للحدث الواحد تبقى مؤثرة قوية ولو سبقتها معالجات كثيرة. إن جيلنا اليوم في حاجة إلى أن يستمد من التاريخ ما يستعلي على فرقه وضعفه، ويدعم شخصيته في جوانبها العقدية والثقافية.. فهل يدرك الأدباء ذلك، ويكبون على التاريخ يصفون منه ملاحم عصرية، تمتعه بفنها الرائع، وتملؤه بالمشاعر التي لا يجوز أن تغيب عنه؟

